الشيعة والتشيع لأهل البيت

د. أحمد راسم النفيس



الشيعة والتشيع لأهل البيت

الطبعـــة الثانية

١٤٢٧ هـ ـــ يناير ٢٠٠٧ م



٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسي - القاهرة

تليفون وفاكس: ٤٥٠١٢٢٨ ـ ٤٥٠١٢٢٩ ـ ٢٥٦٥٩٣٩

Email: < shoroukintl @ hotmail. com >

< shoroukintl @ yahoo.com >

الشيعة والتشيع لأهل البيت

د. أحمد راسم النفيس



البرنامج الوطنى لدار الكتب المصرية
الفهرسة أثناء النشر
(بطاقة فهرسة)
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشئون الفنية)

النفيس ، أحمد راسم .
الشيعة والتشيع لأهل البيت / أحمد راسم النفيس
ط١ ـ القاهرة : مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦م .
٢٤٨ ص ؛ ١٧ × ٢٤سم .
تدمك : 8 -1795-09 -977
١ـ أهل بيت الرسول ﷺ .
٢ـ الشيعة .
أ- العنوان ٢٣٩٫٨

رقم الإيداع ١٧٨٣٣ /٢٠٠٦م
الترقيم الدولى I.S.B.N. - 977- 09-1795 - 8

المحتويات

مقدمة

بالرغم من أن المسلمين على اختلاف مذاهبهم يجتمعون فى الزمان والمكان أنفسهما فى موسم حج بيت الله الحرام، ويؤدون المناسك نفسها؛ إنفاذًا للفريضة الإلهية واتباعًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذى خطب قائلاً فى حجة الوداع: **«إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا»** رواه مسلم، ورغم اشتراك الدول الإسلامية على تنوع مذاهبها فى منظمة المؤتمر الإسلامى وما يعنيه هذا من اعتراف متبادل والتقاء حول السياسة والمصالح بين أبناء الأمة الواحدة رغم تنوعها المذهبى، إلا أن التعارف بين هؤلاء يبقى قاصرًا عن تلبية ضرورات أخوة العقيدة، كما أمر رب العزة جل وعلا ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾[الحجرات: ١٠].

الأسباب التى أدت إلى غياب المعرفة المتبادلة، التى قادت إلى أن يتبنى البعض مجموعة من التصورات الخاطئة عن الآخر المسلم، كثيرة ومتنوعة، وقد ورثها المسلمون عن عصور التخلف والانحطاط الحضارى التى يتفق الجميع على ضرورة التخلص منها والانطلاق نحو النور والتقدم.

لم يعد مقبولاً فى عصر الانفجار المعرفى والسماوات المفتوحة أن تبقى هذه الحالة مخالفة لأمر الله سبحانه ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)** ﴾ [الحجرات: ١٣].

التعارف المشار إليه فى الآية الكريمة يعنى التعرف على الأفكار والمعتقدات التى تؤمن بها هذه الشعوب على وجهها الصحيح ومن مصادرها الأصلية، فما بالك إذا كانت كل هذه الشعوب تنتمى إلى دين واحد هو الإسلام، وتعبد إلهًا واحدًا هو الله الواحد الأحد، ولها كتاب واحد هو القرآن، ورسول واحد هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

التعارف بين أبناء المذاهب الإسلامية المختلفة يحتاج إلى تحرى الدقة والموضوعية والإنصاف، وهو ما نفتقده فى الكثير ممن يتصدرون لهذا الشأن والذين ينقلون كل ما يصل إلى أسماعهم، ومن بينها تلك الخرافة الشهيرة التى تلوكها بعض الألسن عن الشيعة، خرافة الوحى الذى أخطأ طريقه من علي بن أبى طالب إلى محمد بن عبد الله ﷺ، بينما يعرف القاصى والدانى أن الشيعة يعاتبون على (إفراطهم) فى الحب والولاء (لآل محمد) أى أن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم عندهم هو الأصل وهو واسطة كل خير ساقه الله إلى بني الإنسان ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولذا فنحن نتمنى على كل مسلم أن يتحرى الحقيقة بنفسه بدلاً من أن يكتفى بما يسمعه من الآخرين، كما نتمنى على كل المشتغلين بعلوم الدين أن يتقوا الله فى دينهم وإخوانهم من المسلمين، فإن الكلمة التى يطلقها أى منهم هى شهادة يشهد بها أمام الله ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩].

الصراع بين أبناء المذاهب؟؟!!!

يروى ابن أبى الحديد[1] عن الخصومة بين الشافعية والأحناف وقت الغزو التترى للعالم الإسلامى فيقول:

> ولم يبق للتتار إلا أصفهان حيث نزلوا عليها مراراً سنة ٦٣٣هـ، فحاربهم أهلها وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة ولم يبلغوا منها غرضًا، حتى اختلف أهل أصفهان على طائفتين حنفية وشافعية وبينهم حروب متواصلة، فخرج قوم من الشافعية إلى من يجاورهم من ملوك التتار فقالوا لهم: اقصدوا البلد حتى نسلمه إليكم، فأرسل إليهم جيوشًا ـ والصراع على أشده بين الأحناف والشوافع ـ وفتح الشافعية أبواب المدينة على عهد بينهم وبين التتار أن يقتلوا الحنفية ويعفوا عن الشافعية ـ فلما دخلوا المدينة بدءوا بالشافعية فقتلوهم قتلا ذريعًا ولم يقفوا مع العهد الذى عاهدوه، ثم قتلوا الحنفية، ثم قتلوا سائر الناس وسبوا النساء وشقوا بطون الحبالى ونهبوا الأموال وصادروا الأغنياء، ثم أضرموا النار فى أصفهان حتى صارت تلاً من الرماد.

(١) شرح نهج البلاغة.

(وفى سنة ٥٨٠ هـ) جرت بمصر فتنة بين الأشاعرة والحنابلة بسبب إنكار الحنابلة على الشهاب الطوسى تكلمه فى مسألة من مسائل الكلام فى مجلس وعظه وترافعوا إلى الملك المظفر بمخيمه، فرسم برفع كراسى وعظ الفريقين وقد أطلق كل من الفريقين لسانه فى الآخر[1]!! .

***

كما كانت صلاة أتباع المذهب الشافعى خلف أتباع المذهب الحنفى مسألة خلافية حتى جاء الشيخ محمد عبده رحمه الله وأفتى بجواز ذلك!!!.

جهود التقريب

قام العديد من العلماء الأجلاء من السنة والشيعة ببذل الجهود من أجل التعريف المتبادل والتقريب بين المذاهب، ولا نعتقد أن جهدهم قد ضاع سدى وما زال المجال مفتوحًا لبذل المزيد من أجل الوصول لتحقيق هذا الهدف النبيل.

من بين هذه الجهود، ذلك المؤتمر الذى عقد قبل عامين ونصف تقريبًا (سبتمبر ٢٠٠٣م) فى البحرين تحت عنوان «التقريب بين المذاهب الإسلامية وأثره فى تحقيق وحدة الأمة»، وقد حضره ما يربو على ١٠٠ مفكر وعالم دين من مختلف المؤسسات الإسلامية، ومنها الأزهر الشريف فى مصر ومؤسسة آل البيت فى الأردن ومجمع التقريب بين المذاهب فى إيران. وأكد شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى أن المؤتمر ينعقد فى زمن تنتشر فيه الفتن، وهو ما يستدعى تجمع العلماء لقول كلمة الحق وبيان ما يتوجب على الناس نحو خالقهم ودينهم وأمتهم، وقال: إننا نعيش عصراً تكالب فيه أعداء الإسلام على أمتنا مما يستدعى الرجوع للشريعة الإسلامية التى رسخت العقيدة السليمة فى النفوس، من خلال تأكيد الرسول ﷺ على معنى الإسلام والإيمان فى أحاديث متعددة، وتشديده على مبدأ الإخاء الخالص لوجه الله بين أبناء الأمة الإسلامية وتعاونهم على البر والتقوى.

كما لا يفوتنا التنويه بآخر تلك الجهود المبذولة للتقريب، وهى الجلسة التى عقدت فى منزل القائم بالأعمال الإيرانى بالقاهرة يوم الأربعاء ٨ فبراير عام ٢٠٠٦م، والتى

(١) السلوك فى معرفة آداب الملوك للمقريزى.

كان لكاتب هذه السطور شرف حضورها مع كل من شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوى وآية الله التسخيرى ومفتى مصر الدكتور على جمعة ورئيس جامعة الأزهر الدكتور أحمد الطيب، حيث أكد الجميع على ضرورة وضع جسور لإحياء دار التقريب بين المذاهب الإسلامية فى القاهرة، والتى توقفت ـ للأسف الشديد ـ فى نهايات القرن الماضى.

وقد تحدث آية الله التسخيرى عن عمق العلاقات بين الشعبين المصرى والإيرانى وأصالتها، ثم أفصح عن رغبته فى أن تبرز هذه العلاقات مرة أخرى عن طريق إحياء دار التقريب فى القاهرة، كما تحدث عن مخاطر الفرقة التى مزقت الأواصر طوال العصور الماضية، وانتهزها الأعداء حتى الوقت الحاضر اتباعًا لسياسة (فرق تسد)، كما أعرب عن استيائه من التمزق الذى يعيشه العالم الإسلامى، ودعا إلى وحدة المسلمين التى ستعود على الجميع بالخير. كما أكد آية الله التسخيرى على ضرورة أن يعم الحوار بين المسلمين سنة وشيعة ليفهم كل منهم الآخر، ليكون ذلك سبيلاً للوحدة الإسلامية المنشودة، ثم تحدث شيخ الأزهر الإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى عن أنه لا فارق بين المسلم الشيعى والمسلم السنى، فالجميع من المسلمين والجميع يقولون إنه لا إله إلا الله ويحجون البيت إن استطاعوا إليه سبيلا، ثم استدعى ذكرى استشهاد الحسين رضي الله عنه وأكد أن حب آل البيت جزء من عقيدة المسلم، لا يجوز التفريط فيها، ثم تحدث فضيلة المفتى د. على جمعة وذكر رواد التقريب بين المذاهب الأوائل، الشيخ القمى والشيخ شلتوت والشيخ عبد العزيز عيسى وغيرهم، وذكر أنهم بدءوا خطوات مهمة لتحقيق التفاهم بين المسلمين ولا بد أن يكتمل هذا الطريق، ثم تحدث د. أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر الشريف وأكد أن الأزهر الشريف عليه دور فى التقريب، فما زال منذ الستينيات يدرس فقه الشيعة الإمامية، ودعا إلى عقد اجتماع أو لقاء مصغر تطرح فيه كافة قضايا التقريب، وعلى رأسها العقبات التى تقف فى سبيل التقريب، حتى يمكن مناقشتها بصراحة، وأبدى استعداده الكامل للجلوس مع إخوانه من الشيعة لإبداء ما يراه مهمًا، كما أكد على وضع جميع إمكاناته وإمكانات الأزهر الشريف فى خدمة تلك القضية. أما د. محمد الدسوقى فأكد على ضرورة تحويل الشعارات والرغبات إلى موضوع عمل وتنفيذ على أرض الواقع، وذكر أن منظمة الإيسيسكو، قد وضعت إستراتيجية وخطوات تنفيذية من أجل إنجاز مشروع التقريب، ثم ذكر أنه يجب أن

يلتقى المسلمون (شيعة وسنة) حول مبدأ التعاون حول ما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت رحمه الله

ولا يفوتنا أن ننوه بالجهد الكبير الذى بذله شيخ الأزهر الراحل الشيخ محمود شلتوت، حيث يذكر الدكتور عبد الودود شلبى[1] الذى عمل مديرًا لمكتبه ما يلى:

منذ أربعين عاما وقع فى يدى كتاب (الخطوط العريضة)، فهالنى ما بين صفحاته، فما يقوله عن الشيعة خطير، فليس من المعقول ولا من المقبول أن يكونوا أصحاب دين غير دين المسلمين أو أن يكون موقفهم من أهل السنة هذا الموقف العدائى الكبير! لم يطاوعنى قلبى فى تصديق ما كتب، وظللت مترددًا بين التصديق والتكذيب حتى استقرت سفينتى فى النهاية على شاطئ الحق، ففى عام ١٣٨٢ هـ انتدبت المعمل سكرتيرًا فنيًا فى مكتب الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق، وكان من مهام وظائفى فى مكتب الإمام الراحل أن أرد على رسائله وأن أعرض عليه رسائل المسلمين التى تصل إليه كل يوم من كل ناحية، وقد فوجئت برسائل الحب والمودة التى كانت تصل إليه من أئمة الشيعة، كما فوجئت بردوده على رسائل هؤلاء الأئمة واعتزازه بهم كإخوة فى الإيمان والعقيدة، ثم فوجئت بعد ذلك باختياره لبعض هؤلاء الأئمة أعضاء فى مجمع البحوث الإسلامية!!.

سألته يومًا: هل قرأت يا مولانا ما كتبه صاحب كتاب (الخطوط العريضة) عن الشيعة؟؟

ابتسم الشيخ و لم يتكلم!!

وحين أعدت عليه السؤال، أخرج من مكتبه ورقة ثم قال ستجد فى هذه الورقة إجابتى على هذا السؤال!!.

---

(١) كلنا إخوة شيعة وسنة.

كانت هذه الورقة صورة من الفتوى التى أصدرها بجواز التعبد على مذهب الشيعة الإمامية، ونص الفتوى كما جاء فى أقوال الإمام الأكبر :

فتوى شيخ الأزهر محمود شلتوت

١- إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين، بل نقول إن لكل مسلم الحق فى أن يقلد ـ بادئ ذى بدء ـ أى مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحًا والمدونة أحكامها فى كتبها الخاصة، ولمن قلد مذهبًا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره من أى مذهب كان ولا حرج عليه فى شىء من ذلك.

٢- إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، مذهب يجوز التعبد به شرعًا كسائر مذاهب أهل السنة.

***

الأهمية الكبرى لهذه الفتوى أنها شكلت تحولاً رئيسيًا فى مسار القضية المذهبية، وخاصة فى مصر التى عاشت منذ بدء العصر الأيوبى فى إطار التقليد الفقهى للمذاهب الأربعة، وأصبح كل فريق مذهبى يعض بنواجذه على ما لديه، وربما وصل الأمر للاقتتال بين أبناء تلك المذاهب.

وقد أعطى الإمام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر لدعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية دفعة كبيرة، فقد كان من أشد المتحمسين لها، وفى ذلك يقول رحمه الله :

إن دعوة التقريب هى دعوة التوحيد والوحدة، هى دعوة الإسلام والسلام.. لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم وأسهمت منذ أول يوم فى جماعتها وفى وجوه نشاط دارها بأمور كثيرة.. ثم تهيأ لى بعد ذلك، وقد عهد إلىّ بمنصب مشيخة الأزهر، أن أصدرت فتواى فى جواز التعبد على المذاهب الإسلامية الثابتة الأصول المعروفة المصادر المتبعة لسبيل المؤمنين، ومنها مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، وقرّت بهذه الفتوى عيون المؤمنين المخلصين الذين لا هدف لهم إلا الحق والألفة ومصلحة الأمة، وظلت تتوارد علىّ الأسئلة والمشاورات والمجادلات فى شأنها وأنا مؤمن بصحتها، ثابت على فكرتها، أؤيدها فى الحين بعد الحين فيما أبعث به من

رسائل للمستوضحين، أو أردّ به على شُبَه المعترضين، وفيما أنشئ من مقال ينشر أو حديث يذاع أو بيان أدعو به إلى الوحدة والتماسك والالتفاف حول أصول الإسلام ونسيان الضغائن والأحقاد حتى أصبحت ـ والحمد لله ـ حقيقة مقررة تجرى بين المسلمين.

رأى الشيخ الغزالى رحمه الله

يقول الشيخ محمد الغزالى[1]:

من الخلافات الموروثة، ما بين الشيعة والسنة من فجوات، ملأتها الدماء فى بعض الأعصار وزادها البهت والافتراء بين الحين والحين، وما أنكر أن أسبابًا علمية وعاطفية تخفى أو تظهر وراء هذا الخلاف، بيد أن للسياسة ومطالب الحكم أسبابًا أضرى وأنمى.. وقد تحدثت فى كتب أخرى عن حقيقة ما بين الفريقين من الناحية العلمية ولا مجال هنا لتفصيل أو زيادة، وأعترف بأن لى أصدقاء من الشيعة أعزهم وأحبهم.

ومن أجل ذلك أعرض هذه المبادئ لدفع الأمور إلى طريق التصالح والإخاء:

أ ـ يتفق الفريقان فى مؤتمر جامع على أن القرآن الكريم هو كتاب الإسلام المصون الخالد والمصدر الأول للتشريع، وأن الله حفظه من الزيادة والنقصان وكل أنواع التحريف، وأن ما يتلى الآن هو ما كان يتلوه النبى ﷺ على أصحابه، وأنه ليس هناك فى تاريخ الإسلام كله غير هذا المصحف الشريف.

ب ـ السنة هى المصدر الثانى بعد القرآن الكريم، والرسول أسوة حسنة لأتباعه إلى يوم القيامة، والاختلاف فى ثبوت سنة ما أو عدم ثبوتها مسألة فرعية.

ج ـ ما وقع من خلاف بين القرن الأول يدرس فى إطار البحث العلمى والعبرة التاريخية، ولا يسمح بامتداده إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم.

---

(١) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ١٠٩.

د ـ يواجه المسلمون جميعًا مستقبلهم على أساس من دعم الأصول المشتركة، وهى كثيرة جدًا وعلى مرونة وتسامح فى شتى الفروع الفقهية ووجهات النظر المذهبية الأخرى.

رأى الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف المصرى

يرى الدكتور زقزوق[1]:

أن الاختلاف بين السنة والشيعة محصور فى إطار الأمور الفرعية القابلة للاجتهاد المشروع، ولا يجوز لمثل هذا الاختلاف أن تكون له آثار سلبية تتسرب إلى قلوب المسلمين فتفسد تآلفها وتزرع فيها التناحر والتخاصم، وإلا أصبح الاختلاف شرًا. وهذا ما حذر منه النبى ﷺ حين قال: «**لا تختلفوا فتختلف قلوبكم**» ومن هنا ينبغى على المسلمين أن يجتمعوا على ما اتفقوا عليه، وأن يعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه. وإذا كان اختلاف وجهات النظر فى الأمور الفرعية أمرًا جائزًا فى إطار «مبدأ الاجتهاد» الإسلامى المشروع، فليس هناك مبرر على الإطلاق لأن تكون هذه الاختلافات الفرعية عقبة فى طريق تحقيق وحدة الأمة الإسلامية، فقد أمرنا أن نعتصم بحبل اللّه المتين ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا**﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ونهينا عن أن نبدد جهودنا وطاقاتنا؛ لأن هذا لن يخدم المسلمين ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقد جاهد فى سبيل قضية التقريب بين السنة والشيعة العديد من كبار علماء المسلمين فى القرن الحالى، وبذلوا جهودًا عظيمة مشكورة، ومن بين هؤلاء الأعلام المصلح الكبير محمد على علوبة باشا والإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى والإمام الشيخ مصطفى عبد الرازق، وقد كان لهذين الإمامين دور التشجيع المعنوى والتأييد العلمى، أما الإمام الشيخ عبد المجيد سليم فقد أسهم بكل طاقاته المادية والروحية فى إنشاء جماعة التقريب، ودعا إلى تأييدها بقلمه ولسانه، وأسهم معه فى هذه الدعوة لفيف من كبار علماء الأزهر يتقدمهم بالذكر الإمام الشيخ محمود شلتوت والشيخ على

(١) مجلة رسالة التقريب ـ العدد الثلاثون.

الخفيف والشيخ عبد العزيز عيسى، ومن بين من أسهم من جانب الشيعة الإمامية إسهامًا بارزًا في هذا الصدد الشيخ محمد تقي القمي والإمام الأكبر الحاج آقا حسين البروجردي، والإمامان الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء والسيد شرف الدين الموسوي، وكلهم من كبار علماء الشيعة. وقد قامت جماعة التقريب بإصدار مجلتها المعروفة وهي «رسالة الإسلام»، واستمرت في الصدور فترة من الزمن ثم توقفت، كما توقف ـ للأسف الشديد ـ نشاط الجماعة ذاتها.

فالفتوى الشجاعة التي أطلقها الشيخ محمود شلتوت لم تكن تهدف إلى الاعتراف بالمذهب الجعفري فحسب، وإنما إلى القضاء على العصبية المذهبية أيًا كان لونها، فالمذاهب هي مدارس علمية وليست معسكرات دينية متحاربة.

***

حقيقة الإسلام والإيمان

يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾[البقرة: ١٧٧].

ويقول تبارك وتعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾ [البقرة: ٢٨٥].

العقيدة الإسلامية صافية رائقة بسيطة (الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) من دون حاجة لتعمق في الفلسفة أو اللغة . . يلي ذلك الإيمان مباشرة أداء الفرائض من صلاة وزكاة ورعاية للفقراء والمساكين وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع، وإقامة العدل ومكارم الأخلاق، والوفاء بالعهد المبرم مع المسلمين وغير المسلمين.

السنة النبوية

جاءت السنة النبوية المشرفة هى الأخرى لتقطع الطريق على كل من تسول له نفسه إطلاق أحكام الكفر على أى ممن أعلن إسلامه :

روى مسلم فى صحيحه أن رجلاً سأل النبى ﷺ من هو المسلم؟ فأجاب **«من صلى إلى قبلتنا وذبح ذبيحتنا فهو المسلم الذى له ذمة الله ورسوله»** .

وروى مسلم عن أبى أيوب أن أعرابيًا عرض لرسول الله ﷺ وهو فى سفر، أخذ بزمام ناقته ثم قال يا رسول الله، أخبرنى بما يقربنى من الجنة وما يباعدنى من النار. قال فكف النبى ﷺ ثم نظر فى أصحابه، ثم قال « **لقد وفق، أو لقد هدى** » قال « **كيف قلت ؟** » قال فأعاد. فقال النبى ﷺ «تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم» .

وروى أيضًا عن جابر؛ قال أتى النبى ﷺ النعمان بن قوقل فقال يا رسول الله، أرأيت إذا صليت المكتوبة، وحرمت الحرام، وأحللت الحلال، أأدخل الجنة؟ فقال النبى ﷺ **«نعم»** .

وعن أبى هريرة؛ قال **كان رسول الله** ﷺ **يومًا بارزًا للناس فأتاه رجل فقال يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن باليوم الآخر» قال يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال «الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»** .

روى **الترمذى** فى سننه، قال رسول الله ﷺ **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»** .

وروى أيضًا عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ **«قتال المسلم أخاه كفر وسبابه فسوق»** .

وروى عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال **«أيما رجل قال لأخيه كافر فقد باء به أحدهما»** .

وعن النبى ﷺ قال: **«لاعن (من يلعن) المؤمن كقاتله، ومن قذف مؤمنًا بكفر فهو كقاتله، ومن قتل نفسه بشىء عذبه الله بما قتل به نفسه يوم القيامة»**.

وروى **النسائى** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ **«والذى نفسى بيده لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا»**.

الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، حرصًا منه على سد باب التكفير، يحذر الأمة الإسلامية من إطلاق هذا الوصف الخطير على أحد من أهل القبلة من دون بينة ولا برهان، فيقول، والرواية لمسلم **«إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما»** ثم يزيد الأمور إيضاحًا فيقول **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»**، ولأن إطلاق أحكام التكفير قد يقود إلى ما هو أسوأ وهو سفك الدماء التى حرمها الله إلا بالحق، فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله **«لا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم أعناق بعض»**.

وقال ﷺ: **«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»** أخرجه مسلم فى صحيحه.

إنها وصايا نبوية نحن أحوج ما نكون إليها ما بقى المسلمون على ظهر هذه الأرض إلى قيام الساعة.

التأكيد على وحدة الأمة فريضة إلهية

يقول تعالى فى محكم كتابه:

١ - ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)** ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢ - ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)** ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

٣-﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) ﴾ [الشورى : ١٣-١٤].

إنها أوامر واضحة محكمة تدعو للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق، كما أنها تنهى عن النزاع والشقاق بين المسلمين، لكونه الطريق الأقصر للفشل والضياع، وهي أيضًا تدعو إلى إقامة الدين وعدم التفرق فيه والاجتماع على كلمة الله، وتبين لنا أن الفرقة والنزاع لا يمكن أن تكون قدرًا إلهيًا لا فكاك منه، بل هو ثمرة سلوك بشرى خرج بالتدين عن مساره الصحيح (بغيًا بينهم).

تلك مقدمة ضرورية نطرحها في بحثنا حول تعريف الشيعة، فنحن لا نرى من السهولة بمكان جمع المسلمين على فهم واحد لكل أمور الدين وقضاياه، ولكننا نرى فرضية جمع كلمتهم ونبذ أسباب الفرقة والخلاف والتعامل مع القضايا الخلافية بروح الأخوة ونبذ الأحقاد من خلال الالتزام بأحكام الدين التي أشرنا إليها آنفًا، فشروط الإسلام واضحة وبسيطة، وإذا لم يتمكن المسلمون من جمع كلمتهم على فهم موحد لتلك القضايا الخلافية، فلا أقل من أن يلتزموا بأدب الحوار ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] - ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) ﴾[النحل: ١٢٥] - ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) ﴾[الغاشية : ٢١ - ٢٢] وهذا هو منهج الإسلام.

***

الفصل الأول

أصـل الشـيعة

معنى كلمة شيعة

يقول الشهرستانى[1] :

الشيعة هم الذين شايعوا عليًا عليه السلام على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصًا ووصية إما جليًا أو خفيًا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، كما قالوا إن الإمامة ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هى قضية أصولية هى ركن الدين الذى لا يجوز للرسول إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأئمة وجوبًا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولى والتبرى قولاً وفعلاً وعقدًا إلا فى حال التقية.

كلمة الشيعة فى التاريخ والسنة

كان هناك دائمًا من يحب على بن أبى طالب عليه السلام ويكنّ له المودة، وهناك على الناحية الأخرى من لا يكنّ له الشعور نفسه، وهو ما تؤكده العديد من الروايات التى أوردها المحدثون، سواء من الشيعة أو من أهل السنة، ومثال ذلك:

ما رواه مسلم[2] عن الأعمش عن عدى بن ثابت عن زر قال علىّ: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى صلى الله عليه وآله وسلم إلىّ، أنه لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق.

وحتى لا يضيع القارئ الكريم فى زحمة الروايات، فإننا نأخذه إلى حقيقة تشيع بعض الصحابة لعلى بن أبى طالب، ومن هؤلاء الصحابى الجليل أبو ذر الغفارى، حيث يروى لنا ابن قتيبة فى كتاب المعارف عن حنش بن المعتمر قال جئت وأبو ذر آخذ

(١) الملل والنحل.
(٢) صحيح مسلم جـ١ ص ٦١ .

بحلقة باب الكعبة وهو يقول: أنا أبو ذر الغفارى من لم يعرفنى فأنا جندب صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**مثل أهل بيتى فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا**».

ومن هؤلاء الصحابة المتشيعين لعلى بن أبى طالب عمار بن ياسر، وقد استشهد مع الإمام علىّ فى موقعة صفين، وهو من قال عنه رسول الله «**تقتله الفئة الباغية**»..

ومنهم أبو الطفيل الكنانى، وكان آخر من مات ممن رأى النبى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، حيث يقول عنه ابن قتيبة[1] (مات بعد سنة مائة وشهد مع علىّ المشاهد كلها).

إذًا فالتشيع للإمام على بن أبى طالب ولأئمة أهل البيت من بعده كان يشكل، ومنذ ذلك العصر، موقفًا سياسيًا وعقائديًا لتلك الطليعة الملتفة حول الإمام، وهو ما نراه دوما فى واقع الناس، حيث تكون هناك دائرة ملتفة حول الزعامة الدينية والسياسية تطرح رؤاها وتدافع عن مواقفها، فتشكل مجموعة المستشارين والقادة والأعوان.

كذلك جاء التاريخ الإسلامى ليؤكد ما ذكرناه من قدم معنى التشيع، حيث يروى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين عن الإمام على بن أبى طالب قال:

قتلوا شيعتى وعمالى وقتلوا أخا ربيعة العبدى رحمة الله عليه فى عصابة من المسلمين قالوا لا ننكث كما نكثتم ولا نغدر كما غدرتم، فوثبوا عليهم فقتلوهم، فسألتهم أن يدفعوا إلىّ قتلة إخوانى أقتلهم بهم ثم كتاب الله حكم بينى وبينهم، فأبوا علىّ، فقاتلونى وفى أعناقهم بيعتى ودماء قريب من ألف رجل من شيعتى، فقتلتهم بهم.

كما يروى المدائنى[2] عن حقبة معاوية بن أبى سفيان:

فقامت الخطباء فى كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليًا ويبرءون منه ويقعون فيه وفى أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام على عليه السلام، فقتلهم تحت كل حجر

---

(١) المعارف ص ٢٤٢، كما ورد أيضًا فى الدر المنثور فى التفسير بالمنقول للسيوطى (شيعة على).

(٢) تاريخ المدائنى.

ومدر، وأخافهم وقطع الأيدى والأرجل، وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم، وكتب معاوية إلى عماله فى جميع الآفاق ألا يجيزوا لأحد من شيعة على وأهل بيته شهادة.

وهكذا فإن الباحث فى التاريخ الإسلامى يلاحظ أن هذا المصطلح قد أصبح علمًا على تلك الطائفة من المسلمين التى ارتبطت بأئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث أصبح للشيعة والتشيع بمعنى الولاء للإمام على بن أبى طالب ولأئمة أهل البيت من بعده وجود واقعى، بعيداً عن تلك المصطلحات المنفصلة عن الواقع والتاريخ مثل الرافضة والسبئية والخشبية.

تفكيك التعريف

يمكن تفكيك تعريف (الشيعة: هم من شايع عليّا وأولاده وقالوا بإمامته) إلى جزأين:

الجزء الأول: يتعلق بمبدأ الإمامة والولاية.

والجزء الثانى: يتعلق بوجوب الالتزام والالتصاق بهذه الولاية، أى التشيع لأهل بيت محمد صلى الله عليه وعلى آله، من عدمه.

معنى الإمامة والولاية

جاء فى القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال فى مكان آخر: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: ٤١].

فالإمام إذن هو القائد العقائدى أو الفكرى، الذى يهدى إلى أمر الله، أو إلى عصيان الله.

وأئمة أهل البيت من هذا المنطلق هم علماء فى الإسلام، بيد أن تخصصهم ومعرفتهم فى الإسلام لم تكن انطلاقًا من عقلهم واعتماداً على فكرهم، لأن معرفة مثل هذه واختصاصًا من هذا القبيل، يداخلها الخطأ بالضرورة، بل إن الأئمة أخذوا الدين من النبى صلى الله عليه وآله بصورة مباشرة، من علىّ لأبنائه، لأحفاده، لأبناء الأحفاد، وهكذا دواليك.

لقد تحولت المعرفة من النبى صلى الله عليه وآله إلى على عليه السلام، ومنه بلغت الأئمة من بعده، وفى جميع أدوار الأئمة كان هناك علم إسلامى معصوم لا يخطئ، ينتقل من إمام إلى الذى يليه.

والمسألة الثانية هى الإمامة بمعنى الولاية

وهى درجة ومرتبة تمثل ذروة مفهوم الإمامة الذى يعدّ وجهًا مشتركًا بين التشيّع والتصوّف. إنه مفهوم الإنسان الكامل، أو بتعبير آخر «حجّة العصر».

الأدلة على وجوب اتباع الإمامة

الأدلة التى يستدل بها الشيعة على إمامة أهل البيت كثيرة ومتنوعة، والجدل الدائر بينهم وبين مخالفيهم فى الرأى لا يقوم عادة على إنكار نصوص هذه الأدلة، بل على إنكار مدلولها، والقول بأنها لا تقود إلى ما يستنتجه الشيعة منها.

سنرى بعد قليل أن هذه الأدلة هى أحاديث مذكورة فى كتب الحديث الشهيرة التى دونها الشافعية والأحناف وغيرهم، أو من تلك الروايات الواردة فى تفسير القرآن الكريم والتى يستدل بها الشيعة على إمامة أمير المؤمنين على بن أبى طالب، والأئمة من أبنائه من بعده.

١ ـ حديث الدار

روى الفريقان (السنة والشيعة) وبأسانيد متعددة واقعة الدار التى ترتبت بعد نزول الأمر الإلهى من السماء بوجوب إنذار رسول الله صلى الله عليه وآله لعشيرته بأمر الدعوة بنص قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فخاطبهم صلى الله عليه وآله بقوله: «**يا بنى عبد المطلب، إنّى والله ما أعلم شابًا من العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا والآخرة، فأيكم يؤازرنى**

على هذا الأمر على أن يكون أخى، ووصى، وخليفتى فيكم؟ فأحجم القوم عن ذلك إلا عليًا عليه السلام، وكان أحدثهم سنًا، إذ استجاب لرسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه. فأخذ النبى صلى الله عليه وآله برقبة على عليه السلام وقال: هذا أخى، ووصى، وخليفتى فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع»[(١)] .

٢ ـ حديث المنزلة

وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام: **«أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى»**[(٢)] .

كما أفرد ابن سعد[(٣)] له فصلاً تحت عنوان (**ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى بن أبى طالب: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى؟**) جاء فيه:

قال محمد بن عمر:

وكان علىّ ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد حين انهزم الناس، وبايعه على الموت، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله سرية إلى بنى سعد بفدك فى مائة رجل، وكان معه إحدى رايات المهاجرين الثلاث يوم فتح مكة، وبعثه سرية إلى طيئ، وبعثه إلى اليمن، ولم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى غزوة غزاها إلا غزوة تبوك، خلفه فى أهله. قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال أخبرنا فضل

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ٢: ٢١٧، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٢: ٦٢، تاريخ أبى الفداء ١: ١١٦، شرح الشفا ٣: ٣٧، معالم التنزيل ٤: ٢٧٨، شواهد التنزيل ١: ٣٧٢، ترجمة الإمام على عليه السلام من تاريخ دمشق ١: ١٠٣، ١٣٩ ـ ١٤٠، تفسير الخازن ٣: ٣٧١.

(٢) صحيح البخارى ٥: ٨٩/ ٢٠٢، صحيح مسلم ٤: ١٨٧/ ٢٤٠٤، سنن الترمذى ٥: ٣٧٣٠، مسند أحمد ١: ١٧٣، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٤، مستدرك الحاكم ٢: ٣٣٧، الرياض النضرة ٢: ١٥٧، مصابيح السنة ٤: ١٧٠/ ٤٧٦٢، تاريخ بغداد ٤: ٢٠٤، تاريخ الخلفاء ٦٥، الصواعق المحرقة ١٨٧.

(٣) الطبقات الكبرى.

ابن مرزوق عن عطية حدثني أبو سعيد قال: غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك وخلف عليًا في أهله، فقال بعض الناس ما منعه أن يخرج به إلا أنه كره صحبته. . فبلغ ذلك عليًا فذكره للنبي ﷺ فقال « أيا بن أبي طالب أما ترضى أن تنزل مني بمنزلة هارون من موسى؟ ».

وأخبرنا الفضل بن دكين قال أخبرنا فطر بن خليفة عن عبد الله بن شريك، قال سمعت عبد الله بن رقيم الكناني، قال قدمنا المدينة فلقينا سعد بن مالك، فقال خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك وخلف عليًا، فقال له يا رسول الله خرجت وخلفتني؟ فقال **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»**.

وأخبرنا عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة، قال أخبرنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب، قال قلت لسعد بن مالك إني أريد أن أسألك عن حديث، وأنا أهاب أن أسألك عنه، قال لا تفعل يا بن أخي إذا علمت أن عندي علمًا فسلني عنه ولا تهبني، فقلت قول رسول الله ﷺ لعليّ حين خلفه بالمدينة في غزوة تبوك؟ قال، قال أتخلفني في الخالفة في النساء والصبيان؟ فقال **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟»** فأدبر عليّ مسرعًا كأني أنظر إلى غبار قدميه يسطع.

٣ ـ واقعة غدير خم

يذكر الرواة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لدى عودته من حجة الوداع قبيل وفاته بشهور ـ أو أسابيع قليلة ـ نزل بموضع يقال له غدير خم، ثم خاطب المسلمين قائلاً: **«أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا عبده ورسوله؟ وأنّ جنّته حق وناره حق؟ وأنّ الموت حق وأنّ البعث حق؟ وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها؟ وأنّ الله يبعث من في القبور؟»**.

قالوا: بلى نشهد بذلك. فقال: **«اللهم اشهد»**. ثم قال: **«أيها الناس إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم»**، ثم أخذ بيد علي عليه السلام وقال: **«فمن كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»**.

يقول البراء بن عازب وغيره من الصحابة: إنّ عمر بن الخطّاب لقى عليّا بعد ذلك فقال له: هنيئًا لك يا بن أبى طالب، فقد أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة[1].

والسؤال هو ما هى دلالة هذا الحديث؟؟.

وما هو معنى أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى؟ ألم يكن هارون عليه السلام هو وصى موسى عليه السلام على قومه ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢)﴾ [الأعراف: ١٤٢].

٤ـ حديث الثقلين

روى المحدّثون الفقهاء أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال **«يا أيها الناس إنى تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى، كتاب الله وعترتى أهل بيتى»**. وقد ورد الحديث بصيغ متعددة من بينها **«إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما»**، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتى، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»** وقال صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنى أوشك أن أدعى. وإنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل وعترتى. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، وإن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما»**.

والحديث مروى فى (الترمذى والنسائى).

٥ـ حديث الكساء

وهى الرواية الواردة فى تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وهى الرواية المشهورة بحديث الكساء. فقد

---

(١) سنن الترمذى ٥: ٦٦٢ و ٦٦٣، صحيح مسلم ٤: ٢٤٠٨، مسند أحمد ٣: ١٧ و٥: ١٨١، مستدرك الحاكم ٣: ١٠٩، أسد الغابة ٢: ١٢، السيرة الحلبية ٣: ٣٣٦، مجمع الزوائد ٩: ١٦٣، الصواعق المحرقة ٢٣٠.

قال الرسول الأعظم ﷺ مشيراً إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين: **«اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»**.

أي أن هذه الآية نزلت في أهل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

أما مصادر الحديث فلا تعد ولا تحصى(١).

وجوب حب أهل البيت عليهم السلام

أنزل الله تبارك وتعالى قرآنا يوجب عليّ المسلمين التقرب إليه بحب محمد صلي الله عليه وعلى آله، وأهل بيته، ومن بين هذه الآيات آية المودة **﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾** [الشورى: ٢٣].

روى البخارى عن سلمة قال: كان على قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان به رمد، فخرج عليّ فلحق بالنبي ﷺ، فلما كان مساء الليلة التى فتح الله فى صباحها، قال رسول الله ﷺ **«لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله - أو قال يحب الله ورسوله - يفتح الله عليه»**، فإذا نحن بعليّ وما نرجوه، فقالوا هذا عليّ، فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه.

قال صاحب فتح البارى: وقوله ﷺ **«إن عليّا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»**، أراد بذلك وجود حقيقة المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع عليّ في مطلق هذه الصفة، وفي الحديث تلميح بقوله تعالى: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾** [آل عمران: ٣١]، فكأنه أشار إلى أن عليّا تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصف بصفة محبة الله له، ولهذا كانت محبته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق. كما أخرجه مسلم من حديث عليّ نفسه قال (والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه

(١) فمنها على سبيل المثال صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبى جـ ٢ ص ٣٦٨ ط عيسى الحلبى، وجـ ١٥ ص ١٩٤ بشرح النووى ط مصر، سنن الترمذى جـ ٥ ص ٣٠ ح ٣٢٥٨ وجـ ٥ ص ٣٢٨ ح ٣٨٧٥ ط دار الفكر وجـ ٢ ص ٢٠٩ و ٣٠٨ و ٣١٩ ط بولاق وجـ ١٣ ص ٢٠٠، مسند أحمد بن حنبل، وغيرها من المصادر.

لعهد النبى ﷺ أن **«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»** (وله شاهد من حديث أم سلمة عند أحمد).

وروى البخارى عن أسامة بن زيد أن النبى ﷺ كان يأخذه والحسن ويقول: **«اللهم إنى أحبهما فأحبهما»**.

وروى عن ابن عمر أن أبا بكر قال: ارقبوا محمداً ﷺ فى أهل بيته.

وروى عن عائشة قول النبى ﷺ لفاطمة: **«أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة؟»**.

دلالة هذه الأحاديث

التقرب إلى الله تبارك وتعالى بحب أهل بيت النبوة عليهم السلام ليس أمرًا خارجًا أو زائداً على منظومة الإيمان والإسلام القائمة من الأساس على مبدأ الحب فى الله والبغض فى الله.

تلك المنظومة التى لخصها رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال **«أنت مع من أحببت»**، **«المرء مع من أحب»** ثم فصلها بعد ذلك فى تلك الأحاديث النبوية التى بينت معنى قوله تعالى ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣].

المتمسكون بظاهر الشريعة الإسلامية لا يخرج حالهم عن أمرين: الأول هو التمسك الظاهرى مع البغض القلبى لصاحب الشرع، وهو الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، وهم المنافقون، والثانى هو موافقة باطن الحال لظاهر المقال وهم المؤمنون حقّا.

المؤمنون حقا هم من يحسون بحب خالص للرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهو فى يقينهم رحمة للعالمين، مصدر كل خير ساقه الله إليهم، وهو صاحب الدين الحق الذى يدخل من التزم به الجنة وينجى من النار.

فأى منطق يمنع المؤمن من حب صاحب الشريعة؟؟.

وأى منطق يمنع المؤمن من حب آل بيت محمد ﷺ نبى الله الذى وصفه ربنا عز وجل بأنه ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[التوبة: ١٢٨].

لهـذه الأسبـاب أصبح حب أهل بيت العصـمـة والنبـوة هو المعـيار الذى يمكن من خـلاله التـمـييز بين المؤمن والمنافق، ولله در صـاحـب فـتح البـارى عندمـا قـال: وفى الحديث تلميح بقوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]. فكأنه أشار إلى أن عليًا تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصف بصفة محبة الله له، ولهذا كانت محبته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق.

كما أخرجه مسلم من حديث علىّ نفسه قال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى ﷺ أن **«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»**.

ترى لو لم ينزل هذا الأمر فى القرآن بالمودة فى القربى، ولـم يقل صلى الله عليه وآله وسلم ما قال، هل كان من الممكن أن يكون العكس صحيحًا؟ أى أن يكون من الطبيعى أن يسىء المسلمون معاملة آل بيت النبوة، فيقتل من قتل منهم ويموت من مات منهم هاربًا جائعًا خائفًا؟ أو يهلك العشرات منهم فى مطبق أبى جعفر المنصور الذى لا يعرف فيه ليل من نهار؟ أو أن يحظر المتوكل العباسى على الناس مد يد العون لآل بيت النبوة، فيجلس النسوة فى بيوتهن لا يجدن ما يستر أجسادهن ويتبادلن الثوب الواحد للصلاة فيه، وهو الذى قام بطمس قبر الحسين عليه السلام وغمر أرضه بالمياه؟؟!!.

لماذا لم يسأل البعض منا نفسه لماذا احتلت مراثى شهداء أهل البيت تلك المساحة الضخمة من ديوان الشعر العربى، حتى لقد قال دعبل الخزاعى ـ ذلك الشاعر المحب لأهل البيت ـ واصفًا التنافس بين الأمويين والعباسيين فى التنكيل بأهل البيت بقوله:

لـــم يبق حىّ من الأحياء نعلمه   من ذى يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهـــم شركاء فى دمائـــهم   كـما تشارك أيسار على جزر

إن حصر المناقشة فى قضية الخلافة السياسية أو حتى قضية الإمامة الدينية، وتجاهل ما تعرض له أهل البيت وشيعتهم من ظلم واضطهاد ـ لم يتعرض له حتى غير المسلمين الذين عاشوا فى كنف الدولة الإسلامية قديمًا وحديثًا ـ لا يساعدنا على فهم القضية التى تبدو أدلتها واضحة، إلا أن هذا الوضوح لم يؤت ثماره فى تهدئة الأجواء واعتبار المسألة برمتها (خلافًا فى الرأى لا يفسد للود قضية)!!.

تلك مجرد نماذج من تلك الأدلة، وعلى من يريد أن يستزيد أن يراجع كتبًا مثل *(المراجعات)* أو *(عقائد الإمامية)* وكلها متوفرة الآن على شبكة المعلومات الدولية.

الفصل الثانى

الإمـــــام

جرى العرف أنه إذا اقتصر أحد فى خطابه الدينى على كلمة الإمام، فيكون المقصود على بن أبى طالب.

تحدثنا سابقًا عن الأوامر الإلهية والنبوية التى تطالب المسلمين بحب آل البيت عليهم السلام عامة، والإمام على بن أبى طالب عليه السلام خاصة.

والحب أشكال وألوان.

فمنه الحب عطفًا وإكرامًا كما يحب المرء ولده الصغير وسائر أهله، ومنه الحب إجلالاً واعترافًا لأهل الفضل والعلم بفضلهم، فكيف لإنسان سوىّ خلقه الله ونفخ فيه من روحه أن يحب من يسيئون للناس وينشرون الشر والفساد فى الأرض؟ وكيف لتلك النفس السوية أن تبغض أهل الخير والفضل والإحسان ومصابيح الهدى؟؟!!.

التاريخ الذى سنورد نماذج منه خير شاهد على المعاناة والعداء الذى لقيه أهل البيت من أناس كان يفترض فيهم أنهم يحبون أهل البيت إكرامًا لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والذى وصفه ربنا سبحانه وتعالى بقوله ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

كان على المسلمين أن يحبوا أهل البيت ويقتدوا بآثارهم لكونهم من حملوا الروح المحمدية الرفيعة الطاهرة فى حنايا أجسادهم وأرواحهم، فضلاً عما أقامه أهل البيت عليهم السلام من منارات للهداية وما قدموه للناس من نماذج يستضاء بها فى الظلمات وتستجلى بها الشكوك والشبهات.

نبذة عن حياة الإمام

تعال معى نطلع على صفحات النور التى سطرها على بن أبى طالب عليه السلام بجهاده وعلمه وزهده وخلقه الرفيع، ثم سل نفسك كيف لا تنهل الأمة من هذا العلم؟، ولماذا

لا نسعى إلى تقديم هذا العلم للعالم أجمع حتى ولو بقى البعض مصراً على رفض الإقرار بإمامته عليه السلام؟ .

لنقرأ معًا خبر ضرار

خذ عندك خبر ضرار الضبائى الوارد فى *نهج البلاغة*، وكان من أصحاب الإمام على بن أبى طالب، فدخل ذات يوم على معاوية بن أبى سفيان، فقال له معاوية صف لى عليّا، فقال:

فأشهد لقد رأيتُه فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم فى محرابه، قابض على لحيته يتململ تململ السّليم [أى اللديغ] ويبكى بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا يا دنيا، إليك عنّى، أبى تعرّضت؟ أم إلىّ تشوّقت؟ لا حان حينك! هيهات! غرّى غيرى لا حاجة لى فيك. قد طلّقتك ثلاثًا لا رجعة فيها! فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير.

كما روى الخبر نفسه ابن عبد البر فى كتاب *الاستيعاب*:

قال معاوية لضرار الضبائى: يا ضرار صف لى عليّا .

قال : اعفنى يا أمير المؤمنين .

قال : لتصفنه .

قال : أما إذ لا بد من وصفه، فكان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته .

كان غزير العبرة طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن .

وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه وينبئنا إذا استنبأناه .

ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبةً له.

يعظم أهل الدين ويقرب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله ولا ييئس الضعيف من عدله .

وأشهد أنه لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه

قابضًا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول: يا دنيا غرّى غيرى، ألى تعرّضت أم إلىّ تشوقت؟ هيهات هيهات! قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير وخطرك قليل.

آه من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق.

فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن! كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه ياضرار؟

قال: حزن من ذبح ولدها وهو فى حجرها.

وكان معاوية يكتب فيما ينزل به، ليسأل على بن أبى طالب رضي الله عنه عن ذلك فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب.

فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام.

فقال له: دعنى عنك.

شهادة أخرى من معاوية

قال ابن أبى الحديد [١]:

إن عليًا كتب إلى محمد بن أبى بكر رضوان الله عليه كتابًا عندما كان عاملاً من قبله على مصر، وكان محمد ينظر فيه ويتأدب بأدبه، فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله، أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية، فكان معاوية ينظر فى هذا الكتاب ويتعجب منه، فقال الوليد بن عقبة وهو عند معاوية وقد رأى إعجابه به، مُرْ بهذه الأحاديث أن تحرق، فقال معاوية مه لا رأى لك، فقال الوليد أفمن الرأى أن يعلم الناس أن أحاديث أبى تراب [٢] عندك تتعلم منها؟ قال معاوية ويحك أتأمرنى أن أحرق علمًا مثل هذا؟! والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه ولا أحكم!! فقال الوليد إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله؟؟!!

---

(١) شرح نهج البلاغة.

(٢) سمى النبى صلى الله عليه وسلم عليًا: أبا تراب، ولجهل المسلمين فى الشام بذلك، اعتبروا أن ذلك سباب له.

فقال لولا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه!!

ثم سكت هنيهة ثم نظر إلى جلسائه فقال إنا لا نقول إن هذه من كتب على بن أبى طالب، ولكن نقول هذه من كتب أبى بكر الصديق، كانت عند ابنه محمد، فنحن ننظر فيها ونأخذ منه. قال فلم تزل تلك الكتب فى خزائن بنى أمية حتى ولى عمر بن عبد العزيز، فهو الذى أظهر أنها من أحاديث على بن أبى طالب عليه السلام وكلامه.

ثم قال ابن أبى الحديد:

الأليق أن يكون الكتاب الذى كان مع معاوية ينظر فيه ويعجب منه ويفتى به ويقضى بقضاياه وأحكامه هو عهد على بن أبى طالب إلى الأشتر، فإنه نسيج وحده، ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة، وهذا العهد صار إلى معاوية لما سم الأشتر ومات قبل وصوله إلى مصر، فكان ينظر فيه ويعجب منه، وحقيق مثله أن يقتنى فى خزائن الملوك[1].

والرسالة موجودة بنصها فى نهج البلاغة، ومنها نهل ابن خلدون نظرياته عن العمران..

شهادة ابن أبى الحديد[2]

وبعد أن أوردنا شهادة معاوية بن أبى سفيان، نورد شهادة ابن أبى الحديد شارح نهج البلاغة، الذى قال فى مقدمة شرحه:

وما أقول فى رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام فى شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة فى إطفاء نوره والتحريض عليه ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة أو يرفع له ذكرًا، حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة وسموًا،

(١) شرح نهج البلاغة جـ ٣ ص ٢٨.
(٢) المرجع نفسه.

وكان كالمسك كلما ستر انتشر عَرْفه، وكلما كتم تضوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح وكضوء النهار أن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

وما أقول فى رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهى إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة؟

وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهى؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومن كلامه عليه السلام اقتبس وعنه نقل وإليه انتهى ومنه ابتدأ، فإن المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر ـ ومنهم تعلم الناس هذا الفن ـ تلامذته وأصحابه، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه وأبوه تلميذه عليه السلام.

وأما الأشعرية فإنهم يتتمون إلى أبى الحسن على بن إسماعيل بن أبى بشر الأشعرى، وهو تلميذ أبى على الجبائى، وأبو على أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم، وهو على بن أبى طالب عليه السلام.

وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن العلوم علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكل فقيه فى الإسلام فهو عيال عليه ومستفيد من فقهه.

أما أصحاب أبى حنيفة كأبى يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبى حنيفة.

وأما الشافعى فقرأ على محمد بن الحسن فيرجع فقهه أيضًا إلى أبى حنيفة.

وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعى فيرجع فقهه أيضا إلى أبى حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر الصادق عليه السلام وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام وينتهى الأمر إلى على عليه السلام.

وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأى، وقرأ ربيعة على عكرمة، و قرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على علىّ بن أبى طالب.

وإن شئت فرددت إليه فقه الشافعى بقراءته على مالك كان لك ذلك!!! فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر.

وأيضًا فإن فقهاء الصحابة كانوا عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وكلاهما أخذ عن على عليه السلام. أما ابن عباس، فظاهر وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه فى كثير من المسائل التى أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، و قوله غير مرة لولا علىّ لهلك عمر، وقوله لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن، وقوله لا يفتين أحد فى المسجد وعلىّ حاضر، فقد عرف بهذا الوجه أيضًا انتهاء الفقه إليه.

وقد روت العامة والخاصة قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أقضاكم علىّ».

والقضاء هو الفقه، فهو إذًا أفقههم. وروى الكل أيضًا أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضيًا: «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه»، قال [علىّ] فما شككت بعدها فى قضاء بين اثنين.

وهو عليه السلام الذى أفتى فى المرأة التى وضعت لستة أشهر، وهو الذى قال فى المنبرية صار ثمنها تسعًا، وهذه المسألة لو فكر الفرضى [صاحب علم الفرائض] فيها فكرًا طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهة واقتضبه ارتجالاً.

ومن علوم الدين علم تفسير القرآن، وعنه أخذ ومنه فرع، وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس فى ملازمته له وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه، وقيل له أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

ومن العلوم علم الطريقة و الحقيقة وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن فى جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون وعنده يقفون، وقد صرح بذلك

الشبلي والجنيد وسرى وأبو يزيد البسطامي وأبو محفوظ معروف الكرخي وغيرهم.

ومن العلوم علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذى ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبى الأسود الدؤلى جوامعه وأصوله، من جملتها: الكلام كله ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف، ومن جملتها تقسيم الاسم إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات لأن القوة البشرية لا تفى بهذا الحصر ولا تنهض بهذا الاستنباط.

مصدر علوم الإمام

لقد كان الإمام على بن أبى طالب بالدليل والبرهان العملى باب مدينة علم رسول الله ﷺ، ولكن، من أين جاء الإمام على بن أبى طالب عليه السلام بكل هذا العلم؟؟

يقول سلام الله عليه[1]:

وقد علمتم موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة: وضعنى فى حجره وأنا وليد يضمنى إلى صدره، ويكنفنى فى فراشه، ويمسنى جسده ويشمنى عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لى كذبة فى قول ولا خطلة فى فعل.

ولقد قرن الله تعالى به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علمًا، ويأمرنى بالاقتداء به، ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيرى، ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحى والرسالة وأشم ريح النبوة.

فمن غير على بن أبى طالب عليه السلام أتيح له مثل هذا؟؟!!.

(١) نهج البلاغة خطبة ١٩٢.

لقد كان أصحاب النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يتبركون به وبآثاره وبعرقه وبشعره!! حتى لقد غلا البعض فيهم وأسبغ عليهم صفات القداسة لمجرد أنهم رأوه وسمعوا منه، فما بالك بابن عمه وربيبه ووزيره الذى ربى فى حجره ونام فى فراشه وتلقى الموت مراراً وتكراراً بدلاً عنه وفداه بنفسه فى كل تلك المواضع التى تزلزل فيها الأبطال ونكص فيها الرجال؟؟!!.

وما بالك بمن زوّجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وخطب يوم زواجهما قائلاً:

«الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع لسلطانه المهروب إليه من عذابه، النافذ أمره فى أرضه وسمائه، الذى خلق الخلق بقدرته ونيرهم بأحكامه وأعزّهم بدينه وأكرمهم بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم. إنّ الله عزّ وجلّ جعل المصاهرة نسبًا لاحقًا وأمرًا مفترضًا وحكمًا عادلاً وخيراً جامعًا، أوشج بها الأرحام وألزمها الأنام. فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) ﴾[الفرقان: ٥٤]، وأمر الله يجرى إلى قضائه، وقضاؤه يجرى إلى قدره، ولكلّ أجل كتاب ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) ﴾[الرعد: ٣٩]، ثمّ إنّ الله تعالى أمرنى أن أزوّج فاطمة من علىٍّ، وأشهدكم أنّى زوّجت فاطمة من علىٍّ على أربعمائة مثقال فضة إن رضى بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة، فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمّة، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم» - انظر الطبقات الكبرى لابن سعد.

نصائح الإمام لكميل

قال كميل بن زياد: أخذ بيدى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فأخرجنى إلى الجبّان (القبور) فلمّا أصحر تنفّس الصّعداء، ثمّ قال:

يا كميل بن زياد، إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها فاحفظ عنى ما

أقول لك : الناس ثلاثة، فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق .

يا كميل، العلم خير من المال : العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النّفقة، والعلم يزكو على الإنفاق وصنيع المال يزول بزواله . يا كميل بن زياد، معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطّاعة فى حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه . يا كميل ابن زياد، هلك خزّان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدّهر، أعيانهم مفقودة، أمثالهم فى القلوب موجودة . ها، إنّ ها هنا لعلمًا جمّا (وأشار إلى صدره) لو أصبت له حملةً! بلى أصبت لقنًا غير مأمون عليه مستعملاً آلة الدّين للدّنيا ومستظهراً بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه أو منقادًا لحملة الحقّ، لا بصيرة له فى أحنائه، ينقدح الشّك فى قلبه لأوّل عارض من شبهة ألا، لا ذا ولا ذاك! أو منهومًا باللذّة، سلس القياد للشّهوة، أو مغرمًا بالجمع والادّخار، ليسا من رعاة الدّين فى شىء، أقرب شىء شبهًا بهما الأنعام السّائمة! كذلك يموت العلم بموت حامليه . اللّهمّ بلى! لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة، إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفًا مغموراً، لئلاّ تبطل حجج الله وبيّناته . وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك - والله - الأقلّون عددًا، والأعظمون قدرًا، يحفظ الله بهم حججه وبيّناته، حتّى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى، أولئك خلفاء الله فى أرضه، والدّعاة إلى دينه، آه آه شوقًا إلى رؤيتهم[1]!.

وقال عليه السلام :

اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإنّ رواة العلم كثير، ورعاته قليل .

---

(١) نهج البلاغة .

وقال أيضًا :

خذ الحكمة أنّى كانت، فإنّ الحكمة تكون فى صدر المنافق فتتلجلج فى صدره حتّى تخرج فتسكن إلى صواحبها فى صدر المؤمن.

وقال عليه السلام :

من نصب نفسه للنّاس إمامًا فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم النّاس ومؤدّبهم.

ولما سئل الإمام عن الخير ما هو؟ قال :

ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكنّ الخير أن يكثر علمك، وأن يعظم حلمك، وأن تباهى النّاس بعبادة ربّك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله. ولا خير فى الدّنيا إلاّ لرجلين : رجل أذنب ذنوبًا فهو يتداركها بالتّوبة، ورجل يسارع فى الخيرات. ولا يقلّ عمل مع التّقوى، وكيف يقلّ ما يتقبّل؟.

وقال أيضا مرغبًا فى الإقبال على العلم :

كلّ وعاء يضيق بما جعل فيه إلاّ وعاء العلم، فإنّه يتّسع.

***

يأخذك الإمام إلى عالم الحكمة الأوسع، الذى يتعين على المسلم أن يجوب فى أرجائه وأن يسبح فى فضائه، فيأخذ منه ما ينفعه وينفع الناس، ويدعوك إلى أخذ العلم أينما وجدته، ولا يقيدك بقيد، اللهم إلا قيد واحد هو طلب العلم والحكمة.

عندما يقول لك الإمام : فتش عن الحكمة أينما تجدها، حتى ولو كانت عند المنافقين، فإنه يرفع عنك أى قيد، مذهبى أو فقهى أو حزبى، فإذا كنت تفتش عنها حتى عند المنافقين فما بالك بغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى، خاصة الكتابية منها؟ يدعوك إلى الحوار الإنسانى مع كل أصحاب العلم من كافة أصناف البشر من المسلمين أو غير المسلمين، تستفيد وتفيد وتعلم وتتعلم.

المسلمون، ولسوء حظهم، لم يأخذوا بوصية الإمام على عليه السلام لهم أن يعقلوا الأخبار عقل الدراية والفهم والعمق (خبر تدريه خير من ألف خبر ترويه) مفضلين على ذلك عقل الرواية التى تورد الأخبار والروايات الدينية التى تتناقض فيما بينها وتتناقض مع قواعد العقل والمنطق.

الإمام على والزهد

لقد علّم الإمام على بن أبى طالب سلام الله عليه الدنيا، الزهد الثورى الواعى الذى هو نقيض الزهد الانهزامى.

الزهد الثورى هو زهد الواجد لا زهد الفاقد.

الزهد الثورى هو زهد القادر على نيل الدنيا، وكان الكثير منها بين يديه قبل الخلافة، ثم أصبحت كلها تحت أقدامه بعد الخلافة، ولكنه أصر على إبعادها وطلقها قائلاً لها قد باينتك ثلاثًا، غُرى غيرى!.

من حكم الإمام

الرّاضى بفعل قوم كالدّاخل فيه معهم، وعلى كل داخل فى باطل، إثمان: إثم العمل به، وإثم الرّضى به.

احصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك.

من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم.

قال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه:

لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل، ويرجّى التّوبة بطول الأمل، يقول فى الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الرّاغبين، إن أعطى منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتى، ويبتغى الزيادة فيما بقى، ينهى ولا ينتهى، ويأمر بما لا يأتى، يحب الصّالحين ولا يعمل عملهم،

ويبغض المذنبين وهو أحدهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه، ويقيم على ما يكره الموت له، إن سقم ظلّ نادمًا، وإن صحّ أمن لاهيًا يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلى إن أصابه بلاء دعا مضطرّا، وإن ناله رخاء أعرض مغترّا، تغلبه نفسه على ما يظنّ، ولا يغلبها على ما يستيقن، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه، ويرجو لنفسه بأكثر من عمله، إن استغنى بطر وفتن، وإن افتقر قنط ووهن، يقصّر إذا عمل، ويبالغ إذا سأل، إن عرضت له شهوة أسلف المعصية وسوّف التّوبة، وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملّة، يصف العبرة ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة ولا يتّعظ، فهو بالقول مدلّ، ومن العمل مقلّ، ينافس فيما يفنى، ويسامح فيما يبقى، يرى الغنم مغرمًا، والغرم مغنمًا، يخشى الموت ولا يبادر الفوت، يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره، فهو على النّاس طاعن، ولنفسه مداهن، اللّهو مع الأغنياء أحبّ إليه من الذّكر مع الفقراء، يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره، يرشد غيره ويغوى نفسه، فهو يطاع ويعصى، ويستوفى ولا يوفى، ويخشى الخلق في غير ربّه، ولا يخشى ربّه في خلقه.

وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام:

يا بنيّ احفظ عني أربعًا وأربعًا، لا يضرّك ما عملت معهنّ:

إنّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العجب، وأكرم الحسب حسن الخلق. يا بنيّ، إيّاك ومصادقة الأحمق، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك. وإيّاك ومصادقة البخيل، فإنّه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر فإنّه يبيعك بالتّافه، وإيّاك ومصادقة الكذّاب، فإنّه كالسّراب، يقرّب عليك البعيد، ويبعّد عليك القريب.

وقال عليه السلام:

الجود حارس الأعراض، والحلم فدام [لجام] السّفيه، والعفو زكاة الظّفر، والسلوّ عوضك ممّن غدر، والاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى

برأيه، والصّبر يناضل الحدثان والجزع من أعوان الزّمان، وأشرف الغنى ترك المنى، وكم من عقل أسير تحت هوى أمير! ومن التّوفيق حفظ التّجربة، والمودّة قرابة مستفادة، ولا تأمننّ ملولاً.

وقال أيضًا:

من ملك استأثر ومن استبدّ برأيه هلك، ومن شاور الرّجال شاركها في عقولها، ومن كتم سرّه كانت الخيرة بيده.

وقال عليه السلام:

الفقر الموت الأكبر.

وقال عليه السلام:

أزرى بنفسه من استشعر الطّمع، ورضي بالذلّ من كشف ضرّه، وهانت عليه نفسه من أمّر عليها لسانه، والبخل عار، والجبن منقصة، والفقر يخرس الفطن عن حجّته، والمقلّ غريب في بلدته، والعجز آفة، والصّبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جُنّة، ونعم القرين الرّضى، والعلم وراثة كريمة، والأدب حلل مجدّدة، والفكر مرآة صافية، وصدر العاقل صندوق سرّه، والبشاشة حبالة المودّة، والاحتمال قبر العيوب.

الطّمع رقّ مؤبّد.

أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع.

الطّامع في وثاق الذلّ.

بئس الزّاد إلى المعاد العدوان على العباد.

لا يزهدنّك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد تدرك من شكر الشّاكر أكثر ممّا أضاع الكافر، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

أوّل عوض الحليم من حلمه أنّ النّاس أنصاره على الجاهل.

إن لم تكن حليمًا فتحلّم، فإنّه قلّ من تشبّه بقوم إلاّ أوشك أن يكون منهم.

أنت منى بمنزلة هارون من موسى

لو كان حفظ الدين متوقفًا على عموم الصحابة لما استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله، عليها يوم تبوك ولما قال له والعهدة على البخارى (أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى).

إنها الرواية التى نرى فى حدها الحد بين الجد واللعب، فقد ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه تاركًا قومه أى أصحابه فى عهدة هارون عليه السلام ولم يترك الدين عهدة أصحابه وفيهم السامرى صاحب الباع الكبير فى الحيل والألاعيب التى أضل بها أمة بأسرها فضلها الله آنئذ على العالمين.

لم يحفظ أصحاب موسى عليه السلام وصيته لهارون **﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]**. وأعرضوا عن نصيحة هارون عليه السلام الذى حذرهم ونبههم من خطورة الحفرة التى قادهم إليها السامرى رغم أنه كان من أصحاب موسى وهكذا فقد تعبد القوم بأهوائهم وخالفوا وصية نبيهم واقرأ معى ما قاله رب العزة عمن خالفوا هارون عليه السلام فى سورة طه.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا ابْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ

بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي (٩٤) قال فما خطبك يا سامري (٩٥) قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي (٩٦) قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا (٩٧) إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علما﴾

[طه: ٨٣ـ٩٨].

إنه الصراع بين (التدين الولائي) و(التدين الأهوائي)

التدين الولائي يقوم على مبدأ الولاء لأئمة أهل البيت حيث لا مجال لألاعيب السامري وكل من كان على شاكلته من عبدة الدرهم والدينار، ممن كان حظهم من الدين لا يزيد على قبضة من أثر الرسول، بل هو سير على صراط مستقيم لا مجال فيه لاتباع السبل فتفرق بكم عن سبيل الله ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [الأنعام: ١٥٣].

السير على درب هارون موسى وهارون محمد هو سير على هدف وبصيرة ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين (١٠٨)﴾ [يوسف: ١٠٨]. بعيداً عن تلك المسارات العشوائية التي آثرها القوم وجعلوا منها طريقهم وديدنهم حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا.

الأمر كان وما زال اختياراً بين طريقين لا ثالث لهما:

إما السير على خطى هارون موسى وهارون محمد أو السير على خطى السامري الذي لم يزد حظه من دين موسى عليه السلام على قبضة من أثر الرسول فكان أن قاد بني إسرائيل وقاد من جاء بعدهم إلى التيه والتخبط والانحراف.

عجل بني إسرائيل وجمل المسلمين!!

نترك (عجل بني إسرائيل) وننتقل إلى (جمل المسلمين) الذي أضل منهم جبلاً كثيراً

عندما أخذهم وانحرف بهم بعيداً عن (هارون محمد) على بن أبى طالب، ونقرأ تلك الكلمات التى رواها أبو مخنف فى تاريخه، والنقل عن ابن أبى الحديد[1] قال: قام رجل إلى علىّ عليه السلام يوم (الجمل) فقال يا أمير المؤمنين أى فتنة أعظم من هذه؟ إن البدرية ليمشى بعضها إلى بعض بالسيف؟ فقال عليه السلام: ويحك أتكون فتنة أنا أميرها وقائدها؟! والذى بعث محمداً بالحق وكرم وجهه ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بى ولا زللت ولا زل بى، وإنى لعلى بينة من ربى بيّنها الله ورسوله لى، وسأدعى يوم القيامة ولا ذنب لى، ولو كان لى ذنب لكفر عنى ذنوبى ما أنا فيه من قتالهم.

قال أبو مخنف: حدثنا مسلم الأعور عن حبة العرنى قال فلما رأى علىّ عليه السلام أن الموت عند الجمل وأنه ما دام قائمًا فالحرب لا تطفأ، وضع سيفه على عاتقه وعطفه نحوه وأمر أصحابه بذلك ومشى نحوه والخطام مع بنى ضبة، فاقتتلوا قتالا شديداً وخلص عليه السلام فى جماعة من النخع وهمدان إلى الجمل، فقال لرجل من النخع اسمه بحير: دونك الجمل يا بحير فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه وضرب بجرانه الأرض وعج عجيجًا لم يسمع بأشد منه، فما هو إلا أن صرع الجمل، حتى فرت الرجال كما يطير الجراد فى الريح الشديدة الهبوب، واحتملت عائشة بهودجها فحملت إلى دار عبد الله بن خلف، وقال عليه السلام لعنه الله من دابة، ما أشبهه بعجل بنى إسرائيل، ثم قرأ ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ﴾

[طه: ٩٧].

إنه منطق الانحراف والاعوجاج (العجلى أو الجملى) لا فارق بينهما وهو ما لا يحتاج إلى تعسف فى التأويل أو التعلل بالأباطيل التى أدمنت تلك الثعالب الروّاغة على التعلل بها والقول بأن الأمر كان مجرد فتنة لايعرف فيها وجه الصواب من الخطأ، أو أن الجميع كانوا مجرد فتنة لا يعرف فيها وجه الصواب من الخطأ، أو أن الجميع كانوا على صواب، وتارة أخرى أن الجميع كانوا مجتهدين مأجورين، أحدهما على صواب والآخر على خطأ. ولا أدرى أى دين هذا الذى يحصل فيه الإنسان على ثواب مقابل فعله الخاطئ، مع أن الله تبارك وتعالى يقول ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]. فما بالك بمن خرج وتمرد على إمام

---

(١) شرح نهج البلاغة.

الحق (هارون محمد) بل وتسبب بتمرده هذا فى سفك دماء آلاف من المسلمين، ما كان ينبغى أن تسفك منها قطرة واحدة بدون مبرر شرعى أخلاقى.

ألم يكن الهدف من هذه الحروب التى شنت على إمام الحق على بن أبى طالب هو صرف الناس عن الاهتداء بهديه، وصد الناس عن الأخذ بوصية رسول الله فى الأخذ بالثقلين الكتاب والعترة لأنهم (لن يخرجوكم من هدى)؟!.

أليس هذا هو الصد عن سبيل الله عز وجل وصراطه المستقيم؟؟ ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِى الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

[الزخرف: ٣٦ـ ٤٤].

على هذا النهج يمكننا أن نقرأ سيرة إمامنا على بن أبى طالب تلك السيرة التى تقدم لنا نهج الاستقامة الأخلاقية الربانية فى مواجهة تلك الحجج التى تدرب عليها القوم وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من تكوينهم العقلى والدينى.

والسؤال الذى يتعين على كل مسلم أن يجيب عليه:

أين نجد الطريق الصحيح لفهم الدين إن لم نجده عند أهل البيت عليهم السلام؟ ومن هو الأقدر على تقديم النموذج الذى يتطابق فيه الأفعال مع الأقوال؟؟!!.

لماذا لم يقاتل على بن أبى طالب؟؟

يقولون: لو كان على بن أبى طالب يرى أنه صاحب حق فلماذا لم يقاتل من أجل استعادة حقه؟؟.

كان جواب (هارون موسى) ردًا على سؤال أخيه موسى عليه السلام ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٣].

﴿يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٤)﴾ [طه : ٩٤].

فالمانع من استخدام العنف والقوة من أجل التصدى لأضاليل وحيل السامرى لم يكن سوى الحرص على وحدة الأمة.

ما كان ينبغى أن يطرح السؤال على هارون موسى أو هارون محمد بل على من أضلهم السامرى . .

كيف ولماذا أضلكم السامرى؟؟

ولذا كان السؤال أولا لقوم موسى ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ [طه : ٨٦].

أما الجواب الباهت فكان: ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ [طه : ٨٧].

العلة التى أبعدت تلك الأمة عن رؤية الصواب هى إصابتها بعمى الألوان وانعدام القدرة على التمييز بين الخطأ والصواب ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا (٨٩)﴾ [طه : ٨٩].

وإذا توجهنا صوب (هارون محمد) على بن أبى طالب لنسأله السؤال نفسه فسنسمع إجابة لا تختلف كثيرًا عن إجابة (هارون موسى) حيث يقول سلام الله عليه فى خطبته المعروفة بالشقشقية (أما والله لقد تقمصها فلان، وإنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى، ينحدر عنى السيل، ولا يقى إلىَّ الطير، فسدلت دونها ثوبًا، وطويت عنها كشحًا، وطفقت أرتئى بين أن أصول بيد جذاء، أو أصير على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفى العين قذًى، وفى الحلق شجًا).

إنها مصلحة الأمة التى حافظ عليها هارون خوفًا من فتنة عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه وضيعها أتباع السامرى.

وهو يرفض جر الأمة معه إلى ساحة معركة شعارها العصبية القبلية فيرفض عرض أبى سفيان المحتج على ولاية القوم كونهم جاءوا من أصغر وأقل بطون قريش شأنا الداعى إلى رفع السيف فى وجههم فيقول سلام الله عليه (أيها الناس، شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة. أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح. هذا ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه. فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت!! هيهات بعد اللتيا والتى! والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه، بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لأضطربتم اضطراب الأرشية فى الطوى البعيدة!).

والمعنى أن إمامنا على بن أبى طالب عليه السلام كان حريصًا كل الحرص على وحدة الأمة وحفظ كيانها حرصه فى الوقت نفسه على استمرار دور الإمامة الإرشادى وهو يفسر رفضه لاستخدام القوة بعلمه الموروث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وضرورة التأنى وإعطاء الأمة مهلة كافية من الزمن لتعيد النظر فى أخطائها، فتختار سبيل الرشد والهداية وتتخلى عن سبيل الغواية الذى خطه سامرى بنى إسرائيل وكل سامرى جاء من بعده!!.

هذه هى حقيقة موقف الإمام على بن أبى طالب من تلك الأحداث التى تلت رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الدنيا، وهو موقف منزه عن كل شبهة لغرض شخصى أو اتباع للهوى حبًا أو بغضًا لشخص بعينه.

على بن أبى طالب يفقأ عين الفتنة

تلك الثعالب الروّاغة ما تفتأ تكرر أن ما جرى فى تلك الفترة كان مجرد (فتنة وقّى الله أيدينا من شرها ونسأل الله أن يقى ألسنتنا منها).

الفتنة التى حذرنا منها كتاب الله هى الضلال والانحراف عن الصواب، وهذا معنى قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. وهى معنى قوله تعالى ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١].

الفتن أنواع منها فتنة المال وفتنة النساء وفتنة الأولاد وفتنة الدجال ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا

أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ [الأنفال: ٢٨]. وكلها أشياء تعمى الإنسان عن رؤية الحقائق، أو تحول بينه وبين اتخاذ ما يتعين عليه اتخاذه من مواقف صارمة نصرة للمظلوم فى وجه الظالم.

الفتنة قد تكون انحرافًا نحو الكفر والضلال أو تكون انحرافًا يقع داخل مسيرة الدين كما فعل السامرى ببنى إسرائيل **﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾** [طه: ٨٥].

الادعاء بأن ما جرى فى صدر تاريخنا الإسلامى كان فتنة لا يعرف فيها وجه الصواب من الخطأ هو تضليل وافتئات على الحقائق الناصعة الواضحة، والأسوأ من هذا أنه قذف لله ولرسوله بأنهم تركوا الأمة من دون قائد ولا دليل.. من دون منار هدى أو علم يرى!!.

ولا أدرى كيف يكون الامتناع عن ذم الخطأ وإدانة المخطئين نوعًا من التقوى والورع أو من شيم عباد الله الصالحين؟!.

بينما يقول إمامنا علىّ عليه السلام (واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذى تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذى نبذه فالتمسوا ذلك من عند أهله فإنهم عيش العلم، وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم، وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق، وصامت ناطق).

إنه ورع أبناء الأفاعى الذين إن سرق فيهم الضعيف الجائع قطعوه وإن سرق فيهم القوى عينوه، فهو من وجهة نظرهم أفضل من يحفظ أموال المسلمين.

أما عباد الله الصالحين فهم موصوفون فى كتاب الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ [المائدة: ٥٤ - ٥٦].

إنهم المؤمنون الموالون لعلى ولأهل البيت من بعده وهم من كانت صفاتهم على هذه الصورة ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]. أما إمامهم ووليهم فهو على بن أبى طالب ﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥]. وهو من أشار إليه رب العزة فى هذه الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]. فكان إعطاؤه الصدقة حال ركوعه علامة على ولايته للمؤمنين وتفقده لأحوالهم ورعاية لشأنهم فى كل وقت وحين فلم تمنعه صلاته ووقوفه أمام الله عز وجل عن صلة ذلك السائل المسكين الذى تلهى عنه الباقون فلم يعطه أحد شيئًا.

وهو ما ذكره الطبرى[1] قال: حدثنا إسماعيل بن إسرائيل الرملى، قال: حدثنا أيوب بن سويد، قال: حدثنا عتبة بن زبى حكيم فى هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال: على بن أبى طالب.

حدثنى الحارث، قال: حدثنا عبد العزيز قال: حدثنا غالب بن عبيد الله قال: سمعت مجاهداً يقول فى قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية قال: نزلت فى على ابن أبى طالب، تصدق وهو راكع.

أما القرطبى[2] فزاد الأمر إيضاحًا فقال: وقال ابن عباس: نزلت فى على ابن أبى طالب رضي الله عنه، وقاله مجاهد والسدى وذلك أن سائلاً سأل فى مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطه أحد شيئًا، وكان على فى الصلاة فى الركوع وفى يمينه خاتم، فأشار إلى السائل بيده حتى أخذه.

لقد شكلت أحداث تلك الفترة علامة فارقة فى تاريخ الإسلام فى الصراع بين النهجين السالفين: نهج السامرى العجلى والجملى والنهج العلوى المحمدى نهج الاستقامة على صراط الله المستقيم تصوراً وسلوكًا وأخلاقًا.

نحن نعتقد أن مواقف الإمام على بن أبى طالب وأئمة أهل البيت المضحين من بعده، شكلت تلك العلامات الفارقة بين الحق والباطل والصواب والخطأ.

---

(١) جامع البيان فى تفسير القرآن.
(٢) الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبى».

تلك العلامات التى بقيت نبراسًا ومنهجًا للسائرين على طريق الحق الراغبين بحق فى العودة إلى دين الله ومنهجه، لا يبقى معها ثمة حاجة للتخبط أو التلفت ذات اليمين وذات اليسار، بحثًا عن تشخيص دقيق لسبب أزمات المسلمين القديمة والمعاصرة، وسر تنكبهم عن ركب التقدم العالمى، ولماذا يحصلون الآن وقبل الآن على أدنى تقييم فى سلم الحضارة الإنسانية.

إنه طريق الفتنة الذى اختاره القوم بمحض إرادتهم، فكان أن استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير، وضربت عليهم الذلة والمسكنة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون على أولياء الله الصالحين وعترة المصطفى الأمين، وها هى العلل والأمراض الاجتماعية تفتك بهم بتحللهم من عهودهم ومواثيقهم واستمرائهم الكذب على الله ورسوله سعيًا لدوام الحال ورغم أن هذا يعد ضربًا من المحال!!!.

اقرأ معى ما قاله مولى المتقين وهو يحذر الأمة من الوقوع فى شباك الضالين المضلين:

إن الشيطان يسنى لكم طرقه، ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة، وبالفرقة الفتنة فاصدفوا عن نزعاته ونفاثته، واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم، واعقلوها على أنفسكم.

ثم يقول مرة أخرى:

وقام إليه عليه السلام رجل فقال: أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال عليه السلام: لما أنزل الله سبحانه قوله: ﴿**الٓمٓ (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢)**﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٢]، علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا. فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التى أخبرك الله بها؟ فقال «**يا على، إن أمتى سيفتنون من بعدى**». فقلت: يا رسول الله، أوليس قد قلت لى يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت عنى الشهادة، فشق ذلك علىَّ، فقلت لى: «**أبشر، فإن الشهادة من ورائك**»؟. فقال لى: «**إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن**»؟. فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن

الصبر، ولكن من مواطن البشرى والشكر. وقال: «**يا على، إن القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويأمنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية، فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع**». قلت: يا رسول الله، فبأى المنازل أنزله عند ذلك؟ أبمنزلة ردة، أم بمنزلة فتنة؟ فقال: «**بمنزلة فتنة**»[1].

ثم يوضح الإمام علىّ عليه السلام أهمية مواقفه فى مواجهة تلك الفتن التى أبعدت المسلمين عن الصراط المستقيم.

أما بعد، أيها الناس فإنى فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيرى بعد أن ماج غيهبها، واشتد كلبها[2].

الذى نخلص إليه أن مواقف الإمام علىّ عليه السلام الأخلاقية الصارمة من تلك الأحداث والفتن التى عاشتها الأمة الإسلامية بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الدنيا ونصبها، قدمت للأمة المعيار الحقيقى الذى يمكن من خلاله التعرف على صدق الإيمان والعقيدة وصوابية الموقف، وكان الأمر مصداقًا لما قاله رسول الله ورواه عنه أبو سعيد الخدرى، قال: كنا جلوسًا ننظر رسول الله ﷺ فخرج إلينا قد انقطع شسع نعله، فرمى به إلى على رضي الله عنه فقال: **إن منكم من يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتل على تنزيله** فقال أبو بكر: أنا؟ قال: **لا**، قال عمر: أنا؟ قال **لا ولكن خاصف النعل**. رواه النسائى فى الخصائص.

تلك هى القضية، وهذا هو سر تمسكنا بولاء أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام والأئمة من مولده.

فليسمه الناس تشيعًا أو رفضًا أو كفرًا أو ما شاءوا!!!.

﴿**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦)**﴾ [سبأ: ٢٤ـ٢٦].

الإمام على وطبيعة المجتمع المسلم

لا ينبغى للمشتغل بالشأن العقائدى أن يغفل عن الطبيعة البشرية التى تحكم وتتحكم فى سلوك المؤمنين بأى ديانة أو مذهب.

(١) نهج البلاغة خطبة ١٥٦.
(٢) المرجع نفسه خطبة ٩١.

إنها قاعدة لا تقبل أى نوع من الاستثناء!!.

ومهما كانت قيمة أو عظمة المعتقد الذى يتبناه الإنسان، فالطبيعة الإنسانية والظروف الاجتماعية، بل والأحوال المناخية، تؤثر بدورها على سلوك المؤمنين بأى دين أو مذهب.

ألم يتعلل البعض بالحر فى قعودهم عن نصرة رسول الله والجهاد معه يوم العسرة، حيث قال من قال منهم ﴿لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ [التوبة: ٨١] ورد عليهم سبحانه وتعالى: قال نار جهنم أشد حرًا ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١)﴾ [التوبة: ٨١].

ألم يقل الإمام على بن أبى طالب مخاطبًا من كان معه (فيا عجبًا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم!! فقبحًا لكم وترحًا حين صرتم غرضًا يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون!! ويعصى الله وترضون!!.

فإذا أمرتكم بالسير فى الحر، قلتم هذه حمّارة القيظ.. أمهلنا يسبّخ عنا الحر!! وإذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء، قلتم هذه صبارة القر أملهنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارًا من الحر والقر!!

فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر!!!.

يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم)[١].

لم يكن كل عسكر الإمام على هذه الصورة الشائهة، بل كان منهم العظماء الأفذاذ المضحون، مثل قيس بن سعد بن عبادة وأبى أيوب الأنصارى وعمار بن ياسر وأبى الهيثن بن التيهان وذى الشهادتين خزيمة بن ثابت ومالك الأشتر النخعى، الذين ذكرهم الإمام وتوجع على استشهادهم حيث يقول سلام الله عليه:

ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم - وهم بصفين - ألا يكونوا اليوم أحياءً؟ يسيغون الغصص، ويشربون الرنق! قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار

(١) نهج البلاغة خطبة ٢٧.

الأمن بعد خوفهم. أين إخوانى الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟ أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟قال ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة، فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام أوه على إخوانى الذين تلوا القرآن فأحكموه وتدبروا الغرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوه، ووثقوا بالقائد فاتبعوا[١].

ويصف مالك الأشتر عندما أرسله إلى مصر واليًا عليها: أما بعد، فقد بعثت إليكم عبدًا من عباد الله عز وجل، لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروع، أشد على الفجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق، فإنه سيف من سيوف الله، لا كليل الظبة، ولا نابى الضريبة، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يقدم ولا يحجم، ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمرى، وقد آثرتكم به على نفسى لنصيحته لكم، وشدة شكيمته على عدوكم[٢].

إنها طبيعة البشر ونحن لا نزعم أن التشيع لأهل البيت، ينقل صاحبه من الحالة البشرية إلى حالة ملائكية، فالتشيع معتقد، هو قلب الإسلام ولكنه ليس حالة زائدة على المألوف الدينى.

التشيع ليس بالضرورة حالة صوفية تصعد بالمريدين درجات سلم القرب الإلهى، بل هو موقف عقائدى قلبى جهادى يمكن أن يتبناه الصادق وغير الصادق، كما أن أحدًا لا يزعم أن كل من كانوا مع الإمام على بن أبى طالب هم ممن ينطبق عليهم وصف التشيع لأهل البيت، فهم كانوا فى أغلبهم من جمهور المسلمين بحسناتهم وسيئاتهم.

مقتل الإمام

أى ضيق وضنك هذا الذى عاناه الإمام علىّ وهو يحاول دفع الأمة نحو الاستقامة والابتعاد عن طرق الأهواء المتعرجة التى لم يكن أحد من أهل تلك البدايات يعرف أين تنتهى بأصحابها وسالكيها، ولكننا نحن وقد أصبحنا فى النهايات نعرف أين انتهت بنا تلك الانحرافات والاعوجاجات.

(١) نهج البلاغة خطبة ١٨٢.
(٢) المرجع نفسه رسالة رقم ٣٨.

كان الإمام على بن أبى طالب يقاتل ويقاتل على تأويل القرآن، وهو ما أخبر به رواة الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **«إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله وهو على بن أبى طالب»**[1].

والمعنى أن الإمام كان يحارب من أجل أن يفسر ويطبق الدين تطبيقًا صحيحًا وأن يجرى العمل بجوهره، حتى لا يصبح الدين شكلا بلا مضمون.. طقوسًا تقام هنا وهناك فى حين نحيت قيم الإسلام ومفاهيمه الحقيقية من حرية وعزة عن كل ما سوى الله، ومن عمل فى سبيل العدالة والمساواة، بإخلاص وشموخ، كخلفاء لله على الأرض، كرمهم الله وفضلهم وسخر لهم الكون.

قال أبو الفرج الأصفهانى[2]:

كان ابن ملجم من قبيلة مراد، فأقبل حتى قدم الكوفة، فزار رجلاً من أصحابه ذات يوم، فصادف عنده قطام بنت الأخضر بن شجنة من تيم الرباب، وكان الإمام علىّ قتل أباها وأخاها بالنهروان[3]، وكانت من أجمل نساء أهل زمانها، فلما رآها ابن ملجم شغف بها فخطبها، فقالت له ما الذى تسمى لى من الصداق؟ فقال لها احتكمى ما بدا لك، فقالت: ثلاثة آلاف درهم ووصيفًا وخادمًا، وقتل على بن أبى طالب، فقال لها: لك جميع ما سألت، فأما قتل على فأنى لى بذلك؟ فقالت: تلتمس غرته، فإن أنت قتلته شفيت نفسى وهنأ لك العيش معى، وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا، قال لها: أما والله أقدمنى هذا المصر وقد كنت هاربًا منه لا آمن مع أهله إلا ما سألتنى من قتل علىّ، فلك ما سألت. قالت له: فأنا طالبة لك بعض من يساعدك على ذلك ويقويك. ثم بعثت إلى وردان بن مجالد من تيم الرباب فخبرته الخبر وسألته معونة ابن ملجم لعنه الله، فتحمل ذلك لها وخرج ابن ملجم فأتى رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة فقال له: يا شبيب، هل لك فى شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما هو؟ قال تساعدنى على قتل على بن أبى طالب، وكان شبيب على رأى الخوارج، فقال له يا بن ملجم هبلتك الهبول، لقد جئت شيئًا إدًّا، وكيف تقدر على ذلك؟ قال له ابن ملجم: نكمن له فى المسجد الأعظم، فإذا خرج لصلاة الفجر فتكنا به

---

(١) رواه النسائى وابن المغازلى.

(٢) مقاتل الطالبين.

(٣) عند قتاله الخوارج، الذين خرجوا عليه لما قبل التحكيم بينه وبين معاوية على أساس القرآن.

فقتلناه، فإذا نحن قتلناه شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، فلم يزل به حتى أجابه، فأقبل معه حتى دخل على قطام وهى معتكفة فى المسجد الأعظم قد ضربت عليها قبة، فقالا لها قد اجتمع رأينا على قتل هذا الرجل. قالت لهما: فإذا أردتما ذلك فالقيانى فى هذا الموضع. فانصرفا من عندها، فلبثا أياما ثم أتياها ليلة الجمعة لتسع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين ـ وفى رواية أنها كانت سبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ـ فتقلدوا سيوفهم ومضوا فجلسوا مما يلى السدة التى كان يخرج منها أمير المؤمنين إلى الصلاة.

وذكر أبو الفرج أن ابن ملجم أتى إلى الأشعث بن قيس فى الليلة التى أراد فيها بعلىّ ما أراد، والأشعث فى بعض نواحى المسجد، فسمع حُجر بن عدى الأشعث يقول لابن ملجم النجاء النجاء لحاجتك، فقد فضحك الصبح، فقال له حُجر: قتلته يا أعور، وخرج مبادراً إلى علىّ، وأسرع ابن ملجم فضرب عليّا وأقبل حجر والناس يقولون: قتل أمير المؤمنين.

ويروى أبو الفرج عن عبد الله بن محمد الأزدى قال:

إنى لأصلى تلك الليلة فى المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلون فى ذلك الشهر من أول الليل إلى آخره، إذ نظرت إلى رجال يصلون قريبًا من السدة قيامًا وقعوداً وركوعًا وسجوداً ما يسأمون، إذ خرج علىّ لصلاة الفجر، فأقبل ينادى الصلاة الصلاة، فما أدرى أنادى أم رأيت بريق السيف؟ وسمعت قائلاً يقول الحكم لله يا علىّ لا لك ولا لأصحابك، ثم رأيت بريق سيف آخر ثانيًا، فضربه شبيب بن بجرة ضربة فأخطأته وضربه ابن ملجم فأثبت الضربة فى وسط رأسه وسَمعت عليّا يقول لا يفوتنكم الرجل، وشد الناس عليه من كل ناحية حتى أخذوه. ثم أدخل ابن ملجم على علىّ، ودخلت عليه فيمن دخل، فسمعت عليّا يقول: النفس بالنفس، إن أنا مت فاقتلوه كما قتلنى، وإن سلمت رأيت فيه رأيى، فقال ابن ملجم والله لقد ابتعته بألف وسممته بألف، فإن خاننى فأبعده الله. قال: ونادته أم كلثوم: يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين قال: إنما قتلت أباك، قالت يا عدو الله إنى لأرجو أن لا يكون عليه بأس، قال لها: فأراك إنما تبكين عليّا، إذاً والله لقد ضربته ضربة لو قسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم.

ثم جاء الناس حين انصرفوا من صلاة الصبح بابن ملجم لعنه الله ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم سباع، وهم يقولون له: يا عدو الله ماذا فعلت؟ أهلكت أمة محمد صلى الله عليه وآله وقتلت خير الناس، وإنه لصامت ما ينطق.

الذين مدحوا قتلة الإمام!!

يروى ابن الأثير(1): لما قتل ابن ملجم المرادى الإمام على بن أبى طالب مدحه (مدح ابن ملجم!!) ابن أبى مياس المرادى بقوله:

فنحن ضربنا يا لك الخير حيدر ... أبا حسن مأمومة فتقطرا
ونحن خلعنا ملكه من نظامه ... بضربة سيف إذ علا وتجبرا
ونحن كرام فى الصباح أعزة ... إذا المرء بالموت ارتدى وتأزرا

وقال أيضًا:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة ... كمهر قطام بين فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب علىّ بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وإن غلا ... ولافتك إلا دون فتك ابن ملجم

لك أن تعجب أخى المسلم من هؤلاء والعجب قليل!!

وأحد الذين روى لهم البخارى فى صحيحه، عِمران بن حطّان السدوسى البصرى الذى مدح ابن ملجم بشعره.

وصية الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أوصى به أمير المؤمنين على بن أبى طالب: أوصى بأنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلوات الله وبركاته عليه ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

---
(١) الكامل فى التاريخ جـ ٢.

أوصيك يا حسن وجميع ولدى وأهل بيتى ومن بلغه كتابى هذا بتقوى الله ربنا، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، فإنى سمعت رسول الله يقول: إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وأن المبيدة الحالقة للدين فساد ذات البين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب..

الله.. الله فى الأيتام فلا تغبوا أفواههم بجفوتكم

والله الله فى جيرانكم فإنها وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم..

والله الله فى القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم..

والله الله فى الصلاة فإنها عماد دينكم..

والله الله فى بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا وإنه إن خلا منكم لم تنظروا...

والله الله فى صيام شهر رمضان فإنه جُنة من النار...

والله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم...

والله الله فى زكاة أموالكم فإنها تطفئ غضب ربكم....

والله الله فى أمة نبيكم فلا يظلمن بين أظهركم....

والله الله فى أصحاب نبيكم فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى بهم....

والله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معايشكم...

والله الله فيما ملكت أيمانكم فإنها كانت آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وآله.

***

الفصل الثالث

اضطهاد الشيعة بعد رحيل الإمام

لم يكن الإمـام على بن أبى طالب عليه السلام بالذى يخـاف الموت، وهو الذى جندل صناديد الشرك من بنى أمية وعمرو بن عبد ود ويهود خيبر، وهو الذى طالما رأى أشقى الناس عبد الرحمن بن ملجم أمامه وكان يعلم مراده، فقال ليسمعه:

أريـــد حياته ويريد قتلى ... عذيرك من خليـــل من مراد

ولذا وقبل أن يرحل إمامنا على بن أبى طالب عليه السلام عن هذه الدنيا ليستريح من نصبها وتعبها، أوصى شيعته وأعلمهم بما سيجرى عليهم من الابتلاء فها هو يقول:

أمـا إنّه سيظهـر عليكم بعدى رجل رحب البلعـوم، مندحق البطن يأكل مـا يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه! ألا وإنّه سيأمركم بسبّى والبراءة منّى؛ فأمّا السّب فسبّونى، فإنّه لى زكاة، ولكم نجاة؛ وأما البراءة فلا تتبرءوا منّى، فإنّى ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة [1].

أما لماذا اعتمد معاوية سياسة سب الإمام على بن أبى طالب وشتمه على المنابر وعرض الناس للبراءة منه، فالسبب كان أعمق بكثير من مجرد التشفى والانتقام من الإمام، بل كان الهدف هو اجتثاث بذرة التشيع للإمام على ولأهل البيت عليهم السلام من خلال القضاء على تلك النواة الشيعية الصلبة الملتفة حول الإمام.

الذين كانوا مع الإمام لم يكونوا جميعًا من العارفين بحقه على الصورة التى ذكرناها سابقا، بل كان من بينهم ممن لم يؤتوا من العلم والمعرفة إلا قليلا، وهذا هو دأب الناس فى كل زمان ومكان، فمنهم العالم الربانى، ومنهم العوام الذين يكتفون بمعرفة أبسط قواعد الإسلام، ومنهم الشياطين الذين يسعون فى الأرض فساداً.

كان الصنف الأول هو المستهدف بالتصفية من معاوية بن أبى سفيان، فما أن ينطق بكلمة احتجاج حتى يقتل وتلقى جثته تحت التراب أو يدفن حيّا، أما الصنف الثانى

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٥٦.

فكان مستهدفًا هو الآخر، ولكن بالتغييب ومحو الذاكرة من خلال سياسة الإصرار على سب الإمام على المنابر فى كل صلاة جمعة.

تكشف لنا هذه السياسة الأموية الاستئصالية عن السبب وراء حالة الفزع التى قد تنتاب البعض حينما يتهم بأنه من الشيعة، حيث كانت هذه التهمة تعنى القتل، أو تمضية ما تبقى من العمر فى غياهب السجون، ومهما حاولنا أن نشرح للناس أو نفصل أن المقصود بكلمة شيعة هو التشيع لعلى بن أبى طالب وأهل البيت، وأن مثل هذا التشيع والانتماء هو مصدر فخر لصاحبه ولا يمكن أن يكون العكس صحيحًا، فالحاجز النفسى الذى تراكم عبر تلك القرون المتطاولة، والذى أسسه الأمويون وسار على منواله العباسيون، وكثير ممن تلوهم ممن حكم المسلمين ما زال قائمًا بين أبناء الفرق والتيارات الإسلامية الفكرية والمذهبية.

معاوية وحربه على الشيعة

يروى المؤرخون:

لما ولّى معاوية بن أبى سفيان على الكوفة المغيرة بن شعبة فى جمادى سنة ٤١هـ دعاه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال له:

أما بعد فإن لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا، وقد قال المتلمس:

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا   وما علم الإنســـــان إلا ليعلما

وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضينى ويسعد سلطانى ويصلح به رعيتى، ولست تاركًا إيصاءك بخصلة: لا تتحم عن شتم على بن أبى طالب وذمه والعيب على أصحاب علىّ والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم، وإطراء شيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم[1].

وظل المغيرة بن شعبة عاملاً على الكوفة سبع سنين وأشهراً، لا يدع ذم على بن أبى طالب والوقوع فيه، فكان حُجر بن عدى إذا سمع ذلك قال بل إياكم فذمم الله ولعن، ثم قام فقال إن الله عز و جل يقول ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥]

(١) تاريخ الرسل والملوك «تاريخ الطبرى» جـ٥ ص ٢٥٤.

وأنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لأحق بالفضل، وأن من تزكون وتطرون هو أولى بالذم. فيقول المغيرة: يا حجر ويحك اتق السلطان، اتق غضبه وسطوته، فإن غضبة السلطان أحيانًا مما يهلك أمثالك. ثم يكف عنه ويصفح، حتى كان فى آخر إمارته قام المغيرة فقال فى علىّ وعثمان كما كان يقول، فقام حجر بن عدى فنعر نعرة بالمغيرة سمعها كل من كان فى المسجد وخارجًا منه وقال: إنك لا تدرى بمن تولع من هرمك أيها الإنسان، مر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا فإنك قد حبستها عنا وليس ذلك لك، ولم يكن يطمع فى ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت مولعًا بذم أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين. فقام معه أكثر من ثلثى الناس يقولون صدق والله حجر وبر، مر لنا بأعطياتنا فإننا لا ننتفع بقولك ذا ولا يجدى علينا شيئًا، وأكثروا فى مثل هذا القول ونحوه.

ثم مات المغيرة سنة إحدى وخمسين. وجاء زياد بن أبيه ـ وفى قول: ابن سمية ـ واليًا على الكوفة، فقام خطيبًا يوم الجمعة، فأطال الخطبة وأخر الصلاة، فقال له حجر ابن عدى الصلاة، فمضى فى خطبته، فلما خشى حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من حصى وثار إلى الصلاة وثار الناس معه، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلى بالناس، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية فى أمره وألح عليه، فأمر معاوية بن أبى سفيان باعتقاله، فلما أخذ وجىء به إلى زياد بعد أن أعطاه الأمان، فقال له زياد: مرحبًا بك أبا عبد الرحمن!! حرب فى أيام الحرب وحرب وقد سالم الناس! على أهلها تجنى براقش، فقال حجر ما خلعت طاعة ولا فارقت جماعة، وإنى لعلى بيعتى، فقال زياد هيهات يا حُجر تشج بيد وتأسو بأخرى، وتريد إذ أمكن الله منك أن نرضى!! لا والله.. ثم أمر به إلى السجن.

الطعن بعد الموت!!

قتل عمرو بن الحمق الخزاعى

ولم يكن لزياد من همة إلا طلب ما تبقى من أصحاب حُجر بن عدى الكندى، فهرب عمرو بن الحمق ورفاعة بن شداد إلى جبال الموصل، ثم لحق بهم عسكر بنى أمية، فأخذوا عمرو بن الحمق وكان فى شدة المرض، وأفلت رفاعة بن شداد، فأمر معاوية بطعنه [أى: طعن عمرو] تسع طعنات، فأخرج فطعن تسع طعنات، فمات فى الأولى منها أو الثانية.

الموت أو السب!!.

ثم أخذ صيفى بن فسيل من رءوس أصحاب حُجر وجيء به إلى زياد، فقال له يا عـدو الله مـا تقـول فى أبى تراب؟؟ قـال مـا أعـرف أبا تـراب؟؟ قـال مـا أعرفك به!! قال ما أعرفه، قال أما تعرف على بن أبى طالب؟ قال بلى، قال فذاك أبو تراب، قال كلا ذاك أبو الحسن والحسين، فقال له صاحب الشرطة يقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت لا؟ قال وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب وأشهد له على باطل كما شهد؟!! قال له زياد وهذا أيضًا مع ذنبك، علىّ بالعصا. فأتى بها فقال ما قولك فى علىّ؟ قال أحسن قول أنا قائله فى عبد من عباد الله أقوله فى أمير المؤمنين، قال اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض، فضرب حتى لزم الأرض، ثم قال أقلعوا عنه: ما قولك فى علىّ؟؟ قال والله لو شرحتنى بالمواسى والمدى ما قلت إلا ما سمعت منى، قال لتلعننه أو لأضربن عنقك؟ قال إذًا تضربها والله قبل ذلك، فإن أبيت إلا أن تضربها رضيت بالله وشقيت أنت، قال ادفعوا فى رقبته، ثم قال أوقروه حديدًا وألقوه فى السجن[1].

وبعد أن جمع زياد من أصحاب حُجر بن عدى اثنى عشر رجلاً فى السجن، دعا رؤساء الأرباع فشهد هؤلاء أن حُجرًا جمع إليه الجموع وأظهر شتم الخليفة ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أن هذا الأمر لا يصلح إلا فى آل أبى طالب، وأظهر عذر أبى تراب (على بن أبى طالب) والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه، وأن هؤلاء الذين معه هم رءوس أصحابه وعلى مثل رأيه. ثم نظر زياد فى شهادة الشهود وقال: ما أظن هذه شهادة قاطعة، وأحب أن يكون الشهود أكثر من أربعة، فدعا الناس ليشهدوا عليه، وقال زياد: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا، أما والله لأجهدن على قطع خيط عنق الخائن الأحمق.

تسيير حُجر وأصحابه إلى معاوية لقتلهم

ثم دفع زياد بن سمية حجر بن عدى وأصحابه من شيعة على إلى وائل بن حجر

(١) تاريخ الرسل والملوك «تاريخ الطبرى» جـ ٥ ص ٢٦٦ ط دار المعارف ١٩٧٩م.

الحضرمى وكثير بن شهاب، وأمرهما أن يسيرا بهم إلى الشام، فخرجوا عشية وسار معهم صاحب الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة.

ثم ساروا حتى انتهوا إلى مرج عذراء عند دمشق، وهم اثنا عشر رجلاً، وأتبعهم زياد برجلين مع عامر بن الأسود، فتم عددهم أربعة عشر رجلاً، فحبسوا بمرج عذراء، فبعث معاوية إلى وائل بن حجر وكثير بن شهاب فأدخلهما وأخذ كتابهما فقرأه على أهل الشام فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله معاوية بن أبى سفيان أمير المؤمنين من زياد بن أبى سفيان، أما بعد، فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء، فأداله من عدوه وكفاه مؤونة من بغى عليه، إن طواغيت الترابية السبئية، رأسهم حجر بن عدى خالفوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا الحرب، فأظهرنا الله عليهم وأمكننا منهم، وقد دعوت خيار أهل المصر وأشرافهم وذوى النهى والدين، فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين، وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم فى أسفل كتابى هذا.

فلما قرأ معاوية الكتاب وشهادة الشهود عليهم، قال ماذا ترون فى هؤلاء النفر الذين شهد عليهم قومهم بما تسمعون؟ فقال له يزيد بن أسد البجلى: أرى أن تفرقهم فى قرى الشام فيكفيكهم طواغيتها.

وكتب معاوية إلى زياد: أما بعد فقد فهمت ما اقتصصت به من أمر حُجر وأصحابه وشهادة من قبلك عليهم، فنظرت فى ذلك، فأحيانًا أرى قتلهم أفضل من تركهم، وأحيانًا أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم، والسلام.

فكتب إليه زياد مع يزيد بن حجية التميمى: أما بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت رأيك فى حُجر وأصحابه، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم، فإن كانت لك حاجة فى هذا المصر فلا تردن حُجرًا وأصحابه إلىّ.

فقام مالك بن هبيرة فسأله فى حُجر فلم يشفعه، فغضب وجلس فى بيته، فبعث معاوية هدبة بن فياض القضاعى من بنى سلامان بن سعد والحصين بن

عبد الله الكلابى وأبا شريف البَدِّى، فأتوهم عند المساء، فقال الخثعمى حين رأى الأعور مقبلاً: يقتل نصفنا وينجو نصفنا، فقال سعيد بن نمران اللهم اجعلنى ممن ينجو وأنت عنى راض، فقال عبد الرحمن بن حسان العنزى اللهم اجعلنى ممن تكرم بهوانهم وأنت عنى راض، فطالما عرضت نفسى للقتل فأبى الله إلا ما أراد. فجاء رسول معاوية إليهم بتخلية ستة وبقتل ثمانية، فقال لهم رسل معاوية: إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علىّ واللعن له، فإن فعلتم هذا تركناكم وإن أبيتم قتلناكم، وإن أمير المؤمنين يزعم أن دماءكم قد حلت له بشهادة أهل مصركم عليكم، غير أنه قد عفا عن ذلك، فابرءوا من هذا الرجل نخل سبيلكم. قالوا: لسنا فاعلين. فأمروا بقيودهم فحلت وبقبورهم فحفرت وأدنيت أكفانهم، فقاموا الليل كله يصلون، فلما أصبحوا، قال أصحاب معاوية: يا هؤلاء قد رأيناكم البارحة أطلتم الصلاة وأحسنتم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم فى عثمان؟ قالوا: هو أول من جار فى الحكم وعمل بغير الحق، فقال أصحاب معاوية: أمير المؤمنين كان أعلم بكم، ثم قاموا إليهم وقالوا: تبرءون من هذا الرجل؟ قالوا: بل نتولاه. فأخذ كل رجل منهم رجلاً ليقتله.

قال لهم حُجر: دعونى أصلى ركعتين.

فقالوا له: صلّ. فصلى ثم انصرف، فقال والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لأحببت أن أستكثر منها، ثم قال اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتمونى بها إنى لأول فارس من المسلمين سلك فى واديها، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها. فمشى إليه هدبة الأعور بالسيف فأرعدت فصائله، فقال زعمت أنك لا تجزع من الموت فأنا أدعك فابرأ من صاحبك، فقال ما لى لا أجزع؟ وأنا أرى قبراً محفوراً وكفناً منشوراً وسيفًا مشهوراً، وإنى والله إن جزعت لا أقول ما يسخط الرب، فقيل له مد عنقك، فقال إن ذلك لدم ما كنت لأعين عليه. فقدم فضربت عنقه، وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة.

قال عبد الرحمن بن حسان العنزى وكريم بن عفيف الخثعمى: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين، فنحن نقول فى هذا الرجل مثل مقالته، فبعثوا إلى معاوية فأخبروه، فبعث ائتونى بهما.

فلما دخل عليه الخثعمى قال له: الله الله يا معاوية، إنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة، ومسئول عما أردت بقتلنا وفيم سفكت دماءنا؟ فقال معاوية: ما تقول فى علىّ؟ قال أقول فيه قولك، أتتبرأ من دين علىّ الذى كان يدين الله به؟ فسكت وكرّه معاوية أن يجيبه. فقام شمر بن عبد الله الخثعمى فاستوهبه فقال: هو لك غير أنى حابسه شهراً فحبسه، فكان يرسل إليه بين كل يومين فيكلمه، ثم أطلقه على أن لا يدخل الكوفة ما دام له سلطان، فنزل الموصل فكان يقول لو قد مات معاوية قدمت المصر، فمات قبل معاوية بشهر.

عقوبة الدفن حيّا

ثم أقبل على عبد الرحمن بن حسان فقال له: إيه يا أخا ربيعة، ما قولك فى علىّ؟ قال دعنى ولا تسألنى فإنه خير لك. قال والله لا أدعك حتى تخبرنى عنه. قال أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً ومن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والعافين عن الناس. قال فما قولك فى عثمان؟ قال هو أول من فتح باب الظلم وأرتج أبواب الحق. قال قتلت نفسك. قال بل إياك قتلت. لا ربيعة بالوادى ـ يعنى أنه ليس ثم أحد من قومه فيتكلم فيه ـ فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه: أما بعد، فإن هذا العنزى شر من بعثت به، فعاقبه بالعقوبة التى هو أهلها واقتله شر قتلة، فلما قدم به على زياد، بعث به إلى قس الناطف فدفنه حيّا.

فقتل من أصحاب حُجر:

شريك بن شداد الحضرمى ـ صيفى بن فسيل الشيبانى ـ قبيصة بن ضبيعة العبسى ـ محرز بن شهاب المنقرى ـ كدام بن حيان العنزى ـ عبد الرحمن بن حسان العنزى.

ونجا منهم:

كريم بن عفيف الخثعمى - عبد الله بن حوية التميمى - عاصم بن عوف البجلى - ورقاء بن سمى البجلى - أرقم بن عبد الله الكندى - عتبة بن الأخنس السعدى - سعد بن نمران الهمدانى[1].

مرثية حجر بن عدى

روى ابن جرير الطبرى[2] فى أحداث عام ٥١ للهجرة:

وقالت هند بنت زيد بن مخرمة الأنصارية ترثى حُجراً:

ترفع أيها القمر المنيـــــــــر   تبصر هل ترى حُجرا يسيـــر
يسير إلى معاويـــــة بن حرب   ليقتله كما زعــم الأمـــــير
تجبرت الجبابر بعد حُجـــــر   وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البـلاد بها محولا   كأن لم يحيها مزن مطيـــــر
ألا يا حجـــر حُجر بنى عدى   تلقتك السلامة والســــرور
أخاف عليك ما أدرى عديّـــا   وشيخًا فى دمشق له زئيــــر
يرى قتل الخيار عليه حقـّـــا   له من شر أمته وزيــــــــر
ألا يا ليت حُجــراً مات موتا   ولم ينحر كما نحر البعيـــــر
فإن تهلك فكل زعيم قـــوم   من الدنيا إلى هـلك يصيـــــر

وقالت الكندية ترثى حـــــجراً:

دمـــــوع عينى ديمة تقطـــــر   تبكى على حجر وما تفتـــــر
لو كانت القـــوس على أسره   ما حمل السيـف له الأعـــور

***

(١) الأغانى للأصفهانى ١٦: ٢ - ١١، عيون الأخبار لابن قتيبة ١، تاريخ الطبرى ٦: ١٤١ - ١٥٦، مستدرك الحاكم ٣: ٤٦٨، تاريخ ابن عساكر ٤: ٨٤ وجـ ٦: ٤٥٩، الكامل لابن الأثير ٣: ٢٠٢ - ٢٠٨، تاريخ ابن كثير ٨: ٤٩ - ٥٥.

(٢) تاريخ الرسل والملوك «تاريخ الطبرى» جـ ٥ ص ٢٨٠.

عمر بن عبد العزيز يبطل سب الإمام

ظلت سياسة سب الإمام على بن أبى طالب على المنابر جزءًا ثابتًا من المنهج الأموى لم يجر العدول عنه إلا أثناء خلافة عمر بن عبد العزيز، حيث يروى ابن الأثير[1]:

كان بنو أمية يسبون أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام إلى أن ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، فترك ذلك وكتب إلى العمال فى الآفاق بتركه.

وكان سبب محبته عليًا كما قال: كنت بالمدينة أتعلم العلم وكنت ألزم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، فبلغه عنى شىء من ذلك فأتيته يومًا وهو يصلى، فأطال الصلاة، فقعدت أنتظر فراغه، فلما فرغ من صلاته التفت إلىّ فقال لى: متى علمت أن الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضى عنهم؟؟

قلت: لم أسمع ذلك. قال: فما الذى بلغنى عنك فى علىّ؟ فقلت: معذرة إلى الله وإليك! وتركت ما كنت عليه.

وكان أبى إذا خطب فنال من علىّ رضي الله عنه تلجلج، فقلت: يا أبتى إنك تمضى فى خطبتك فإذا أتيت على ذكر على بن أبى طالب عرفت منك تقصيرًا!! قال: أوَفطنت لذلك؟ قلت: نعم. فقال: يا بنى إن الذين حولنا لو يعلمون من علىّ ما نعلم لتفرقوا عنا إلى أولاده!!.

فلما ولى عمر الخلافة، لم يكن عنده من الرغبة فى الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجلها، فترك ذلك وكتب بتركه، وقرأ عوضه ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى**﴾ [النحل: ٩٠]، فحل هذا الفعل عند الناس محلاً حسنًا وأكثروا مدحه بسببه.

بعد مقتل الإمام على

ولما قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى عام ٤٠هـ، بايع المسلمون بالخلافة للإمام الحسن بن على، حيث يروى ابن الأثير:

(١) الكامل فى التاريخ جـ٣.

وكان أول من بايعه قيس بن سعد الأنصارى وقال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وقتال المحلين. فقال الحسن: على كتاب الله وسنة رسوله فإنهما يأتيان على كل شرط. فبايعه الناس. وكان الحسن يشترط عليهم: إنكم مطيعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت.

قال الشيخ المفيد (ولما قبض أمير المؤمنين عليه السلام بايعه أصحاب أبيه على حرب من حارب وسلم من سالم).

وبعد أن بويع له خطب الإمام الحسن بن على صبيحة الليلة التى قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله وآله ثم قال:

«لقد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل. لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه برايته فيكنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ولقد توفى عليه السلام فى الليلة التى عرج فيها بعيسى بن مريم عليه السلام، وفيها قبض يوشع بن نون وصى موسى وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادمًا لأهله» ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثم قال: «أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعى إلى الله بإذنه أنا ابن السراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، أنا من أهل بيت افترض الله حبهم فى كتابه قال عز وجل: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**﴾ [الشورى: ٢٣]. فالحسنة مودتنا أهل البيت».

ثم جلس فقام عبد الله بن عباس رحمة الله عليه بين يديه فقال: معاشر الناس، هذا ابن نبيكم ووصى إمامكم فبايعوه فاستجاب له الناس وقالوا: ما أحبه إلينا وأوجب حقه علينا. وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة وذلك يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة. فرتب العمال وأمر الأمراء، وأنفذ عبد الله بن العباس رضي الله عنه إلى البصرة، ونظر فى الأمور. وسار معاوية نحو العراق ليغلب عليه، فلما بلغ جسر منبج تحرك الحسن عليه السلام وبعث حُجر بن عدى فأمر العمال بالمسير، واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثم خف مع أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه عليهما السلام وبعضهم محكمة (أى من الخوارج رافعى شعار إن الحكم إلا لله) يؤثرون

قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع فى الغنائم، وبعضهم شكاك وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين. فسار حتى أتى حمام عمر، ثم أخذ على دير كعب فنزل ساباط دون القنطرة وبات هناك.

فلما أصبح أراد عليه السلام أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم فى الطاعة له، ليتميز بذلك أولياؤه من أعدائه ويكون على بصيرة فى لقاء معاوية وأهل الشام. فأمر أن ينادى فى الناس بالصلاة جامعة فاجتمعوا، فصعد المنبر فخطبهم فقال: «الحمد لله بكل ما حمده حامد وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق وائتمنه على الوحى صلى الله عليه وآله.

أما بعد: فوالله إنى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلق الله لخلقه وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون فى الجماعة خير لكم مما تحبون فى الفرقة، ألا وإنى ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمرى ولا تردوا علىَّ رأيى، غفر الله لى ولكم وأرشدنى وإياكم لما فيه المحبة والرضا».

فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدى فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقى جالسًا متقلداً السيف بغير رداء. ثم دعا بفرسه فركبه وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده، فقال: «ادعوا إلىَّ ربيعة وهمدان» فدعوا له فأطافوا به ودفعوا الناس عنه وسار ومعه شوب من الناس، فلما مر فى مظلم ساباط، بدر إليه رجل من الخوارج فأخذ بلجام بغلته وبيده مغول وقال: الله أكبر أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه فى فخذه فشقه حتى بلغ العظم فاعتنقه الحسن عليه السلام وخرّا جميعًا إلى الأرض، فوثب إليه رجل من شيعة الحسن عليه السلام يقال له عبد الله بن خطل الطائى فانتزع المغول من يده وخضخض به جوفه.

وحمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن، فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفى واشتغل بنفسه يعالج جرحه، وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة له

فى السر وحثوه على السير نحوهم وضمنوا له تسليم الإمام الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره، أو الفتك به. وبلغ الحسن ذلك فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له وفساد نياتهم، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصة من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام.

فكتب إليه معاوية فى الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه التى ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، واشترط له على نفسه فى إجابته إلى صلحه شروطًا كثيرة، وعقد له عقودًا كان فى الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن عليه السلام وعلم احتياله إلى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر فى حقه والفساد عليه والخلف منهم له وما انطوى كثير منهم عليه فى استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم فى الآجلة. فتوثق عليه السلام لنفسه من معاوية لتأكيد الحجة عليه والإعذار فيما بينه وبينه عند الله عز وجلّ وعند كافة المسلمين، واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين عليه السلام والعدول عن القنوت عليه، فى الصلوات، وأن يؤمن شيعته رضى الله عنه ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذى حق منهم حقه، فأجابه معاوية إلى ذلك كله وعاهده عليه وحلف له بالوفاء به.

كما يروى ابن الأثير[1] : تسلم معاوية الأمر لخمس بقين من ربيع الأول من هذه السنة، وقيل: إنما سلم الحسن الأمر إلى معاوية لأنه لما راسله معاوية فى تسليم الخلافة إليه، خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيب السلام بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم فى مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين: قتيل بصفين تبكون له وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، وأما الباقى فخاذل وأما الباكى فثائر، ألا وإن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بحد السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى. فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية! وأمضى الصلح. ولما عزم على تسليم الأمر إلى معاوية خطب الناس فقال: أيها الناس

---

(١) الكامل فى التاريخ جـ٣.

إنما نحن أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل بيت نبيكم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وكرر ذلك حتى ما بقى فى المجلس إلا من بكى حتى سمع نشيجه.

وكانت خلافة الحسن على قول من يقول إنه سلم الأمر فى ربيع الأول خمسة أشهر ونحو نصف شهر، وعلى قول من يقول فى ربيع الآخر يكون ستة أشهر وشيئًا، وعلى قول من يقول فى جمادى الأولى يكون سبعة أشهر وشيئًا، والله تعالى أعلم.

خطبة معاوية ورد الإمام الحسن عليه

فلما تمت الهدنة على ذلك، سار معاوية حتى نزل بالنخيلة وكان ذلك يوم جمعة، فصلى بالناس ضحى النهار، فخطبهم وقال فى خطبته: إنى والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكنى قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطانى الله ذلك وأنتم له كارهون ألا وإنى كنت منيت الحسن وأعطيته أشياء، وجميعها تحت قدمى لا أفى بشىء منها له.

ثم سار حتى دخل الكوفة فأقام بها أيامًا، فلما تمت البيعة له من أهلها، صعد المنبر فخطب الناس وذكر أمير المؤمنين عليه السلام فنال منه ونال من الحسن وكان الحسن والحسين سلام الله عليهما حاضرين، فقام الحسين ليرد عليه، فأخذ بيده الحسن فأجلسه ثم قام فقال: «أيها الذاكر عليّا أنا الحسن وأبى علىّ وأنت معاوية وأبوك صخر وأمى فاطمة وأمك هند وجدى رسول الله وجدك حرب وجدتى خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسبًا وشرنا قدمًا وأقدمنا كفراً ونفاقًا» فقال طوائف من أهل المسجد: آمين آمين[1].

الخلافة والإمامة

بانتهاء خلافة الإمام الحسن بن على عليه السلام ونزوله عن السلطة لمعاوية بن أبى سفيان، انتهى ذلك اللقاء المؤقت بين الخلافة والإمامة والذى لم يدم سوى خمسة أعوام ونصف العام، وهى فترة حكومة الإمام علىّ والإمام الحسن من بعده.

(١) الإرشاد للشيخ المفيد، ومقاتل الطالبيين للأصفهانى.

بقى الإمام إمامًا للدين وهو الأحق بإمامة الدنيا، إلا أن إمامة الدنيا تحتاج إلى أدوات تختلف عن تلك التى تحتاجها إمامة الدين!!.

إمامة الدين هبة وفضل إلهى يمن بها الله على من يشاء من عباده.

أما السلطة الدنيوية فيمكن أن تكون بالقوة والغصب الجبرى!!.

وكما ورد فى الأثر (إن الله يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين إلا لمن يحب).

رأينا إذًا كيف ساد التخاذل صفوف المسلمين وتفرقت كلمتهم وضعفت نيتهم عن وأد الفتنة فى مهدها، مما حتم على الإمام الحسن إعادة النظر فى الموقف كله والبحث عن خيارات أخرى تحفظ دماء المسلمين وتحول دون فناء تلك القلة المؤمنة العارفة بفضل أئمة أهل البيت ووجوب طاعتهم.

لم يكن الأمر كما يصوره البعض الآن إقراراً بشرعية النظام الأموى ولا تسليمًا بصحة السلطة القائمة على الجبر والغصب والإكراه، ولكنها حكمة التعامل مع الأمر الواقع، ولذلك فقد اشترط عدة شروط، أوردها الشيخ الصدوق فى كتاب (علل الشرائع).

يروى أبو الفرج الأصفهانى عن سفيان بن أبى ليلى قال: أتيت الحسن بن على حين بايع معاوية فوجدته بفناء داره وعنده رهط فقلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين. فقال وعليك السلام يا سفيان ونزلت فعقلت راحلتى ثم جلست إليه فقال كيف قلت يا سفيان؟ قلت السلام عليك يا مذل المؤمنين. فقال لم جرى هذا منك إلينا؟ قلت أنت والله بأبى وأمى أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد ومعك مائة ألف كلهم يموت دونك، فقد جمع الله عليك أمر الناس، فقال يا سفيان إنا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به وإنى سمعت عليّا يقول لا تذهب الأيام والليالى حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرة ضخم البلعوم يأكل ولا يشبع لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يبقى له فى السماء عاذر ولا فى الأرض ناصر وإنه لمعاوية بن أبى سفيان وإنى عرفت أن الله بالغ أمره. ثم قال ما جاء بك يا سفيان؟؟ قلت حبكم والذى بعث محمداً بالهدى ودين الحق، قال أبشر يا سفيان فإنى سمعت عليّا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يرد على الحوض أهل

بيتى ومن أحبهم من أمتى كهاتين ـ يعنى السبابة والوسطى ـ إحداهما تفضل على الأخرى أبشر يا سفيان فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمد.

ذهبت السلطة لمن أرادها وسعى لها سعيها من أهل الدنيا ولحق به من لحق طمعًا فى فضلاته وغنائمه، وبقيت الإمامة عند أهل الإمامة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وصدق الله العلى العظيم ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) كُلاًّ نُّمِدُّ هَٰؤُلاءِ وَهَٰؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (٢١)﴾ [الإسراء: ١٨ ـ ٢١].

إمامة الدين كانت وما زالت حاضرة فى ضمائر المؤمنين، أما السلطة الدنيوية فهى ظل زائل وعرض لا يدوم.

كتب بعض الكتاب عن صلح الإمام الحسن مع معاوية بن أبى سفيان متجاهلين كل تلك الوقائع التى ذكرناها، والتى ساقت الإمام الحسن لاتخاذ قراره التاريخى بوضع الحرب، زاعمين أن الأمر كان إقراراً منه بشرعية النظام الأموى المتغلب.

لم يكن الإمام الحسن بن علىّ عليه السلام أقل مضاء ولا عزمًا على إحقاق الحق وإبطال الباطل من أبيه علىّ ولا من أخيه الحسين، والفارق بين هؤلاء الأئمة لم يكن سوى اختلاف الظرف الذى عاشه وعاينه كل منهم، وتبقى المبادئ والأسس التى ساروا عليها كلهم واحدة.

نهاية الموقف

ولما استقر الصلح بين الإمام الحسن ومعاوية، خرج عليه السلام إلى المدينة فأقام بها منتظراً لأمر ربه إلى أن تم لمعاوية عشر سنين من إمارته وعزم على البيعة ليزيد، فدس إلى

الإمام الحسن من سمه فبقى عليه السلام مريضًا أربعين يومًا ومضى عليه السلام للقاء ربه فى صفر سنة خمسين من الهجرة وله يومئذ ثمان وأربعون سنة، فكانت مدة إمامته عشر سنين، وتولى أخوه ووصيه الحسين عليه السلام غسله وتكفينه ودفنه عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رحمة الله عليها بالبقيع.

* * *

الفصل الرابع

أئمة أهل البيت

(١) على بن أبى طالب
(٢) الحسن بن على
(٣) الحسين بن على
(٤) على زين العابدين
(٥) محمد الباقر
(٦) جعفر الصادق
(٧) موسى الكاظم
(٨) على الرضا
(٩) محمد بن على (الجواد)
(١٠) على بن محمد (الهادى)
(١١) الحسن العسكرى
(١٢) محمد بن الحسن العسكرى
(المهدى المنتظر)

(١) على بن أبى طالب رضي الله عنه

وفقًا لما رواه السيوطى فى تاريخ الخلفاء

نسبه وكناه

على بن أبى طالب رضي الله عنه ـ واسم أبى طالب عبد مناف ـ بن عبد المطلب ـ واسمه شَيبة ـ بن هاشم واسمه عمرو، بن عبد مناف، واسمه المغيرة، بن قصى، واسمه زيد، بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة، أبو الحسن، وأبو تراب، كناه بها النبى ﷺ .

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهى أول هاشمية ولدت هاشميًا قد أسلمت وهاجرت .

وعلى ـ رضي الله عنه ! ـ أحد العشرة[١] المشهود لهم بالجنة، وأخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمؤاخاة، وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين رضى الله عنها، وأحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العلماء الربانيين، والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين، والخطباء المعروفين، وأحد من جمع القرآن وعرضه على النبى عليه الصلاة والسلام، وعرض عليه أبو الأسود الدؤلى، وأبو عبد الرحمن السلمى، وعبد الرحمن ابن أبى ليلى، وهو أول خليفة من بنى هاشم، وأبو السبطين، أسلم قديمًا، بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسى وجماعة : إنه أول من أسلم، ونقل بعضهم الإجماع عليه .

وأخرج أبو يعلى عن على رضي الله عنه، قال : بُعث رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء، وكان عمره حين أسلم عشر سنين، وقيل : تسع، وقيل : ثمان، وقيل : دون ذلك، قال الحسن بن زيد بن الحسن : ولم يعبد الأوثان قط لصغره، أخرجه ابن سعد .

---

(١) هم فى الحقيقة أكثر من ذلك، ولكن تلك رواية ليست حصرية .

ولما هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أيامًا حتى يؤدى عنه أمانة الودائع والوصايا التى كانت عند النبى عليه الصلاة والسلام ثم يلحقه بأهله، ففعل ذلك.

وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد إلا تبوك؛ فإن النبى صلى الله عليه وآله وسلم استخلفه على المدينة، وله فى جميع المشاهد آثار مشهورة، وأعطاه النبى عليه الصلاة والسلام اللواء فى مواطن كثيرة.

وقال سعيد بن المسيب: أصابت عليًا يوم أحد ست عشرة ضربة.

وثبت فى الصحيحين «أنه عليه الصلاة والسلام أعطاه الراية فى يوم خيبر وأخبر أن الفتح يكون على يديه» وأحواله فى الشجاعة وآثاره فى الحروب مشهورة.

وأخرج ابن إسحاق فى المغازى وابن عساكر عن أبى رافع أن عليًا تناول بابًا عند الحصن - حصن خيبر - فتترس به عن نفسه، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله علينا، ثم ألقاه، فلقد رأيتنا ثمانية نفر نجهد أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه.

وروى البخارى فى الأدب عن سهل بن سعد قال: إن كان أحب أسماء على رضي الله عنه إليه «أبا تراب»، وإن كان ليفرح أن يدعى به، وما سماه أبا تراب إلا النبى عليه الصلاة والسلام، وذلك أنه غاضب يومًا فاطمة، فخرج فاضطجع إلى الجدار فى المسجد، فجاءه النبى عليه الصلاة والسلام، وقد امتلأ ظهره ترابًا، فجعل النبى عليه الصلاة والسلام يمسح التراب عن ظهره ويقول: «اجلس أبا تراب».

رُوى له عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة حديث وستة وثمانون حديثًا.

روى عنه بنوه الثلاثة: الحسن، والحسين، ومحمد بن الحنفية، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو موسى، وأبو سعيد، وزيد بن الأرقم، وجابر ابن عبد الله، وأبو إمامة، وأبو هريرة، وخلائق من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين!

فصل فى الأحاديث الواردة فى فضله

قال الإمام ابن حنبل: ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل ما ورد لعلي رضي الله عنه، أخرجه الحاكم.

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي**» أخرجه أحمد والبزار من حديث أبي سعيد الخدري، والطبراني من حديث أسماء بنت قيس، وأم سلمة، وحبشي بن جنادة، وابن عمر، وابن عباس، وجابر بن سمرة، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم.

وأخرجا عن سهل بن سعد «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر: «**لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقيل: هو يشتكي عينيه، قال: «**فأرسلوا إليه**»، فأتي به، فبصق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عينيه، ودعا له، فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية».

(يدوكون: أي يخوضون ويتحدثون).

وقد أخرج هذا الحديث الطبراني من حديث ابن عمر، وعليّ، وابن أبي ليلى، وعمران بن حصين، والبزار من حديث ابن عباس.

وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾ [آل عمران: ٦١]. دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليًّا، وفاطمة، وحسنًا وحسينًا، فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**».

وأخرج الترمذي عن أبي سريحة، أبي زيد بن أرقم، عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**». وأخرجه أحمد عن علي، وأبي أيوب الأنصاري، وزيد بن أرقم، وعمرو ذي مر، وأبو يعلى عن أبي هريرة، والطبراني عن ابن عمر، ومالك بن الحويرث وحبشي بن جنادة، وجرير، وسعد بن أبي وقاص، وأبي سعيد

الخدرى، وأنس والبزار عن ابن عباس، وعمارة، وبريدة، وفى أكثرها زيادة «**اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه**».

ولأحمد عن أبى الطفيل قال: جمع علىّ الناس سنة خمس وثلاثين فى الرحبة، ثم قال لهم: أنشد بالله كل أمرى، مسلم سمع رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول يوم غدير خم ما قال لما قام، فقام إليه ثلاثون من الناس، فشهدوا أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «**من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه**».

وأخرج الترمذى، والحاكم وصححه، عن بريدة قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**إن الله أمرنى بحب أربعة، وأخبرنى أنه يحبهم**»، قيل يا رسول الله سمهم لنا، قال: «**علىّ منهم** ـ يقول ذلك ثلاثًا ـ **وأبو ذر، والمقداد، وسلمان**».

وأخرج الترمذى والنسائى وابن ماجه عن حبشى بن جنادة، قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**علىّ منى، وأنا من علىّ**».

وأخرج الترمذى عن ابن عمر قال: آخى رسول الله عليه الصلاة والسلام بين أصحابه، فجاء علىّ تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله آخيت بين أصحابك، ولم تؤاخ بينى وبين أحد، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**أنت أخى فى الدنيا والآخرة**».

وأخرج مسلم عن علىّ قال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى إلىّ أنه لا يحبنى إلا مؤمن، ولا يبغضنى إلا منافق.

وأخرج الترمذى عن أبى سعيد الخدرى، قال: كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليّا.

وأخرج البزار، والطبرانى فى الأوسط، عن جابر بن عبد الله وأخرج الترمذى، والحاكم عن علىّ، قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**أنا مدينة العلم، وعلىّ بابها**» هذا حديث حسن على الصواب، لا صحيح كما قال الحاكم، ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزى والنووى، وقد بينت حاله فى التعقبات على الموضوعات.

وأخرج الحاكم وصححه عن عليّ قال: «بعثني رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم، ولا أدرى ما القضاء، فضرب صدرى بيده ثم قال: «**اللهم اهد قلبه وثبت لسانه، فوالذى فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين**».

وأخرج ابن سعد عن عليّ أنه قيل له: ما لك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثًا؟ قال: إني كنت إذا سألته أنبأني، وإذا سكت ابتدأني.

وأخرج عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال عمر بن الخطاب: عليّ أقضانا.

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود ﷺ قال: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة عليّ.

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال: إذا حدثنا ثقة عن عليّ بفتيا لا نعدوها.

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو الحسن.

وأخرج عنه قال لم يكن أحد من الصحابة يقول «سلوني» إلا عليّ.

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال: أفرض أهل المدينة وأقضاها على بن أبي طالب.

وأخرج عن عائشة رضى الله عنها أن عليًا ذكر عندها، فقالت: أما إنه أعلم من بقى بالسنة.

وقال مسروق: انتهى علم أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى عمر، وعليّ، وابن مسعود، وعبد الله رضى الله عنهم!.

وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: كان لعليّ ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له البسط في العشيرة، والقدم في الإسلام والعهد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والفقه في السنة، والنجدة في الحرب، والجود في المال.

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**الناس من شجر شتى، وأنا وعليّ من شجرة واحدة**».

وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: ما أنزل الله ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إلا وعلى أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر عليًا إلا بخير.

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في عليّ.

وأخرج الطبراني، والحاكم وصححه، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه إلا عليّ.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: كانت لعليّ ثمان عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة.

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة قال: قال عمر بن الخطاب: لقد أعطى عليّ ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطى حمر النعم، فسئل وما هن؟ قال: تزوجُه ابنته فاطمة، وسكناه المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر.

وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه.

وأخرج أحمد وأبو يعلى بسند صحيح عن عليّ قال: ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله عليه الصلاة والسلام وجهي، وتفل في عيني، يوم خيبر حين أعطاني الراية.

وأخرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**من آذى عليًا آذاني**».

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أم سلمة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: «**من أحب عليًا فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض عليًا فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله**».

وأخرج أحمد، والحاكم وصححه، عن أم سلمة سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «**من سب عليًا فقد سبني**».

وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبى سعيد الخدرى أن النبى عليه الصلاة والسلام قال لعلىّ: «**إنك تقاتل على القرآن كما قاتلت على تنزيله**».

وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أن النبى عليه الصلاة والسلام قال لعلىّ: «**أشقى الناس رجلان: أحيمر ثمود الذى عقر الناقة، والذى يضربك يا علىّ على هذه** - يعنى قرنه - **حتى تبتل منه هذه** [من الدم] - يعنى لحيته» وقد ورد ذلك من حديث علىّ، وصهيب، وجابر بن سمرة، وغيرهم.

وأخرج الحاكم وصححه عن أبى سعيد الخدرى قال: اشتكى الناس عليًا فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبًا فقال: «**لا تشكوا عليًا، فوالله إنه لأخيشن فى ذات الله، أو فى سبيل الله**».

فصل فى مبايعة على رضي الله عنه بالخلافة وما نشأ عن ذلك

قال ابن سعد: بويع علىّ بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة، فبايعه جميع من كان بها من الصحابة رضى الله عنهم، ويقال: إن طلحة والزبير بايعا كارهين غير طائعين، ثم خرجا إلى مكة وعائشة رضى الله عنها بها، فأخذاها وخرجا بها إلى البصرة يطلبون بدم عثمان، وبلغ ذلك عليًا، فخرج إلى العراق فلقى بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم، وهى وقعة الجمل، وكانت فى جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وقتل بها طلحة، والزبير، وغيرهما، وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفًا، وأقام علىّ بالبصرة خمس عشرة ليلةً، ثم انصرف إلى الكوفة، ثم خرج عليه معاوية بن أبى سفيان ومن معه بالشام، فبلغ عليًا فسار إليه، فالتقوا بصفين فى صفر سنة سبع وثلاثين، ودام القتال بها أيامًا، فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص، فكره الناس الحرب، وتداعوا إلى الصلح، وحكموا الحكمين، فحكّم علىّ أبا موسى الأشعرى، وحكم معاوية عمرو بن العاص، وكتبوا بينهم كتابًا على أن يوافوا رأس الحول بأذرح فينظروا فى أمر الأمة، فافترق الناس، ورجع معاوية إلى الشام، وعلى إلى الكوفة، فخرجت عليه الخوارج من أصحابه، ومن كان معه، وقالوا: لا حكم إلا الله وعسكروا بحروراء، فبعث إليهم ابن عباس فخاصمهم

وحجهم فرجع منهم قوم كثير، وثبت قوم، وساروا إلى النهروان فعرضوا للسبيل، فسار إليهم عليّ فقتلهم بالنهروان، وقتل منهم ذا الثدية، وذلك سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس بأذرح في شعبان من هذه السنة، وحضرها سعد بن أبى وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة، فقدم عمرو أبا موسى الأشعرى مكيدة منه، فتكلم فخلع عليّا، وتكلم عمرو فأقر معاوية، وبايع له، فتفرق الناس على هذا، وصار عليّ في خلاف من أصحابه حتى صار يعض على أصبعه ويقول: أعْصَى ويطاع معاوية؟!

وانتدب ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادى، والبرك بن عبد الله التميمى، وعمرو بن بكير التميمى، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: على بن أبى طالب، ومعاوية بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، ويريحوا العباد منهم، فقال ابن ملجم: أنا لكم بعليّ، وقال البرك: أنا لكم بمعاوية، وقال عمرو بن بكير: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، وتعاهدوا على أن ذلك يكون في ليلة واحدة ليلة حادى عشر أو ليلة سابع عشر رمضان، ثم توجه كل منهم إلى المصر الذى فيه صاحبه؛ فقدم ابن ملجم الكوفة، فلقى أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يرون إلى ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين، فاستيقظ عليّ سحراً، ودخل ابن الذباح المؤذن على عليّ، فقال: الصلاة، فخرج عليّ من الباب ينادى: يا أيها الناس الصلاة الصلاة، فاعترضه ابن ملجم، فضربه بالسيف، فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل إلى دماغه فشد عليه الناس من كل جانب، فأمسك وأوثق، وأقام عليّ الجمعة والسبت، وتوفى ليلة الأحد، وغسله الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر، وصلى عليه الحسن، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلاً.

وفى *المستدرك* عن السدى قال: كان عبد الرحمن بن ملجم المرادى عشق امرأة من الخوارج يقال لها: قطام، فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم، وقتل على، وفى ذلك قال الفرزدق:

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة ... كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب عليّ بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من على وإن غلا ... ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

قال أبو بكر بن عياش: عمى قبر علىّ لئلا ينبشه الخوارج، وقال شريك: نقله ابنه الحسن إلى المدينة، وقال المبرد عن محمد بن حبيب: أول من حول من قبر إلى قبر علىّ رضي الله عنه!.

وكان لعلىّ حين قتل ثلاث وستون سنة وقيل: أربع وستون وقيل: خمس وستون، وقيل: سبع وخمسون، وقيل: ثمان وخمسون، وكان له تسع عشرة سرية.

فصل فى نبذ من أخبار على، وقضاياه، وكلماته رضي الله عنه

وأخرج عن زر بن حبيش قال: جلس رجلان يتغديان، مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل، فسلم، فقالا: اجلس وتغد، فجلس وأكل معهما واستووا فى أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم، وقال: خذاها عوضًا مما أكلت لكما، ونلته من طعامكما، فتنازعا، فقال صاحب الخمسة الأرغفة: لى خمسة دراهم، ولك ثلاثة، وقال صاحب الأرغفة الثلاثة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين، فارتفعا إلى أمير المؤمنين علىّ، فقصّا عليه قصتهما، قال لصاحب الثلاثة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض، وخبزه أكثر من خبزك، فارض بالثلاثة، فقال: والله لا رضيت عنه إلا بمر الحق، فقال علىّ: ليس لك فى مر الحق إلا درهم واحد، وله سبعة دراهم، فقال الرجل: سبحان الله! قال: هو ذلك، قال: فعرفنى الوجه فى مر الحق حتى أقبله، فقال علىّ: أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثًا؟ أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً، ولا الأقل، فتحملون فى أكلكم على السواء، قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث، وإنما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث، وله خمسة عشر ثلثًا، أكل منها ثمانية، وبقى له سبعة أكلها صاحب الدراهم، وأكل لك واحدًا من تسعة، فلك واحد بواحدك، وله سبعة، فقال الرجل: رضيت الآن.

وأخرج ابن شيبة فى المصنف عن عطاء، قال: أتى على برجل، وشهد عليه رجلان أنه سرق، فأخذ فى شيء من أمور الناس، وتهدد شهود الزور، وقال: لا أوتى بشاهد زور إلا فعلت به كذا وكذا، ثم طلب الشاهدين، فلم يجدهما، فخلى سبيله.

وقال أبو القاسم الزجاجى فى أماليه: حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبرى، حدثنا أبو حاتم السجستانى، حدثنى يعقوب بن إسحاق الحضرمى، حدثنا سعيد بن سلم الباهلى، حدثنا أبى، عن جدى، عن أبى الأسود الدؤلى ـ أو قال: عن جدى أبى الأسود، عن أبيه ـ قال: دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ فرأيته مطرقًا مفكرًا، فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إنى سمعت ببلدكم هذا لحنًا فأردت أن أصنع كتابًا فى أصول العربية، فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللغة. ثم أتيته بعد ثلاث، فألقى إلىَّ صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلمة اسم، وفعل، وحرف؛ فالاسم: ما أنبأ عن المسمى، والفعل: ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف: ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل، ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشىء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء فى معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر. قال أبو الأسود. فجمعت منه أشياء، وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: إنّ وأنّ، وليت، ولعل، وكأن، ولم أذكر لكن، فقال لى: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: بل هى منها، فزدها فيها.

وأخرج ابن عساكر عن ربيعة بن ناجد، قال: قال علىّ: كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير، إنه ليس فى الطير شىء إلا وهو يستضعفها، لو يعلم الطير ما فى أجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها، خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم، فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب.

وأخرج عن علىّ قال: كونوا بقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل يتقبل؟

وأخرج عن يحيى بن جعدة قال: قال على بن أبى طالب: يا حملة القرآن اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل بما علم، ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، وتخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقًا فيباهى بعضهم بعضًا، حتى إن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله.

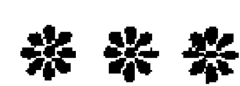
وأخرج عن عليّ أنه أتاه رجل فأثنى عليه فأطراه، وكان قد بلغه عنه قبل ذلك، فقال له عليّ: إنى لست كما تقول، وأنا فوق ما فى نفسك.

وأخرج عن عليّ قال: جزاء المعصية الوهن فى العبادة، والضيق فى المعيشة، والنقص فى اللذة. قيل: وما النقص فى اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاءه ما ينغصه إياها.

فصل

وأما كلامه فى تفسير القرآن فكثير، وهو مستوفى فى كتابنا التفسير المسند بأسانيده، وقد أخرج ابن سعد عن عليّ قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت، إن ربى وهب لى قلبًا عقولاً، ولسانًا صادقًا ناطقًا.

وأخرج ابن سعد وغيره عن أبى الطفيل، قال: قال عليّ: سلونى عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، وفى سهل أم فى جبل.



(٢) الحسن بن على

(٣ ـ ٥٠ هـ)

كان الإمام بعد على بن أبى طالب ابنه الحسن، ابن سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمّد سيد المرسلين صلّى الله عليه وآله الطاهرين.

كنيته أبو محمّد، ولد بالمدينة ليلة النّصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وجاءت به فاطمة إلى النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم السابع من مولده، فسمّاه حسنًا وعقّ عنه كبشًا.

وكان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم خلْقًا وسؤددًا وهديًا، روى ذلك جماعةٌ منهم معمر عن الزهرى عن أنس بن مالك قال: لم يكنْ أحدٌ أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن على عليهما السّلام ـ أخرجه البخارى.

وروى إبراهيم بن علىّ الرافعى، عن أبيه عن جدّته زينب بنت أبى رافع قال: أتت فاطمة بابنيها الحسن والحسين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فى شكواه التى توفّى فيها فقال: **«أمّا الحسن فإنّ له هدْى وسؤددى وأمّا الحسين فإنّ له جودى وشجاعتى»**.

وأخرج الشيخان عن البراء قال: رأيت النبى ﷺ والحسن [ابن على] على عاتقه وهو يقول: **«اللهم إنى أحبّه فأحبّه»**.

وأخرج البخارى عن أبى بكر قال: سمعت النبى ـ ﷺ ـ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة، ويقول: **«إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»**.

وأخرج البخارى عن ابن عمر قال: قال النبى ـ ﷺ ـ: **«هما ريْحانتاى من الدنيا»**، يعنى الحسن والحسين.

وأخرج الترمذى عن أسامة بن زيد، قال: رأيت النبى ـ ﷺ ـ والحسن والحسين على وركيْه فقال: **«هذان ابناى وابنا ابنتى، اللهم إنى أحبهما فأحبّهما وأحبّ من يحبهما»**.

وأخرج عن أنس قال : سئل النبى - ﷺ -: أى أهل بيتك أحبّ إليك؟ قال : **«الحسن والحسين»**.

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال : أقْبل النبى - ﷺ - وقد حمل الحسن على رقبته، فلقيه رجل فقال : نعم المركب ركبْت يا غلام، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : **«ونعم الراكب هو»**.

خلافته

كان الحسن بن على وصى أبيه أمير المؤمنين، صلوات الله عليهما، على أهله وولده وأصحابه، ووصّاه بالنّظر فى وقوفه وصدقاته.

ولما قبض أمير المؤمنين عليه السلام، خطب النّاس الحسن عليه السلام وذكر حقّه، فبايعه أصحاب أبيه على حرب منْ حارب وسلْم منْ سالم :

خطب الحسن بن على عليهما السّلام صبيحة الليلة الّتى قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال :

لقد قبض فى هذه الليلة رجلٌ لم يسبقْه الأولون بعمل ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول اللهّ فيقيه بنفسه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجّهه برايته فيكنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتّى يفتح الله على يديه، ولقد توفّى عليه السلام فى الليلة التى عرج فيها بعيسى ابن مريم عليه السلام، وفيها قبض يوشع بن نون وصى موسى، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درْهم فضلتْ من عطائه، أراد أنْ يبتاع بها خادمًا لأهله ثمّ خنقتْه العبرة فبكى وبكى النّاس معه.

ثمّ قال : أنا ابن البشير، أنا ابن النّذير، أنا ابن الدّاعى إلى الله بإذنه، أنا ابن السّراج المنير، أنا من أهل بيت أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرًا، أنا من أهل بيت افترض الله حبّهم فى كتابه فقال عزّ وجلّ : ﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**(٣٢) ﴾ [الشورى : ٣٢]. فالحسنة مودّتنا أهل البيت.

ثم جلس، فقام عبد الله بن عباس رحمة الله عليهما بين يديه فقال:

معاشر الناس، هذا ابن نبيكم ووصى إمامكم فبايعوه.

فاستجاب له الناس وقالوا: ما أحبه إلينا وأوجب حقه علينا. وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة، وذلك فى يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة. فرتّب العمال وأمر الأمراء، وأنفذ عبد الله بن العباس رضي الله عنه إلى البصرة، ونظر فى الأمور.

ولمّا بلغ معاوية بن أبى سفيان وفاة أمير المؤمنين عليه السلام وبيعة النّاس الحسن عليه السلام، دسّ رجلاً من حمْير إلى الكوفة، ورجلاً من بلقين إلى البصرة، ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن عليه السلام الأمور. فعرف ذلك الحسن عليه السلام فكتب إلى معاوية:

أما بعد، فإنك دسست الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون كأنك تحب اللقاء وما أوشك ذلك فتوقعه إن شاء الله. وبلغنى أنك شمت بما لا يشمت به ذوو الحجى [اغتيال علىّ عليه السلام]، وإنما مثلك فى ذلك كما قال الأول:

فقلْ للذى يبْغى خلاف الذى مضى تجهزْ لأخرى مثْلها فكأنْ قد

فإنّا ومنْ قدْ مات منّا لكالذى يروح فيمسى فى المبيت ليغْتدى

ولنقرأ معًا ما ذكره خالد محمد خالد[1]:

يقول «الحسن البصرى» رضي الله عنه:

استقبل والله الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: إنى لأرى كتائب، لا تولى حتى تقتل أقرانها، فقال معاوية: إذا قتل هؤلاء أولئك، فمن لى بأمور الناس؟.

ورغم ما كان بأهل الكوفة من تفسخ وتردد، فقد كان تحت تصرف «الحسن» حين آثر السلام أربعون ألف مقاتل، يشكلون جبهة واحدة، قوية وصامدة.. تحت إمرة رجل من أعظم رجال الإسلام وقواده ـ ذلكم هو: «قيس بن سعد بن عبادة»..

---

(١) أبناء الرسول فى كربلاء.

ولقد كانوا مصممين على مواصلة الحرب ضد معاوية تصميمًا حمل بعضهم على مجابهة «الحسن» حين رأوه يعتزم الصلح وإقرار السلام مجابهة قاسية وعنيفة رغم حبهم له وتوقيرهم إياه.

هو إذن لم يؤثر السلام على ضعف ولا عن عجز.

ولم تكن الظروف العسيرة التى تسلم الخلافة فيها لتتجاوز قدرها فى كونها مجرد «موضوع» لتفكيره فى السلام.

أما «مصدر» تفكيره فى السلام فكان طبيعته وخصاله.

وهكذا قرر أن يعرض، بل أن يفرض السلام على معاوية..

كان «معاوية» قد تحرك بجيشه من الشام قاصدًا الكوفة.. عندما علم باستشهاد الإمام واستخلاف الحسن..

وكان الحسن قد خرج على رأس جيشه للقائه.

وإذ هم فى طريقهم إلى المدائن، نهض بين صفوف جيشه وقال:

إنى قد أصبحت، لا أحمل لمسلم ضغينة:

وإنى ناظر إليكم، نظرى إلى نفسى، وقد رأيت رأيًا، فلا تردوا على رأيى:

إن الذى تكرهون من الجماعة أفضل مما تحبون من الفرقة..!!

وثار الجيش ـ كما ذكرنا من قبل ـ لكنه كان قد وسد عزمه على حقن الدماء.

وكان معاوية من جانبه يتوق للسلام توق الغريق إلى زورق النجاة..

فأرسل مبعوثين إلى المدائن للتفاوض مع «الحسن»، وكانا عبد الرحمن بن سمرة.. وعبد الله بن عامر.. أبلغهما «الحسن» شروطه التى لم يكد معاوية يسمعها، حتى تقبلها فى غير تردد أو تساؤل.

وتركزت شروط «الحسن» للصلح فى هذه البنود الأربعة:

أولاً: أن ترجع الخلافة بعد معاوية إلى المسلمين؛ حيث يختارون بمشيئتهم الحرة من يرونه أصلح لقيادتهم وأجدر.

ثانيًا: ألا يؤخذ الذين ناصروه وناصروا أباه الإمام من قبل بما صنعوا ضد معاوية، وألا يحرم أحد منهم حقه وعطاءه.

ثالثًا: أن يكف الأمويون عن حملة السباب واللعن التى يقترفونها ضد الإمام، ويشجعون عليها..

رابعًا: أن يكون عطاؤه وعطاء أخيه «الحسين» وافرًا وجزيلاً. ولقد حدد بنفسه مقدار هذا العطاء.

وإذا كان هناك من بين هذه الشروط ما قد يلتبس علينا أمره، ويحتاج إلى مناقشة وتفسير فذلكم الشرط الرابع والأخير.

لقد يبدو غريبًا أن يفرط رجل مثل «الحسن» بن على، وحفيد الرسول ﷺ فى طلب عطاء كثير له ولأخيه.

ولكن، كما يقال: إذا عرف السبب، بطل العجب..

وحسبنا أن نعرف فيم كان ينفق «الحسنان» أموالهما لندرك على الفور الحكمة فى هذا الاشتراط.

وقبل هذا، علينا أن نذكر أن ميزانية الدولة الإسلامية، كانت أيامئذ قد بلغت مدى هائلاً من الكفاية والثراء.

وبدأ ذلك النمو المطرد منذ فتوح الإسلام فى عهد «عمر».

وفى عهد معاوية، كانت أموال غزيرة تنفق وتبعثر فى سبيل دعم حكمه وتركز الولاء له.

بينما كان «الإمام علىّ» وهو خليفة مسئول فى العراق يعطى المسلمين حقوقهم من بيت المال بالسوية، رافضًا أى تمييز أو سرف..!! حقًا لقد أغضب بعض أنصاره، حين رفض أن يتألف الناس بالمال، ويختص بعض القبائل بأكثر من حقها، قائلاً عبارته المأثورة:

«أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور»؟!

والآن، بعد أن يتصالح الحسن ومعاوية ويصبح أمر الخلافة كله لمعاوية، فلن يكون هناك سوى بيت مال واحد هو الذى يشرف عليه معاوية بحكم سلطته وسلطانه.

و«معاوية» يعطى الأموال وفق مقاييسه الخاصة..

لابد للحسن إذن أن يتحوط لهذا الاحتمال..

وهنا يفضى بنا الحديث إلى حديث نعرف أين كان ينفق «الحسن والحسين» أموالهما..

لقد كانا يعودان بالكثير منها على نفر من الذين فقدوا ثرواتهم فى سبيل القضية التى ناصروا فيها الإمام.

وكانا يغدقان برهما ونداهما على أولى الأرحام، وعلى الفقراء والمساكين..

لقد انفرد «الحسن» بأنه الرجل الذى قاسم الله ماله ثلاث مرات.. وخرج عنه كله مرتين..!!

ورجل هذه شيمته، لا يطلب المال ليترف به، إنما يطلبه ليؤدى به حقوقًا كثيرة، أهونها كفالة الأرامل اللائى استشهد أزواجهن والأيتام الذين استشهد آباؤهم وهم يقاتلون تحت راية الإمام..!!

فمن أجل تلك الحقوق، ومن أجل شغفه بالخير والبر، اشترط لنفسه ولأخيه وفرة العطاء..

وحسبنا فى هذا المقام شهادة «معاوية» نفسه، فذات يوم أعد أحمال الهدايا التى كان يرسلها بين الحين والحين لصفوة الصحابة فى مكة والمدينة.

وبينما القافلة تتهيأ للسفر، نظر معاوية فيمن حوله وقال لهم: إن شئتم أخبرتكم بما يصنع القوم بهذه الهدايا..

ثم راح يسمى بعض الأسماء، ويسوق الحديث عنها، حتى جاء ذكر «الحسن والحسين» فقال:

. . وأما الحسن، فلعله يدع لزوجاته بعض الطيب، ثم يترك لمن حوله كل شيء . . !!

وأما الحسين فيبدأ بأيتام الذين قتلوا مع أبيه فى صفين، فإن بقى بعد ذلك شيء نحر به الجزر، وسقى به اللبن . . !!

أجل . . هذه شهادة «معاوية» . . وفيها فصل الخطاب!!

ومن فصل الخطاب أيضًا، أن العطاء الجزيل الذى فرض لهما، لم يكن يكفيهما، مع أنهما لم يعرف عنهما قط عيش المترفين ولا حياة المسرفين!!

لقد تراكم على الحسين دين ثقيل، وانتهز معاوية الفرصة فعرض عليه قدرًا كبيرًا من المال يقضى به ديونه، نظير بيعه عين ماء كانت للإمام علىّ بالمدينة، كان الإمام قد أهداها [أهدى ماءها] فقراء المدينة وأهلها، يرتوون منها بغير حساب . . ورفض الحسين هذا العرض . .

ففيما إذن كانت هذه الديون رغم وفرة العطاء لقوم لا يحيون فى ترف ولا فى سرف . . ؟!

إنها كانت بسبب حقوق مذخورة، وعطايا مبرورة تعودها الكرام، أبناء الكرام . . !

قبل معاوية شروط الصلح من فوره، وتنازل له الحسن عن الخلافة وسارع معاوية إلى الكوفة ليتلقى بيعة أهل العراق . .

وفى الجمع الحاشد من المسلمين، دعا الحسن لإلقاء كلمة، فوقف الحسن والأبصار شاخصة إليه، والأنفاس معلقة بشفتيه اللتين لا يدرى أحد عن أى نوع من القول ستنفرجان.

وجاءت كلماته فى تلك المناسبة على وفاق سعيد ومجيد مع صاحبها العظيم . . !!

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أيها الناس . .

إن الله هداكم بأولنا . . وحقن دماءكم بآخرنا . . ألا إن أكيس الكيس التقى،

وإن أعجز العجز الفجور . . وإن هذا الأمر الذى اختلفت فيه ومعاوية، إما أن يكون أحق به منى، فقد تركته له . .

وإما أن أكون أحق به منه فقد تركته لله عز وجل، ولخير أمة محمد ﷺ وحقن دمائها . . .

ثم التفت بمعاوية وقال:

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١١].

إن العظمة الإنسانية لتكشف عن أصالتها فى مثل هذه المواقف وبمثل هذه الكلمات . . حيث يلتقى الصدق، والقوة، والترفع، والحكمة، أسعد لقاء . . !!

ومضى كل إلى سبيله . . !!

معاوية إلى الشام عاصمة ملكه العريض . . والحسن إلى المدينة، قرير العين بما حقن من دماء، عظيم الغنم بما بذل من فداء . . مردداً كلماته المضيئة هذه:

لقد كانت جماجم العرب بيدى فى العراق، تسالم من سالمت . . وتحارب من حاربت . . ثم تركتها ابتغاء وجه الله . . !!

ولقد وفى بعهده مع معاوية . . ووفى بالعهد معه أخوه الحسين الذى كان قبل إبرام الصلح من أشد معارضيه .

ترى، هل سيفى معاوية؟ أم أن إغراء السلطة المطلقة سيجشمه مشقة الوفاء . . !!

على أية حال، فقد أدى الحسن ما اعتقده واجبًا، وأعطى من ذات نفسه ما هو أهل له .

لقد ترك للآخرين دنياهم، وعكف هو على الطاعة، والعبادة والخير . .

عابداً، يحب الله ويخشاه، ويخرج إلى الحج من المدينة إلى مكة أعواماً كثيرة ماشيًا على قدميه والنجائب تقاد بين يديه، حتى إذا سئل عن سبب هذا الإجهاد لنفسه أجاب:

إنى أستحى أن ألقى ربى، ولم أمش على قدمى إلى بيته . .

جواداً : لم يكن يبقى من ماله شيئًا . . لا يعرف مكروبًا إلا فرج كربته، ولا غارمًا إلا قضى دينه . .

سيداً، لا يعرف الدنية ولا يقبلها، ولا يعرف السوء طريقا إلى لسانه ومقاله . .

يقول «محمد بن إسحاق» .

ما رأيت أحداً كان إذا تحدث تمنيت ألا يسكت، مثل الحسن بن على . . وما سمعت منه كلمة سوء قط . . وإن أشد كلمة سمعتها منه، هى تلك التى قالها حين وقعت خصومة بينه وبين عمرو بن عثمان، فقال الحسن : ليس له عندنا إلا ما رغم أنفه . . تلك أشد كلمة سمعته يقولها . . !!

ولقد تحدث رضي الله عنه راسمًا للناس صورة المؤمن المثالى الرشيد، فقال :

«إنه من تصغر فى عينه الدنيا ويخرج على سلطان بطنه، وفرجه، وجهله . .

لا يسخط ولا يتبرم . .

إذا جالس العلماء، كان على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم . . وإذا غلب على الكلام، لم يغلب على الصمت . .

لا يشارك فى ادعاء ولا يدخل فى مراء . .

لا يغفل عن إخوانه، ولا يختص نفسه بخير دونهم .

وإذا تردد بين أمرين، لا يدرى أيهما أقرب إلى الحق . نظر أيهما أقرب من هواه، فخالفه واتقاه» . . !!

هذه خلاصة لدستور ومنهاج نفسه، أفلا يكون قرير العين إذن بهذا السلام الذى سيوفر له فرصة العكوف على فضائله ومزاياه ينميها ويزكيها . . ؟ !بلى . . ولقد استقر وأخوه وآل بيتهما بمدينة رسول الله ﷺ . .

ولم تكد تنزاح عن الناس فى شتى الأقطار غمرات ما كانوا فيه من خلاف وصراع، حتى راحت أرواحهم تهفو نحو المدينة، وخواطرهم تطوف من قريب وبعيد حول ريحانتى رسول الله ﷺ . .

ومع مرور الأيام، كان تطلع المسلمين إلى المدينة بما فيها من هدى ونور، يفوق تطلعهم إلى دمشق رغم ما فيها من دنيا وإغراء . .

وراحت مجالسهم وندواتهم فى كل بلد تردد ما نقله الثقات من أصحاب الرسول ﷺ عن حبه لابنيه الحسن، والحسين.

كان الناس يسمعون ويتناقلون أنباء هذا الحب العظيم الذى أضفاه عليهما جدهما النبى ﷺ، فتكاد أفئدتهم تطير شوقًا إليهما . . حتى بعض أولئك الذين ناصبؤهما من قبل العداء.

وراح المسلمون يرددون تلك الأحاديث التى تصور قدرهما، والتى حباهما الرسول بها كثيراً:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، بعد عيسى ويحيى عليهما السلام» . .

«هذان ابناى . . وابنا ابنتى . . اللهم إنى أحبهما فأحبهما، وأحب من يحبهما» . .

«اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً» . .

«الحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا».

«حسين منى، وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحب حسينا» . .

وهكذا استولى على الناس ولع نبيل، بتتبع أنباء حياتهما ـ مذ أهلا على الحياة . .

كيف اختار الرسول ﷺ بنفسه اسميهما . . ؟ كيف كان يداعبهما . . ؟ كيف كان يحزن أن يسمع بكاءهما . . ؟

وراحت الوفود من كل مصر تشد رحالها إلى المدينة لتلقى بها ابنى رسول الله ﷺ وأحب الناس إليه، ولترشف من حكمة الحسين الذى عكف على إلقاء الدروس والعظات بمسجد الرسول ﷺ . .

وكانت حلقات درسه غاية فى الجلال والمهابة . .

وصفها معاوية نفسه، فقال:

«إذا دخلت مسجد رسول الله ﷺ، فرأيت حلقة فيها قوم كأن على رءوسهم الطير، فتلك حلقة أبى عبد الله الحسين»..

كذلك أخذ الشاكون من ظلم ولاة معاوية واستهتارهم، يغذون السير إلى المدينة حاملين شكواهم إلى الحسن والحسين، فيدعوان الناس للصبر، ويرسلان لمعاوية بالنصح.

ترى، هل سيصبر بيت أبى سفيان على هذه المكانة المتصاعدة دومًا فى قلوب الناس للحسن وأخيه وأهل بيته..؟؟

كلا...

وذات يوم، دس للإمام الحسن السم فى الطعام..!!!

ويمسك التاريخ فى هذه الجريمة الدنيئة، بإحدى زوجاته وهى ـ جعدة بنت الأشعث بن قيس ـ كما يمسك بأصبع الغدر الأموى.. ومن عجب أن الأشعث بن قيس، والد جعدة ـ كان من أبرز أنصار الإمام علىّ.. ثم كانت له أثناء خدعة التحكيم وبعدها مواقف مشبوهة، ومحاولات مريبة.. كانت سببًا فى أكثر ما نزل بالإمام يومها من آلام وأخطار..!!

ومرض الحسن عليه السلام مرض الموت.

وبقيت أصالة فطرته وإيمانه متألقة، حتى تحت وطأة هذا الاغتيال الخفى، والسقم الفاجع الأليم!!

ففى علته هذه، أخذ أخوه الحسين يلح عليه كى يبوح له بمن يعتقد أو يظن أنه صاحب هذه الجريمة النكراء.

لكن حفيد الرسول العظيم ﷺ لا ينسى مبادئه تحت سحق آلامه فيسأل أخاه:

«وفيم سؤالك عمن سقانى السم..؟

أتريد أن تقاتلهم..؟

لا.. إنى أكل أمرهم إلى الله..!!».

انظروا . .

إنه حتى فى غمرة الموت لا تتخلف إرادته عن مبادئه، ويبقى رجل الأناة والسلام فيه، متفوقًا على الألم، وعلى الكراهية . . بل وعلى حقه العادل فى القصاص المشروع.

وراح يملأ أيامه الباقية بالصلاة والدعاء، مرددًا منها ذلك الدعاء الذى كان جده الرسول ﷺ قد علمه له منذ طفولته.

«اللهم اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى شر ما قضيت، فإنك تقضى ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا، وتعاليت فلك الحمد على ما قضيت، ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت. اللهم يا واصل المنقطعين أوصلنا إليك، اللهم لا تخزنا فى الدنيا ولا يوم العرض عليك، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وسلم» . .

لقد هداك الله ـ أبا محمد ـ وعافاك، وتولاك، وبارك لك فيما أعطاك . .

وما تركت مقاديرك العظيمة جرعة السم تأخذ طريقها إليك إلا لنستكمل بالشهادة والفداء، شرف الانتماء إلى بيت المقربين والشهداء . . !!!

* * *

وبعد . . فقد آن لبطل السلام أن تُزفَّ إلى الجنة روحه.

ولكن لا تزال أمامنا وصية يريد أن يوصى بها، فقد كان شوقه عظيمًا لأن يدفن مع جده الرسول ﷺ . .

وكان قد استأذن السيدة عائشة رضى الله عنها فى ذلك، فأذنت له . .

والآن، وشمس حياته تميل للغروب قال لأخيه الحسين:

«إذا مت فادفنى مع النبى ﷺ، فإنى كنت قد طلبت ذلك من عائشة وأجابتنى . . وإذا عارضك بنو أمية، فلا تراجعهم وادفنى فى البقيع . . !».

ومن أسف أن الذى توقعه قد حدث . . فرفض مروان بن الحكم أمير المدينة من قبل معاوية أن تحقق رغبة الشهيد المسجّى . . وأنزل إلى الشارع حرسه المسلح فى خسة ودناءة تليقان بمروان، وبمن على شاكلة مروان . . ! !

ورأى الحسين رضي الله عنه، فانتضى سلاحه، وصمم على إنفاذ وصية أخيه . .

لكن نفراً من الصحابة الأجلاء ذكروه بالفقرة الأخيرة من الوصية وحملوه عليها:

«فإن منعوك، فلا تراجعهم، وادفنى فى البقيع» . .

* * *

وشرف ثرى البقيع بهذا الضيف المجيد . .

وآبت إلى وطنها فى جنات الخلد روح السيد . . وروح الشهيد! ! . .

* * *

وفى رواية أخرى، قال اليعقوبى فى تاريخه:

وفاة الحسن بن على

وتوفى الحسن بن علىّ فى شهر ربيع الأول سنة ٤٩هـ، ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: يا أخى إن هذه آخر ثلاث مرار سقيت فيها السم، ولم أسقه مثل مرتى هذه، وأنا ميت من يومى، فإذا أنا مت فادفنى مع رسول الله، فما أحد أولى بقربه منى، إلا أن تمنع من ذلك فلا تسفك فيه محجمة دم.

ولما لف فى أكفانه، قال محمد بن الحنفية: رحمك الله أبا محمد، فوالله لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك، ونعم الروح روح عمر به بدنك، ونعم البدن بدن ضمه كفنك، لم لا يكون كذلك، وأنت سليل الهدى، وحلف أهل التقوى، وخامس أصحاب الكساء، غذتك كف الحق، وربيت فى حجر الإسلام، وأرضعتك ثديا الإيمان، فطب حيّا وميتًا، فعليك السلام ورحمة الله، وإن كانت أنفسنا غير قالية لحياتك، ولا شاكة فى الخيار لك.

ثم أخرج نعشه يراد به قبر رسول الله، فركب مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، فمنعا من ذلك، حتى كادت تقع فتنة.

واجتمع مع الحسين بن عليّ جماعة وخلق من الناس، فقالوا له: دعنا وآل مروان، فوالله ما هم عندنا كأكلة رأس. فقال: إن أخي أوصاني أن لا أريق فيه محجمة دم. فدفن الحسن في البقيع، وكانت سنه سبعًا وأربعين سنة، وتوفي الحسن بن عليّ وابن عباس عند معاوية، فدخل عليه لما أتاه نعي الحسن، فقال له: يا بن عباس! إن حسنًا مات. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، على عظم الخطب وجليل المصاب، أما والله يا معاوية لئن كان الحسن مات، فما ينسئ موته في أجلك، ولا يسد جسمه حفرتك، ولقد مضى إلى خير وبقيت على شر. قال: لا أحسبه قد خلف إلا صبية صغارًا. قال: كلنا كان صغيرًا فكبر. قال: بخ بخ، يا بن عباس، أصبحت سيد قومك. قال: أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين بن رسول الله، فلا.

وكان الحسن بن عليّ جوادًا كريمًا وأشبه برسول الله خَلقًا وخُلقًا..

وحج الحسن خمس عشرة حجة ماشيًا، وخرج من ماله مرتين، وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات، حتى كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً، ويعطي خفًا ويمسك أخرى.

وقال معاوية للحسن: يا أبا محمد، ثلاث خلال ما وجدت من يخبرني عنهن. قال: وما هن؟ قال: المروءة، والكرم، والنجدة. قال: أما المروءة فإصلاح الرجل أمر دينه، وحسن قيامه على ماله، ولين الكف، وإفشاء السلام والتحبب إلى الناس. والكرم العطية قبل السؤال، والتبرع بالمعروف، والإطعام في المحل، ثم النجدة، الذب عن الجار والمحاماة في الكريهة والصبر عند الشدائد.

وقال جابر: سمعت الحسن يقول: مكارم الأخلاق عشر: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، والتذمم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء.

وقيل للحسن: من أحسن الناس عيشًا؟ قال: من أشرك الناس في عيشه.

وقيل: من شر الناس عيشًا؟ قال: من لا يعيش في عيشه أحد.

وقال الحسن: فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها، وأشد من المصيبة سوء الخلق، والعبادة انتظار الفرج.

ودعا الحسن بن عليّ بنيه وبنى أخيه، فقال: يا بنى وبنى أخى! إنكم صغار قوم، وتوشكون أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه، فليكتبه وليجعله فى بيته.

وقال رجل للحسن: إنى أخاف الموت! قال: ذاك أنك أخرت مالك، ولو قدمته لسرك أن تلحق به.

وقال له معاوية يومًا: ما يجب لنا فى سلطاننا؟ قال: ما قال سليمان بن داود. قال معاوية: وما قال سليمان بن داود؟ قال: قال لبعض أصحابه: أتدرى ما يجب على الملك فى ملكه، وما لا يضره؟ إذا أدى الذى عليه منه، وإذا خاف الله فى السر والعلانية، وعدل فى الغضب والرضى، وقصد فى الفقر والغنى، ولم يأخذ الأموال غصبًا، ولم يأكلها إسرافًا وبدارًا، لم يضره ما تمتع به من دنياه، إذا كان ذلك من خلته.

وقال الحسن: كان رسول الله إذا سأله أحد حاجة لم يرده إلا بها وبميسور من القول.

وكان للحسن من الولد ثمانية ذكور، وهم: الحسن بن الحسن، وأمه خولة بنت منظور الفزارية، وزيد بن الحسن، وأمه أم بشير بنت أبى مسعود الأنصارى الخزرجى، وعمر والقاسم وأبو بكر وعبد الرحمن لأمهات أولاد شتى، وطلحة وعبيد الله.

ولما توفى الحسن وبلغ الشيعة ذلك، اجتمعوا بالكوفة فى دار سليمان بن صرد، وفيهم بنو جعدة بن هبيرة، فكتبوا إلى الحسين بن عليّ يعزونه على مصابه بالحسن: بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن عليّ من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين. سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد، فقد بلغنا وفاة الحسن بن عليّ، سلام الله عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا، غفر الله ذنبه وتقبل حسناته، ، وضاعف لك الأجر فى المصاب به وجبر بك المصيبة من بعده، فعند الله نحتسبه، وإنا لله وإنا إليه راجعون. ما أعظم ما أصيبت به هذه الأمة عامة، وأنت وهذه الشيعة خاصة، بهلاك ابن الوصى وابن بنت النبى، علم الهدى، ونور البلاد، المرجو لإقامة الدين وإعادة سير الصالحين، فاصبر رحمك الله على ما أصابك، إن ذلك لمن

عزم الأمور، فإن فيك خلفًا ممن كان قبلك، وإن الله يؤتى رشده من يهدى بهديك، ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، المسرورة بسرورك، السائرة بسيرتك، المنتظرة لأمرك، شرح الله صدرك، ورفع ذكرك، وأعظم أجرك، وغفر ذنبك، ورد عليك حقك.

وبايع معاوية لابنه يزيد بولاية العهد، بعد وفاة الحسن بن عليّ، ولم يتخلف عن البيعة إلا أربعة نفر: الحسين بن عليّ، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبى بكر، وعبد الله بن الزبير. وقال عبد الله بن عمر: نبايع من يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر، ويظهر الفسوق! ما حجتنا عند الله! وقال عبد الله بن الزبير: لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، وقد أفسد علينا ديننا.

وقال السيوطى[1]:

«قال ابن عبد البر: وروينا من وجوه أنه لما احتضر قال لأخيه:

كنت قد طلبت من عائشة أن أدفن مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فقالت: نعم، فإذا مت فاطلب ذلك إليها، وما أظن القوم إلا سيمنعونك، فإن فعلوا فلا تراجعهم. فلما مات أتى الحسين إلى أم المؤمنين عائشة فقالت: نعم وكرامة، فمنعهم مروان، فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى ردّه أبو هريرة، ثم دفن بالبقيع إلى جنب أمه رضى الله عنها».

***

(١) تاريخ الخلفاء ص ٢٢٩.

(٣) الحسين بن على
(٥ ـ ٦١ هـ)

تعرض أهل البيت عليهم السلام ـ وما زالوا يتعرضون ـ لحملات التشويه من قبل أولئك الذين يريدون منع الناس من التأسى بسيرتهم العطرة، ولم يسلم من هذا التشويه أو الطمس أحد منهم، وحسبنا ما عرضناه من قيام معاوية بن أبى سفيان بسب الإمام علىّ عليه السلام ولعنه على المنابر، وقتل كل من اعترض على ذلك فى السر أو فى العلن.

الإمام الحسين عليه السلام ثالث أئمة أهل البيت، كان واحدًا ممن تعرضوا لهذا التزييف الإعلامى من قبل أولئك الذين باعوا دينهم لقاء دنياهم، فتراهم يحاولون إطفاء ضوء الشمس فى رائعة النهار.

إنهم ما زالوا يرددون على مسامع الناس الكلمات نفسها، مثل لماذا خرج الإمام الحسين وقد نصحه فلان وعلان؟ ثم يقولون إن الإمام الحسين عليه السلام لم يحقق أى مصلحة من وراء خروجه، إلى آخر ذلك الكلام الغث.

التعرف على أسباب النهضة الحسينية أمر سهل وميسور للغاية، ويمكن لأى من هؤلاء أن يقرأ كتب التاريخ ليعرف حقيقة المأساة التى عاشتها الأمة كلها وليس أهل البيت بمفردهم، ويمكن للقارئ الكريم أن يسترجع السطور السابقة ليعرف حقيقة المناخ المسموم الذى سبق النهضة الحسينية، ومن أراد أن يستزيد فليقرأ كتابنا (*على خطى الحسين*) أما نحن فنلخص فى هذا الكتاب ملامح رحلة الآلام التى عاشها أهل بيت النبوة.

الإمام الحسين عليه السلام خرج إلى العراق، وتحديداً إلى أرض كربلاء التى اختارها لتكون مكانًا لاستشهاده، ولم يخرج على بنى أمية أو غيرهم، فهم من الأساس خارجون على القانون والشريعة الإسلامية، لكونهم غاصبين أمر المسلمين.

الإمام الحسين كان مقتولاً خرج أم لم يخرج، ولكنه اختار أن يخرج من مكة إلى المدينة، ومنها إلى أرض كربلاء ليستشهد ويدفن فيها، ويكون جسده الطاهر ودماؤه

بذرة الحرية والكرامة التى غرست فى تلك الأرض المباركة، ومعه تلك الكوكبة الطاهرة من أهل بيته وأصحابه.

خرج . . . وكان لا بد أن يخرج . . .

قتل وكان لا بد أن يقتل . . وشتان ما بين موت الكرام العظام، وموت الخراف اللئام.

الإمام الحسين بن علىّ عليهما السلام هو سيد الشهداء، والشهداء كما يقول الحق تبارك وتعالى ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وهم أيضًا مصدر حياة لأمتهم ولمن يدينون بمبادئهم.

إن الاحتفاء بذكرى عاشوراء يوم استشهاد سيد الشهداء الحسين بن علىّ، هو إحياء لتلك القيم الأخلاقية العظيمة، ورفض لمنظومة الظلم والاستبداد.

الأئمة العظماء والشهداء هم من يجسد القيم والمبادئ التى أتى بها الإسلام إلى حياة وواقع، والمبادئ التى لا تجد من يطبقها ويعمل بها فى أرض الواقع تصبح مبادئ خيالية ولا قيمة لها، وهذا هو سر عظمة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهذا هو سر تخلف وانحطاط مناوئيهم.

يقولون إن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن مضطرًا للخروج، وكأنه كان بإمكانه أن يقول لا لبنى أمية ثم يعيش معززًا مكرمًا، بينما يحكى لنا التاريخ أن بنى أمية لم يكونوا ليرضوا بأقل من استعباد الجميع وسلب إرادتهم، وهم الذين اضطروه للخروج من المدينة إلى مكة ثم الخروج من مكة لئلا يقتل بها، وهم الذين عقدوا العزم على الثأر من أهل المدينة عام ٦٣ للهجرة، واستباحوها فى واقعة الحرة، ثم خرجوا منها ليهدموا الكعبة المشرفة.

ولنقرأ معًا ما ذكره خالد محمد خالد[1] عن خروج الحسين:

إن للسلطة ضراوة لا تقاوم، إذا هى بسطت إغراءها ونفوذها على الحاكم، يرى فيها غنمًا لا تضحية . . وزهوًا لا واجبًا . .

(١) أبناء الرسول فى كربلاء .

ونحن لا نريد الطعن في معاوية، فإن منهجنا أن نحترم كل الاحترام من صحب رسول الله ﷺ وصلى وراءه. وجلس بين يديه.. وقاتل تحت لوائه.. مفوضين أمره فيما يكون له من خطأ إلى الله..

بيد أننا خلال قيامنا بواجبنا فى تحرى الحقيقة فى هذه القضية التى ندرسها، لا نملك إلا إبداء الأسف الشديد، والجزع الأشد، لهذا النهج الذى سار عليه مؤسس دولة الأمويين.. لا سيما حين اتخذ أفدح قراراته، وأكثرها ضراوة وبؤسًا.. ذلك هو أخذ البيعة لولده - يزيد - وفرضه على الدولة المسلمة وعلى الأمة المسلمة، الأمر الذى يعنينا الآن بحثه، والذى كان السبب المباشر والأوحد فى مأساة «كربلاء».. وفيما تلا «كربلاء» من أهوال شهدتها مكة وشهدتها المدينة على نحو أليم ووبيل.. هذه الأحداث التى كانت هى الأخرى سببًا مباشرًا فى ضياع الملك من بيت معاوية وذريته إلى الأبد بعد أربع سنوات من وفاته، ثم انتقال هذا الملك إلى بطن من بطون بنى أمية، أولئك هم بنو مروان.

لقد اهتزت أعطاف معاوية بالإمارة والملك، أربعين عامًا كاملة.. عشرين عامًا، أميرًا.. وعشرين عامًا، ملكًا..

أما كان يكفيه ذلك؟ ثم يترك الأمر من بعده لاختيار المسلمين، ليكون فى ذلك على الأقل وفاء بالعهد الذى أبرمه مع الحسن رضي الله عنه، والذى كان أهم شروطه للتنازل له عن الخلافة..؟؟

إن ذلك لم يحدث.. ولقد قرر معاوية.. بتدبير منه، أو بإيحاء من بعض مشيريه، أو بهما معًا، أن يستبقى السلطان فى بيته وأسرته، واختار لذلك أبعد الناس عن الصلاحية للأمر، ولده يزيد..

فحين أحس خمود صحته، ودنو نهايته، شرع على عجل يفرض - يزيد - على الناس ويهيئ له مكانه..

وبدأ بالمدينة؛ حيث كان بها نفر جليل من بقية الصحابة..

ولم يكد واليه عليها، وقريبه فى الوقت نفسه - مروان بن الحكم - يعرض الأمر على المسلمين الذين احتشدوا فى المسجد الكبير، حتى جابهته معارضة

رهيبة، لقد وقف عبد الرحمن بن أبى بكر ﵄ يقول لمروان:

«والله، ما الخيار أردتم لأمة محمد.. ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلما مات هرقل قام هرقل..».

وتلاه الحسين ﵁ فرفض فى كلمات قواطع هذا العبث بمصائر الإسلام والمسلمين.

وتلاه عبد الله بن الزبير ﵄ فدمدم على مروان وعلى معاوية بكلمات كألسنة اللهب..!!

وأبلغ مروان المعارضة إلى معاوية، فلم يحمله ذلك على إعادة النظر فى قراره، بل دفعه إلى الإيغال فى سرعة إنجازه.

فأرسل إلى ولاته الآخرين على بقية الأمصار، آمراً إياهم أن يسوقوا الوفود إلى الشام كى تبايع ليزيد..

وشهدت الشام مهزلة البيعة ومأساتها على نطاق واسع، بعد أن أدى الذهب والسيف دورهما فى حمل الناس على البيعة.

ولكن موقف «المدينة» ظل يؤرقه، فقرر السفر بشخصه إليها.

وهناك حاول إقناع زعماء المعارضة - عبد الله بن الزبير، والحسين بن علىّ، وعبد الله بن عمر - فلما أعيته الحيلة لجأ إلى القوة فى مظاهرة مسلحة عجيبة..!!

لكن الزعماء الثلاثة صمدوا، ولم يتحرك منهم لسان ببيعة.. وأمام مناورة الموت التى فاجأهم بها معاوية، لاذوا بالصمت، فاستغل هو صمتهم وأذاع فى الناس أنهم مبايعون..!!

لقد برر معاوية أخذه البيعة ليزيد بحرصه على عدم نشوب الخلاف والصراع من جديد بين المسلمين..

وإنه لتبرير يدينه أكثر مما يشفع له..!!

فلماذا خشى الصراع والفتنة إذا هو لم ينقل الملك إلى يزيد . . ولم يخشهما إذا هو وسد الأمر لغير أهله وسلم قيادة الدولة المسلمة إلى أكثر العالمين بعداً عن الصلاحية لها، وهو يزيد . . ؟؟!!

تكشف ـ بوضوح ـ هذه النظرة عن أن معاوية كان ينظر إلى الأمر على أنه ـ كما قلنا من قبل ـ سلطان بنى أمية أكثر مما هو سلطان الإسلام وسلطان المسلمين . . !!

ووضع المسألة على هذا النحو ـ وهو وضع صحيح ـ يجعل المقاومة أمراً محتوماً وقدراً مقدوراً . .

ولقد بدأت المقاومة بامتناع الحسين وابن الزبير، وابن عمر، وابن أبى بكر، بالمدينة عن البيعة.

وبدأت بالتذمر الذى ملأ صفوف الجماهير فى كل مكان والذى ارتفع به الصوت داخل الأمويين أنفسهم الذين كانوا يشمئزون من يزيد، ويرون بين رجالهم من هو أحق وأجدر . . كذلك شاع على ألسنة الذين بايعوا من عامة الناس مكرهين.

ذلك أن يزيد كان شاباً عابثاً لاهياً . . والتاريخ يصوره دائماً بين بطانته، وهى بطانة سوء، يلهون، ويشربون، ويعربدون . .

وحتى حين أراد أن يضفى على سيرته بعض التصون والوقار، فأرسله إلى مكة حاجّا، لم يغنه ذلك شيئًا، فقد اصطحب يزيد معه لهوه وعبثه وبطانته . . !!

ويزيد، قبل هذا، وبعد هذا، تنقصه كل مقومات الرجل المناسب للمكان المناسب . . فهو مفلس إفلاساً تامّا من كل ما كان لأبيه من دهاء، وشخصية، وذكاء، ومقدرة . . !

ففيم استخلافه . . ؟ وبأى رشد وأى ضمير، يفرض واحد هذا شأنه على الإسلام وعلى المسلمين؟!

ثم أين عهده مع الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أن يترك الأمر بعده شورى، حيث يختار الناس من يرتضونه . ؟!

لكن معاوية فعلها ـ غفر الله لمعاوية . .

وفى العام الستين للهجرة مات، لينتقل الأمر من بعده إلى يزيد . . وبدأ يزيد عهده بإنفاذ الوصية التى تركها له أبوه قبيل وفاته :

«إنى لا أخاف عليك سوى أربعة رجال :

الحسين بن علىّ . . وعبد الله بن عمر . . وعبد الرحمن بن أبى بكر . . وعبد الله بن الزبير .

فأما الحسين بن علىّ، فإن أهل العراق لن يتركوه حتى يخرجوه إليهم، فإن فعل فظفرت به فاصفح عنه . .

وأما عبد الله بن عمر، فرجل قد وقذته العبادة، ولا يريد الخلافة إلا أن تأتيه عفواً . .

وأما عبد الرحمن بن أبى بكر، فليس له عند الناس ما يجعله يطمح إلى طلبها، أو يحاول التماسها إلا أن تأتيه عفواً .

وأما الذى سيجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك روغان الثعلب، حتى إذا أمكنته فرصة وثب عليك، فذلك هو عبد الله بن الزبير . . فإن فعل وظفرت به فقطعه إرباً إرباً، إلا أن يلتمس منك صلحاً . فإن فعل فاقبل منه، واحقن دماء قومك بجهدك . . وكف عاديتهم بنوالك . . وتغمدهم بحلمك . . » .

ترى، هل كان معاوية يعرف لابنه هذا جهداً، أو نوالاً، أو حلماً يعالج به الأمور . . ؟؟

على أية حال، فقد جلس يزيد حيث كان يجلس أبوه من قبل، وسيق الناس إليه يبايعونه ملكاً، بعد أن بايعوه من قبل أميراً . .

واهتز كيانه فزعاً، تحت ضغط مشاعره الوجلة لوجود الحسين وابن الزبير وابن أبى بكر وابن عمر بالمدينة، فكتب على الفور إلى عامله هناك ـ الوليد

ابن عتبة بن أبى سفيان ـ بهذا الأمر الحاسم :

« . . أما بعد، فخذ حسينًا، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبى بكر بالبيعة أخذًا شديدًا، ليس فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام» . .

واستنجد الوليد بمشورة قريبه مروان، وكان مروان واليًا على المدينة من قبل، ثم سخط على قرار معاوية أخذه البيعة ليزيد، إذ كان يرى نفسه بحكم سنه ومشيخته فى بنى أمية أحق بها وأولى . .

ولخص مروان مشورته للوليد فى هذه الكلمات السوداء «أما ابن عمر، وابن أبى بكر، فلا أراهما يريان القتال . . ولكن عليك بالحسين وعبد الله بن الزبير، فإن بايعا، وإلا فاضرب أعناقهما قبل أن يذيع فى الناس نبأ موت معاوية، فيثب كل واحد منهما فى ناحية» . . !

هكذا، وبكل يسر واستهتار يطيح مروان بالرقاب!!

اضرب أعناقهما . . !!

هذا هونهج الذين اغتصبوا حق المسلمين فى خلافتهم، وأرادوا أن يجعلوه وقفًا على أنفسهم وعلى ذراريهم حتى آخر طفل فيهم وآخر رضيع . . !!

ومروان هذا، الذى يشير بقطع الرقاب، هو الذى سينتقل إليه الملك بعد أربعة أعوام من ملك يزيد . . وهو الذى سيظل الملك فى عقبه حتى يجىء العباسيون بعد عشرات من السنين، لا نرى فيها وفى كل أولئك الحاكمين من هو للقداسة أهل سوى «عمر بن عبد العزيز» رضي الله عنه وأرضاه . . هذا الخليفة العادل الذى سيضج من مظالم قومه وعائلته، ويبرأ إلى الله منها . . !!

ونعود إلى الوليد بن عتبة والى المدينة، فنراه يرسل فى طلب الحسين، وابن الزبير . .

وفى طريقهما إليه يسأل ابن الزبير الحسين :

ـ ترى فى أى أمر بعث إلينا هذه الساعة . . ؟

ويجيبه الحسين :

ـ أحسب أن معاوية قد مات . . وقد بعث إلينا للبيعة . . !

ويعودان أدراجهما دون أن يواصلا السير إلى الوليد .

فأما عبد الله بن الزبير فقد انتظر مجيء الليل ، ثم حمل متاعه ، وركب راحلته ، وسافر إلى مكة . .

وأما الحسين ، فيأخذ نفراً من أتباعه ، ويسير بهم إلى الوليد فى دار الإمارة ، ويأمرهم أن ينتظروه خارج الدار ، فإن سمعوا حواراً غاضباً بينه وبين الأمير اقتحموا الدار ليكونوا بجانب الحسين إذا أريد به السوء .

بيد أن الوليد فى هذا الموقف كان خيراً من ألف من طراز مروان .

ذلك أنه لم يكد ينهى إلى الحسين نبأ وفاة معاوية ، داعيًا إياه إلى بيعة يزيد ، حتى قال له الحسين رضي الله عنه :

«إن مثلى لا يعطى بيعته سرا» .

ولا نستبعد أن يكون الوليد ، قد أدرك ما فى كلمات الحسين من مناورة شريفة ، آثر أن يتغافل عنها ، حتى لا يلوث يديه بجريمة العدوان الذى أشار به مروان .

لذلك نراه ، حين أصبح فى اليوم التالى ، جاءه الخبر بأن الحسين رحل إلى مكة . . ولامه مروان على نبذ مشورته ، نراه يقول يومها لمروان :

«أتشير على بقتل الحسين بن فاطمة ، بنت رسول الله . . ؟؟ والله ، إن الذى يحاسب بدم الحسين يوم القيامة لخفيف الميزان عند الله . . !!» .

* * *

رحل الحسين إلى مكة . . ذلك البلد الحرام الذى يلتمس الناس فيه الأمن والملاذ . .

واصطحب معه أختيه السيدة زينب ، والسيدة أم كلثوم وإخوته أبا بكر ،

والعباس، وجعفر وأولاد أخيه الحسن وجميع من كان بالمدينة من أهل بيته، عدا أخاه محمد بن الحنفية الذى آثر البقاء بالمدينة.

وكان قد سبقه إلى مكة كما ذكرنا، عبد الله بن الزبير.

كذلك كان قد سبقه إليها حبر الأمة عبد الله بن عباس.

وفى مكة، استقر الحسين وآله.. وأقبل أهلها بل وأقبلت الوفود من خارجها على ابن بنت رسول الله ﷺ تلتمس منه الحكمة والهدى والنور.

ولقد كانت مكة آنئذ أنسب مكان يدبر فيه الحسين خواطره وتفكيره حول القضية الجليلة التى تشغله، والوضع الخطير الذى حاق بالمسلمين.

وهنا يستطيع الحسين أن يمد بصره فيرى الدار التى عاش فيها وبزغ منها جده العظيم «محمد رسول الله ﷺ» هاتفًا بكلمة الله، حاملاً معوله الرشيد فى وجه وثنية الحجر.. ووثنية البشر..!!

ويستطيع أن يمد بصره، فيرى «زمزم» التى حفرها جده عبد المطلب امتثالاً لرؤيا صادقة، والتى كانت لقريش حياة ورويًا، وصارت للمسلمين تراثًا ومنسكًا..

ويستطيع أن يمد بصره فيرى الدور التى خرج منها مهديون أبرار، آمنوا بالرسول ﷺ وآزروه فى دعوته ووحدته، وفى مقدمتها دار أبى بكر.. ثم يرى الدور التى خرج منها أولئك الذين سخروا من دعوته، واضطهدوا أهله وصحبه، وفى مقدمتها دار أبى سفيان..!

وهنا.. يستطيع أن يرى ويسمع الأصداء الصادقة الباهرة لصوت جده أبى طالب وهو يقول للرسول:

«يا بن أخى، ادع إلى سبيل ربك ما شئت، فوالله لا أسلمك إليهم أبدًا..».

ثم يقف إلى جواره كالطود مضحيًا براحته، وأمنه ومكانته بين قومه..

كما يسمع الأصداء الصادقة الباهرة لصوت جدته «خديجة» وهى تقول للرسول: و«الله لا يخزيك الله أبدًا»..

ثم تنهض إلى جواره فى وجه قريش واضعة كل ثرواتها وجاهها فى خدمة الدين الحق الجديد . .

وهنا . . يسمع الحسين بكل سمعه وقلبه كلمات جده الرسول الكريم ﷺ التى تركها للتاريخ الإنسانى بأسره قدوة ونبراسًا وهدى :

« . . والله ، لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يقضيه الله ، أو أهلك دونه» . . !

أجل . . هنا سيسمع الحسين صداها . . ويتراءى له المشهد ، فيفجر فى نفسه بأسها ، ونضالها ، وتقاها . . !!

ولسوف يسأل نفسه : ما هذا الأمر الذى رفض جده النبى ﷺ أن يتخلى عنه ولو أوتى الشمس والقمر وما بينهما . . ؟؟

ويجيبه قلبه : إنه كلمة الله ودينه .

ويعود يسأل نفسه : وأين دين الله اليوم ، ومن الذى يحمل لواءه . . ؟؟

ويجيبه الواقع : إن دين الله اليوم فى محنة ، إنه يتحول إلى ملك عضوض . . وإن الذى يحمل لواءه اليوم طاغية عربيد اسمه ، يزيد . . !!

يعود يسأل نفسه : وما المصير . . ؟؟

ويجيبه وعيه ورشده : المصير عودة الجاهلية وسيادة الوثنية ، ودنو ساعة هذه الأمة حيث يرجع كل ما بنت وشادت ترابًا فى تراب . . !!

ألم يقل جدك الرسول عليه السلام :

«إذا وسد الأمر لغير أهله ، فانتظر الساعة» .

فها هو ذا قد وسد لغير أهله ، بل لشر أهله .

ويعود سائلاً نفسه وما واجبى الآن؟ .

ويجيبه ضميره : المقاومة ، الآن ، وأبدًا . . حتى يفوز الحق ، أو تهلك دونه . . !!

على هذا النحو لا بد أن يكون الحسين قد أدار خواطره وتفكيره.

وفى رأينا أن كل حوافز الثورة على هذا الضلال كانت كامنة فى وعيه ووجدانه، وكانت وليدة إدراكه السديد لحق الدين عليه واستعداده للتضحية فى سبيله.

وليست نتيجة لموقف أهل الكوفة الذين أرسلوا إليه كتبهم ووفودهم يدعونه إليها ليبايعوه، وليسيروا تحت لوائه إلى مقاومة يزيد.

أجل.. ما كان الحسين ليدع دين الله ودنيا الناس ألعوبة فى يد يزيد..

بل كان سيبشر بالمقاومة، ويخلق ظروفها المواتية، ثم يضرب ضربتها العادلة.

وسواء دعاه أهل الكوفة أم لم يدعوه، فلقد كان يهتدى إلى مسئولياته بنور إيمانه وبصوت ضميره.. وليس بتحريض قوة خارجية..

ولقد عرفنا رأيه القديم فى صلح أخيه مع معاوية.. إذ كان يعارض هذا الصلح، معلنًا أن آل أبى سفيان لا عهد لهم ولا أمان.

فإذا كان هذا رأيه والخليفة بالأمس معاوية، فكيف يكون إذن والمستخلف اليوم يزيد..؟!

ثم إن خروجه من المدينة إلى مكة، ورفضه البيعة ليزيد يشكلان إعلانًا لمبدأ المقاومة.

فهو يعلم أن يزيد لن يتركه حتى يبايع.. وهو لن يبايع أبدًا. وإذًا ستكون المجابهة بينهما أمرًا محتومًا.

ثم إن للحسين طبيعة جياشة ثائرة، يربطها بالحق ولاء وثيق وعجيب، وتستمد من فضائل الدين العالية، ومن تراث حسبه العريق زادًا لا يفنى من الصمود والمثابرة!!

ولن يجد فى كيانه ذرة تصبر على رؤية يزيد بن معاوية يجلس حيث جلس من قبل ـ أبو بكر ـ وعمر ـ وعثمان ـ وعلى.!!

إن ذلك يعنى ضياع مقدسات عزيزة وغالية . .

وإذا كانت الطبول تدق فى دمشق، معلنة قيام خلافة كاذبة لحفيد أبى سفيان .

فلا بد أن يجد الإسلام من يدفع عنه الكارثة . .

ولا بد أن يجد المسلمون من يدرأ عنهم الطوفان . . !!

***

تلك هى القضية . .

وهذه حقيقتها التى تجلت أمام الحسين كفلق الصباح . . فهى ليست لغزاً، يحتاج إلى مناقشات تبحث له عن حلول . .

ولا صفقة، ترتبط اهتماماتها بمغنم أو مغرم .

كما أنها ليست طموحًا شخصيًا، يحتاج إلى موازنة بين فرص النجاح واحتمالات الإخفاق .

إنها قضية الحق وحده . .

حق دين، وحق أمة، وحق دولة، وحق مصير . . فإما أن ينتصر هذا الحق، أو فليمت الأبرار دونه . .

ومن لقيادة الأبرار فى هذا المجال، كأبى عبد الله الحسين . خير ابن لخير آباء . . وأكرم وارث لبيت التضحية والبذل والفداء . . ؟!

إن ملايين المسلمين فى كل العصور والأزمان، يصلون عليه فى صلواتهم آناء الليل وأطراف النهار .

أليس كل مسلم كان أو سيكون، يختم صلاته قائلاً :

«التحيات المباركات والصلوات الطيبات لله . .

السلام عليك أيها النبى، ورحمة الله وبركاته .

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . .

أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله . .

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد». .

وأليس الحسين من أولئك الآل؟

أليس هو درتهم الفريدة والمجيدة. . ؟

إذن، فإن لهؤلاء الذين يصلون عليه عبر الزمان والأجيال حقّا عظيمًا سيقتضيه تضحيات عظيمة. !!

ومتى تكون التضحية، إذا لم تكن اليوم، ودين المسلمين يتحول إلى «مزرعة أموية». . وأمجادهم العظيمة يستولى عليها مخلوق عابث. . ومصايرهم الكبرى تمسك بها أيدى وصوليين جباة، وجلادين طغاة. . !

هكذا لم يكن للحسين بد من أن يقاوم، حتى لو لم يدعه من العراق داع، ولم يأته من الكوفة كتاب. . كل ما صنعته وفود الكوفة وكتبها له، أنها عجلت خروجه.

وهنا، لا بد أن ننفى عن تفكيرنا وهمًا ردده كثيرون، هو أن «الحسين» رضي الله عنه ذهب ضحية خدعة لم يحسن تدبرها. . أو ضحية أنصار لم يحسن تقدير إخلاصهم وثباتهم. . !

كلا، إن «الحسين» إنما ذهب شهيد إيمان قرر مختاراً ومشتاقًا أن يكون شهيده وقربانه. . !!

يروى ابن الجوزى[١]:

لما مات معاوية، كان ابنه يزيد غائبًا، فلما سمع بموته قدم وقد دفن فبويع له، فأقر عبيد الله بن زياد على البصرة والنعمان بن بشير على الكوفة، وكان أمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، ولم يكن ليزيد همّ حين ولى إلا بيعة النفر الذين أبوا على أبيه الإجابة إلى بيعة يزيد، فكتب إلى الوليد بن عتبة: أما بعد فخذ حسينًا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا، والسلام.

(١) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم.

فبعث الوليد إلى مروان فاستشاره وقال: كيف ترى أن أصنع؟ قال: إنى أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة، فإن فعلوا قبلت وإن أبوا ضربت أعناقهم قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بموته وثب كل واحد منهم فى جانب فأظهر الخلاف والمنابذة، إلا أن ابن عمر لا أراه يرى القتال ولا يحب الولاية إلا أن تدفع إليه عفواً. وأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو غلام حدث إلى الحسين وابن الزبير يدعوهما فوجدهما فى المجلس جالسين فقال: أجيبا الأمير.

فقالا له: انصرف فالآن نأتيه. ثم أقبل ابن الزبير على الحسين فقال له: ما تظن فيما بعث إلينا؟ فقال الحسين: أظن طاغيتهم قد هلك، وقد بعث هذا إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو الخبر. قال: وأنا ما أظن غيره، فما تريد أن تصنع؟ قال: أجمع فتيانى الساعة ثم أسير إليه فإذا بلغت الباب احتبستهم.

فجمع الحسين عليه السلام مواليه وأهل بيته، ثم مشى حتى انتهى إلى باب الوليد، وقال لأصحابه: إنى داخل فإن دعوتكم أو سمعتم صوتى قد علا، فاقتحموا علىَّ بأجمعكم وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج.

فدخل وعنده مروان فسلم عليه بالإمرة وجلس، فأقرأه الوليد الكتاب ونعى إليه معاوية ودعاه إلى البيعة. قال الحسين «إنا لله وإنا إليه راجعون» رحم الله معاوية وعظم لك الأجر، أما ما سألتنى من البيعة فإن مثلى لا يعطى بيعته سرّاً، فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً. فقال له الوليد وكان يحب العافية: فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس.

فقال له مروان بن الحكم والله إن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينك وبينه! احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه. فوثب الحسين عند ذلك فقال: يا بن الزرقاء، أنت تقتلنى أو هو؟ كذبت والله وأثمت، ثم خرج. فقال مروان: والله لا يمكنك من مثلها من نفسه. فقال الوليد والله ما أحب أن لى ما طلعت عليه الشمس وغربت وإنى قتلت حسيناً.

إذًا فقد رفض الحسين بن على عليه السلام وهو إمام الأمة وقدوتها البيعة ليزيد لأسباب كثيرة، أقلها شهادة الإمام أحمد بن حنبل التى نقلها عنه ابن الجوزى حيث قال (وقد أسند يزيد بن معاوية الحديث فروى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسنادنا إليه متصل غير أن الإمام أحمد سئل: أيروى عن يزيد الحديث؟ فقال: لا ولا كرامة. فلذلك امتنعنا أن نسند عنه!!).

الذى رفض العلماء أن يرووا عنه حديث رسول الله، كيف يكون إمامًا للمسلمين؟!

كما أن هذه الرواية تكشف عن الطريقة التى اعتمدها بنو أمية كوسيلة ومنهج فى التسلط على رقاب المسلمين، وهى تخيير الناس بين الدخول فى طاعتهم أو القتل!!.

روى الطبرى[1] أن يزيد استقبل وفدًا من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة الغسيل وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى والمنذر بن الزبير فقدموا عليه فأكرمهم وأحسن وفادتهم وأعظم جوائزهم، فلما قدموا على المدينة، قاموا فأظهروا شتم يزيد وقالوا إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسامر الخراب والفتيان، وإنا نشهدكم أنا خلعناه فتابعهم الناس.

القول بأن الإمام الحسين بن على عليه السلام كان مخيرًا بين البقاء فى المدينة مؤثرًا للسلامة محافظًا على دينه ودين الأمة أو الخروج على ولى النعم الأموى مما سيضطر طاغية بنى أمية لاتخاذ إجراء لم يكن يرغب فى اتخاذه(؟!) هو كلام لا يصمد أمام أى تمحيص، فلم يكن أمام الإمام سوى القتل أو البيعة لهذا الفاسق، وإذا لم يكن من الموت بد فمن العيب أن تعيش جبانًا!!.

يرضى القتيل وليس يرضى القاتل!!.

لا شك أن تفريط المسلمين فى واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كان سببًا رئيسًا فى وصولهم إلى حالهم المزرى الذى هم عليه الآن.

ولا شك أن انتقال النظام السياسى من الشورى إلى أبشع أنواع التسلط والاستبداد لم يكن قدرًا إلهيًا لا مرد له، بل كان اختيارًا إنسانيًا رضى به البعض حرصًا على دنيا

(١) تاريخ الرسل والملوك «تاريخ الطبرى» جـ٥ ص ٤٨٠.

يصيبونها ونعيم زائل يناله البعض، وبينما يحرم منه جمهور المسلمين، الذين عانوا من يومها كل أنواع الظلم والأثرة والحرمان.

وإذا كان البعض ما زال يطرح السؤال نفسه عن سبب خروج الحسين بدلاً من بقائه نائمًا على فراشه، فنحن نطرح سؤالاً مقابلاً عن الدافع الأخلاقى الذى ساق البعض للسير فى ركاب السلطة الأموية الغاشمة، متجاهلين أبسط قواعد الدين والأخلاق القاضية بنصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم؟؟!!.

أيضًا فإن موقف الرفض الحسينى لم ينشأ فجأة عشية موت طاغية بنى أمية معاوية بن أبى سفيان، فقد كان للإمام الحسين مواقف كثيرة من تجاوزات هذا الطاغية. والخطبة التى بين أيدينا واحدة من تلك الكلمات التنويرية التى حاول من خلالها وضع الأمور فى نصابها؛ حيث يقول سلام الله عليه:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩]. وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك، رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون، والله يقول: **﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾** [المائدة: ٤٤]. وقال: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾** [التوبة: ٧١]. فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة منه لعلمه بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها، وذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفىء والغنائم وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها فى حقها.

ثم أنتم، أيها العصابة، بالعلم مشهورة وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة وبالله فى أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف ويؤثركم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده، تشفعون فى الحوائج إذا امتنعت من طلابها، وتمشون فى الطريق بهيئة الملوك وكرامة الأكابر أليس كل ذلك إنما

نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله؟ وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون فاستخففتم بحق الأئمة، فأما حق الضعفاء فضيعتم وأما حقكم بزعمكم طلبتم فلا مالاً بذلتموه ولا نفسًا خاطرتم بها للذى خلقها ولا عشيرة عاديتموها فى ذات الله، أنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأمانًا من عذابه، لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحل بكم نقمة من نقماته لأنكم بلغتم من كرامة الله منزلة فضلتم بها، ومن يعرف بالله لا تكرهون، وأنتم فى عباده تكرمون، وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون وذمة رسول الله محقورة والعمى والبكم والزمن فى المداين مهملة لا ترحمون، ولا فى منزلتكم تعملون ولا من عمل فيها تعتبون وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون. كل ذلك مما أمركم الله به من النهى والتناهى أنتم عنه غافلون، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تسعون، ذلك بأن مجارى الأمور والأحكام على أيدى العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلا لتفرقكم عن الحق واختلافكم فى السنة بعد البينة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة فى ذات الله كانت أمور عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم وأسلمتم أمور الله فى أيديهم، يعملون بالشبهات ويسيرون فى الشهوات، سلطهم على ذلك فراركم من الموت، وإعجابكم بالحياة التى هى مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء فى أيديهم، فما بين مستعبد مقهور وبين مستضعف على معيشته مغلوب، يتقبلون فى الملك بآرائهم ويستشعرون الخزى باقتدائهم اقتداء بالأشرار وجرأة على الجبار، فى كل بلد منهم على منبرة خطيب يصقع فالأرض لهم شاغرة وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول لا يدفعون يد لامس، فمن بين جبار عنيد وذى سطوة على الضعيف شديد مطاع لا يعرف المبدئ المعيد، فيا عجبًا وما لى لا أعجب والأرض من غاش غشوم ومتصدق ظلوم وعامل على المؤمنين غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا والقاضى بحكمه فيما شجر بيننا.

اللهّم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان منا تنافسًا فى سلطان ولا التماسًا من فضول الحطام ولكن لنرى المعالم من دينك ونظهر الإصلاح فى بلادك ويأمن

المظلوم من عبادك ويعمل بفرائضك وسنتك فى بلادك، فإنكم إن لم تنصرونا وتنصفونا، قوى الظلمة عليكم وعملوا فى إطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله وعليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير).

(ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلمًا وعدوانًا من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة، جرأة على الله واستخفافًا بعهده، أو لست بقاتل عمرو بن الحمق؟ الذى أخلقت وأبلت وجهه العبادة فنحلت جسمه وصفرت لونه بعد ما أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه فقتلته من بعد ما أعطيته من العهود ما لو أعطيته طائرًا لنزل إليك من رأس الجبال ثم قتلته جرأة على الله واستخفافًا بذلك العهد!! أو لست المدعى زيادًا فى الإسلام، فزعمت أنه ابن أبى سفيان، وقد قضى رسول الله ﷺ أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ويصلبهم فى جذوع النخل. سبحان الله! يا معاوية، لكأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك؟ أو لست قاتل الحضرمى؟ الذى كتب إليك فيه زياد أنه على دين علىّ صلوات الله عليه فكتبت إليه أن اقتل كل من كان على دين علىّ ودين علىّ هو دين ابن عمه ﷺ الذى أجلسك مجلسك الذى أنت فيه ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف، فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم).

يروى المؤرخون العديد من مواقف أبى عبد الله الحسين الرافضة لانتزاع هذه البيعة المغشوشة لهذا الفاسق صاحب السيرة غير العطرة التى لم تكن خافية على أحد من المسلمين آنئذ، ولكن من كان يجرؤ على الرفض وإعلان كلمة الحق غير أبى الأحرار الإمام الحسين؟

لذا يمكننا القول أن الإمام الحسين كان قد أعد العدة لاتخاذ مثل هذا الموقف والتصدى الحازم لبيعة الضلالة التى فرضت على المسلمين فرضًا، فكان ذلك التحرك

من المدينة أولاً إلى مكة للعمـرة والحج، ثم إلى الكوفة لإعلان الموقف الصحيح فى المكان الملائم وفى الوقت الملائم، وليس بعد فوات الأوان.

خروج الحسين

يروى أبو مخنف[1]:

أن عبد الله بن الزبير قال له وهما فى مكة: إلىّ يا بن فاطمة، فأصغى إليه فساره. قال ثم التفت إلينا الحسين فقال: أتدرون ما يقول ابن الزبير؟ فقلنا: لا ندرى جعلنا الله فداك. فقال: قال أقم فى هذا المسجد أجمع لك الناس، ثم قال الحسين: والله لأن أقتل خارجًا منها بشبر أحب إلىّ من أن أقتل داخلاً منها بشبر، وايم الله لو كنت فى جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا فىّ حاجتهم، ووالله ليعتدن علىّ كما اعتدت اليهود فى السبت.

دعك إذا من ذلك السؤال المريب (لماذا خرج الحسين؟) واقرأ معى ما فعله بنو أمية فى ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب أهل الجنة:

كربلاء

خرج الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة، وقد سبقه إلى هناك رسله بقيادة مسلم بن عقيل بن أبى طالب، فتلقفتهم سيوف القوم وقتلوهم، ولكن الإمام الحسين كان عازمًا على مواصلة المسير لإعلاء كلمة الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وبدأ الأمويون فى إرسال جيوشهم لمحاصرة الحسين أولاً فى منطقة بعيدة عن العمران والماء ثم قتله هو وأهل بيته.

عندما وصل الحسين عليه السلام إلى ذى حسم، قام فيمن معه خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إنه قد نزل من الأمر ما ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، واستمرت جدّاً فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش

(١) مقتل الحسين.

كالمرعى الوبيل، ألا ترون وأن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن فى لقاء الله محقًا فإنى لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا برمًا.

ثم أرسل عبيد الله بن زياد ـ ولى زياد من أيام معاوية على الكوفة ـ كتابًا إلى قائد جيشه عمر بن سعد بن أبى وقاص يأمره بالحيلولة بين الحسين وأصحابه وبين الماء ولا يذوقوا منه قطرة.

فبعث عمر بن سعد خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة [الماء]، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين بثلاثة أيام، ثم جاء أحد جلاوزة بنى أمية فقال: يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء؟ والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشا.

فلما اشتد على الحسين وأصحابه العطش، دعا أخاه العباس بن على بن أبى طالب، فبعثه فى ثلاثين فارسًا وعشرين راجلاً وبعث معهم بعشرين قربة، فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً، يتقدمهم نافع بن هلال الجملى، فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدى: من الرجل وما جاء بك؟ قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذى خالأتمونا عنه [منعتمونا عنه]، قال: فاشرب هنيئًا. قال: لا، والله لا أشرب منه قطرة وحسين عطشان ومن ترى من أصحابه، فقال لا سبيل إلى سقى هؤلاء، إنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء.

ثم إن عبيد الله بن زياد دعا شمر بن ذى الجوشن فقال له:

اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد، فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى، فإن فعلوا فليبعث بهم إلىّ سلمًا، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن هو أبى فقاتلهم، فأنت أمير الناس، واضرب عنقه وابعث إلىّ برأسه. ثم كتب ابن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد فإنى لم أبعثك إلى حسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة والبقاء، ولا لتقعد له عندى شافعًا، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إلىّ سلمًا، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتل حسين فأوطأ الخيل

صدره وظهره، فإنه عاق مشاق قاطع ظلوم، إن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر، فإنا قد أمرناه بأمرنا، والسلام.

فأقبل شمر بن ذى الجوشن بكتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد، فلما قدم به عليه فقرأه، قال له عمر أفسدت علينا أمرًا كنا رجونا أن يصلح! لا يستسلم والله حسين، إن نفسًا أبية لبين جنبيه، فقال له شمر: أتمضى لأمر أميرك وتقتل عدوه؟ وإلا فخل بينى وبين الجند والعسكر، قال: لا ولا كرامة لك وأنا أتولى ذلك. فنهض عمر بن سعد إليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم.

ثم إن عمر بن سعد نادى يا خيل الله اركبى وأبشرى! فركب فى الناس ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر، وحسين جالس أمام بيته محتبيًا بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أخته زينب الصيحة فدنت من أخيها فقالت: يا أخى أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟ فرفع الحسين رأسه فقال: إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله فى المنام فقال لى: إنك تروح إلينا، فلطمت أخته وجهها وقالت: يا ويلتى! فقال ليس لك الويل يا أخية، اسكتى رحمك الرحمان، وقال العباس بن على: يا أخى أتاك القوم، قال: فنهض ثم قال: يا عباس اركب حتى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم؟. فأتاهم العباس فاستقبلهم فى نحو من عشرين فارسًا، فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم، قال: فلا تعجلون حتى أرجع إلى أبى عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، فوقفوا ثم قالوا: القه فأعلمه ذلك ثم القنا بما يقول، فانصرف العباس راجعًا يركض إلى الحسين يخبره بالخبر ووقف أصحابه يخاطبون القوم، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين: كلم القوم إن شئت وإن شئت كلمتهم، فقال له زهير أنت بدأت بهذا فكن أنت تكلمهم، فقال لهم حبيب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غدًا قوم يقدمون عليه

قتلوا ذرية نبيه وعترته وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وعباد أهل هذا المصر المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيراً.

وأقبل العباس بن على يركض حتى انتهى إليهم فقال: يا هؤلاء إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر فى هذا الأمر، فإن هذا أمر لم يجر بينكم وبينه فيه منطق، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله، فإما رضيناه فأتينا بالأمر الذى تسألونه وتسومونه، أو كرهنا فرددناه. وإنما أراد [الحسين] بذلك أن يردهم عنه تلك العشية حتى يأمر بأمره ويوصى أهله.

قال على بن الحسين: فجمع الحسين أصحابه قرب المساء، فدنوت منه وأنا مريض فسمعت أبى وهو يقول لأصحابه:

أثنى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء، اللهم إنى أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن وفقهتنا فى الدين وجعلت لنا أسماعًا وأبصاراً وأفئدة، ولم تجعلنا من المشركين.

أما بعد، فإنى لا أعلم أصحابًا أولى ولا خيراً من أصحابى ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتى، فجزاكم الله عنى جميعًا خيرًا، ألا وإنى أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإنى قد رأيت لكم فانطلقوا جميعًا فى حل ليس عليكم منى ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ثم تفرقوا فى سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبونى ولو قد أصابونى لهوا عن طلب غيرى.

فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر: لم نفعل؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً.

فقال الحسين: يا بنى عقيل حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنت لكم.

قالوا لا والله لا نفعل ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلونا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبح الله العيش بعدك.

وقال على بن الحسين: إنى جالس فى تلك العشية التى قتل أبى صبيحتها، وعمتى زينب عندى تمرضنى، إذ اعتزل أبى بأصحابه فى خباء له وهو يقول:

يا دهر أف لك من خليـــــل   كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيـــل   والدهر لا يقنع بالبديـــل
وإنما الأمر إلى الجليـــــل   و كل حي ســـالك السبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثًا، فعرفت ما أراد فخنقتني عبرتي فرددت دمعي ولزمت السكون، فعلمت أن البلاء قد نزل، أما عمتي زينب فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة . . اليوم ماتت فاطمة أمي وعلى أبي وحسن أخي، يا خليفة الماضين وثمال الباقين.

فقال لها الحسين: يا أخية لا يذهبن حلمك الشيطان، يا أخية اتقى الله وتعزى بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته ويبعث الخلق فيعودون وهو فرد وحده، أبي خير مني، وأمي خير مني وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة. قال فعزاها بهذا ونحوه، وقال لها: يا أخية إني أقسم عليك فأبرى قسمي ولا تشقي عليّ جيبًا ولا تخمشي عليّ وجهًا إذا أنا هلكت. قال: ثم جاء بها حتى أجلسها عندي وخرج إلى أصحابه.

فلما أمسى حسين وأصحابه، قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون.

وفي اليوم التالي، وكان ذلك يوم عاشوراء، صلى عمر بن سعد الغداة، ثم خرج فيمن معه من الناس، بينما عبأ الحسين أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارسًا وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه، وأعطى رايته العباس بن علي أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم.

فلما صبحت الخيل الحسين رفع يديه فقال:

اللهم أنت ثقتي في كل كرب ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر

نزل بى ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة منى إليك عمن سواك، ففرجته وكشفته، فأنت ولى كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كل رغبة.

فلما دنا القوم من الحسين، عاد فركب فرسه ثم نادى بأعلى صوته يسمع جل الناس:

أيها الناس اسمعوا قولى ولا تعجلونى حتى أعظكم وحتى أعتذر إليكم من مقدمى عليكم، فإن قبلتم عذرى وصدقتم قولى أعطيتمونى النصف، كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منى العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف: ١٩٦]. ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله وصلى على محمد صلى الله عليه وآله وعلى أنبيائه.

ثم قال: أما بعد، فانسبونى فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا، هل يحل لكم قتلى وانتهاك حرمتى؟ ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبى؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمى؟ أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لى ولأخى **«هذان سيدا شباب أهل الجنة»**؟ فإن صدقتمونى بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذبًا مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله ويضر به من اختلقه، وإن كذبتمونى فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم. سلوا جابر بن عبد الله الأنصارى وأبا سعيد الخدرى أو سهل بن سعد الساعدى أو زيد بن أرقم أو أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لى ولأخى، أما فى هذا حاجز لكم عن سفك دمى؟.

ثم قال لهم الحسين :

فإن كنتم فى شك من هذا القول، أفتشكون أنى ابن بنت نبيكم؟ فو الله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبى غيرى منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنت نبيكم خاصة. أخبرونى أتطلبونى بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟

فأخذوا لا يكلمونه.

فنادى يا شيث بن ربعى ويا حجار بن أبجر ويا قيس بن الأشعث ويا يزيد ابن الحارث، ألم تكتبوا إلىّ أن قد أينعت الثمار واخضر الجناب وطمت الجمام، وإنما تقدم على جند لك مجند فأقبل؟

قالوا له : لم نفعل. فقال : سبحان الله بلى والله لقد فعلتم، ثم قال : أيها الناس إذا كرهتمونى فدعونى أنصرف عنكم إلى مأمنى من الأرض.

فقال له قيس بن الأشعث : أو لا تنزل على حكم بنى عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب ولن يصل إليك منهم مكروه. .

فقال له الحسين : أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيهم بيدى إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد. عباد الله إنى عذت بربى وربكم أن ترجمون، أعوذ بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

الحر بن يزيد الرياحى

ثم إن الحر بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له : أصلحك الله، أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال إى والله قتالاً أيسره أن تسقط الرءوس وتطيح الأيدى، قال أفما لكم فى واحدة من الخصال التى عرض عليكم رضى؟ قال عمر بن سعد : أما والله لو كان الأمر إلىّ لفعلت، ولكن أميرك قد أبى ذلك. قال فأقبل الحر حتى وقف من الناس موقفًا ومعه رجل من قومه يقال له قرة بن قيس، فقال : يا قرة هل سقيت فرسك اليوم؟ قال لا قال : أما تريد أن

تسقيه؟ قال قرة: فظننت والله أنه يريد أن يتنحى فلا يشهد القتال، وكره أن أراه حين يصنع ذلك فيخاف أن أرفعه عليه، فقلت له: لم أسقه وأنا منطلق فساقيه، قال: فاعتزلت ذلك المكان الذى كان فيه، قال: فوالله لو أنه أطلعنى على الذى يريد لخرجت معه إلى الحسين، فأخذ يدنو من حسين قليلاً قليلاً، فقال له رجل من قومه: ما تريد يا بن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذته رعدة، ثم قال إنى والله أخير نفسى بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنة شيئًا ولو قطعت وحرقت، ثم ضرب فرسه فلحق بالحسين، فقال له: جعلنى الله فداك يا بن رسول الله أنا صاحبك الذى حبستك عن الرجوع وسايرتك فى الطريق وجعجعت بك فى هذا المكان، والله الذى لا إله إلا هو ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبدًا، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، وإنى قد جئتك تائبًا مما كان منى إلى ربى ومواسيًا لك بنفسى، حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لى توبة؟ قال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك، ما اسمك؟ قال أنا الحر بن يزيد ، قال: أنت الحر كما سمتك أمك، أنت الحر إن شاء الله فى الدنيا والآخرة، انزل. قال أنا لك فارسًا خير منى راجلاً، أقاتلهم على فرسى ساعة وإلى النزول يصير آخر أمرى، قال الحسين فاصنع يرحمك الله ما بدا لك.

فتقدم الحر أمام أصحابه، ثم قال لعمر بن سعد: ألا تقبلون من حسين خصلة من هذه الخصال التى عرض عليكم فيعافيكم الله من حربه وقتاله؟ قال عمر: لو وجدت إلى ذلك سبيلاً فعلت. فقال:

يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر، إذ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه بعد أن زعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه! أمسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب، فمنعتموه التوجه فى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، وأصبح فى أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعًا ولا يدفع ضراً، ومنعتموه ونساءه وأهل بيته وأصحابه عن ماء الفرات الجارى الذى يشربه اليهودى والمجوسى والنصرانى، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وهاهم قد صرعهم العطش! بئسما خلفتم محمداً

في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظمأ إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه.

فحملت عليه رجالة لهم ترميه بالنبل، فأقبل حتى وقف أمام الحسين.

وزحف عمر بن سعد نحوهم، ثم وضع سهمه فى كبد قوسه ثم رمى فقال: اشهدوا أنى أول من رمى.

وحمل شمر بن ذى الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين برمحه، ونادى علىّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله، قال فصاح النساء وخرجن من الفسطاط. قال وصاح به الحسين يا بن ذى الجوشن أنت تدعو بالنار لتحرق بيتى على أهلى حرقك الله بالنار، فقال له رجل سبحان الله إن هذا لا يصلح لك، أتريد أن تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء؟ والله إن فى قتلك الرجال لما ترضى به أميرك، فجاءه شيث بن ربعى فقال: ما رأيت مقالاً أسوأ من قولك ولا موقفًا أقبح من موقفك، أمرعبًا للنساء صرت؟ فاستحيا وانصرف.

وكان أول من قتل بالطف [اسم مكان المعركة] من بنى هاشم على بن الحسين.

فشد الحسين عليه السلام حتى وقف عليه وهو مقطع، فقال قتل الله قومًا قتلوك، يا بنى ما أجرأهم على الرحمان وعلى انتهاك حرمة الرسول، على الدنيا بعدك العفا، ثم خرجت امرأة مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادى: يا أخياه ويا بن أخاه، فقيل هذه زينب ابنة فاطمة ابنة رسول الله ﷺ فجاءت حتى أكبت عليه، فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردها إلى الفسطاط، وأقبل الحسين إلى ابنه وأقبل فتيانه إليه فقال: احملوا أخاكم. فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين يدى الفسطاط الذى كانوا يقاتلون أمامه.

ولما يئس الحسين من نفسه، ذهب إلى فسطاطه فطلب طفلاً له ليودعه، فجاءته به أخته زينب فتناوله من يدها ووضعه فى حجره، فبينا هو ينظر إليه

إذ أتاه سهم فوقع فى نحره فذبحه، فأخذ الحسين عليه السلام دمه بكفه ورمى به إلى السماء وقال:

اللهمَّ لا يكن أهون عليك من دم فصيل ناقة صالح، اللهم إن حبست عنا النصر من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير لنا، وانتقم لنا من هؤلاء الظالمين فلقد هون ما بى أنه بعينك يا أرحم الراحمين.

استشهاد الحسين

ثم قال الحسين:

اللهم إنى أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك.

ثم إن شمر بن ذى الجوشن أقبل فى نفر من الرجالة قبل منزل الحسين الذى فيه ثقله وعياله، فمشى نحوه فحالوا بينه وبين رحله.

فقال الحسين:

ويلكم إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونوا فى أمر دنياكم أحراراً ذوى أحساب، امنعوا رحلى وأهلى من طغامكم وجهالكم، فقال ابن ذى الجوشن: ذلك لك يا بن فاطمة. وأقدم عليه بالرجالة منهم: عبد الرحمن الجعفى والقشعم بن عمرو بن يزيد الجعفى وصالح بن وهب اليزنى وسنان بن أنس النخعى وخولى بن يزيد الأصبحى، فجعل شمر بن ذى الجوشن يحرضهم، فمر بأبى الجنوب وهو شاك فى السلاح فقال له: أقدم عليه، قال: وما يمنعك أن تقدم عليه أنت؟ فقال له شمر ألى تقول ذا؟ قال وأنت لى تقول ذا؟ فاستبا فقال له أبو الجنوب والله لهممت أن أخضخض السنان فى عينك، فانصرف عنه شمر وقال والله لئن قدرت على أن أضرك لأضرنك.

ثم إن شمراً أقبل فى الرجالة نحو الحسين، فأخذ الحسين يشد عليهم فينكشفون عنه، ثم إنهم أحاطوا به، فضربه مالك بن النسر الكندى بسيفه على رأسه بعد أن شتمه، ثم ألقى الحسين عليه السلام قلنسوته ودعا بخرقة

وقلنسوة، فشد رأسه بالخرقة ولبس القلنسوة واعتم عليها، فرجع عنه شمر ومن معه إلى مواضعهم، فمكث هنيهة ثم عاد وعادوا إليه وأحاطوا به، فخرج عبد الله بن الحسن، من عند النساء وهو غلام لم يراهق، فشد حتى وقف إلى جنب عمه الحسين عليه السلام، فلحقته زينب لتحبسه فأبى، فقال لها الحسين: احبسيه يا أخية، فامتنع امتناعًا شديدًا وقال: والله لا أفارق عمى، وأهوى بحر بن كعب إلى الحسين بالسيف، فقال له الغلام: ويلك يا بن الخبيثة أتقتل عمى؟ فضربه بحر بالسيف، فاتقاه الغلام بيده فأطنها إلى الجلد، فإذا هي معلقة، فأخذه الحسين عليه السلام وضمه إليه وقال يا بن أخى اصبر على ما نزل بك واحتسب فى ذلك الخير، فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين.

وأصابت الرماح ضلوع ابن النبى وأثخن بالجراح، فقال شمر ما وقوفكم وما تنتظرون بالرجل وقد أثخنته السهام؟ احملوا عليه ثكلتكم أمهاتكم، فحملوا عليه من كل جانب، فرماه أبو الجنوب الجعفى فى جبينه، والحصين ابن نمير فى فيه، وأبو أيوب الغنوى بسهم مسموم فى حلقه، فقال عليه السلام: بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وهذا قتيل فى رضى الله.

وكانت ضربة زرعة بن شريك التميمى على كتفه الأيسر، وضربة عمر بن الخليفة الجعفى على حبل عاتقه، وطعنه صالح بن وهب المزجى على جنبيه، ورماه سنان بن أنس النخعى فى صدره، فوقع على الأرض، فدنا منه عمر ابن سعد وقال: جزوا رأسه.

وعن جعفر بن محمد بن على قال: وجد بالحسين عليه السلام حين قتل ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة، وجعل سنان بن أنس لا يدنو أحد من الحسين إلا شد عليه مخافة أن يغلب على رأسه، حتى أخذ رأس الحسين ومال الناس على الورس والحلل والإبل فنهبوها، قال ومال الناس على نساء الحسين وثقله ومتاعه، فإن كانت المرأة لتنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها[1].

***

انتهى ذلك النقل لفاجعة مقتل الحسين بن على عليهما السلام من كتاب (*مقتل الحسين*) لأبى مخنف، وما ورد فيه لا يختلف فى شىء عما ورد فى بقية كتب التاريخ

(١) أبو مخنف مقتل الحسين.

مثل تاريخ الطبرى والإمامة والسياسة لابن قتيبة والبداية والنهاية لابن كثير ومن أراد المزيد فليرجع لكتب التاريخ.

هذه هى القصة الحقيقية لمقتل أبى الأحرار، أبى عبد الله الحسين ابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وأهله أهل الورع والتقوى، بيت النبى الأمين، الذين اعتورتهم سيوف بنى أمية يوم عاشوراء، ثم قامت خيولهم بوطأ أجسادهم وقامت جحافلهم بسلب نسائهم وجز رءوس الشهداء والاحتفال بانتصار جيش (أمير المؤمنين) يزيد بن معاوية على (الكذاب بن الكذاب الحسين بن على وشيعته)!!!.

ثم ها هو عمر بن سعد بن أبى وقاص يطلب من أصحابه أن يمثلوا بالجسد الطاهر لأبى عبد الله الحسين ريحانة رسول الله، وأن يوطأ بسنابك الخيل، فانتدب عشرة منهم للقيام بتلك (المهمة المقدسة) فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضّوا ظهره وصدره.

ثم سيقت نساء بيت النبوة سبايا ليمروا على الجثث الطاهرة، وما إن مرت زينب عليها السلام بأخيها الحسين صريعًا حتى صرخت وقالت:

يا محمداه يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء، يا محمداه وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليها الصبا.

ثم قطعت رءوس الباقين، اثنين وسبعين رأسًا حملها شمر بن ذى الجوشن وقيس ابن الأشعث وعمر بن الحجاج وعزرة بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد، ودخل الناس، ثم نودى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فى المسجد فصعد المنبر فقال:

الحمد الله الذى أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذاب بن الكذاب الحسين بن على وشيعته.

فلم يفرغ ابن زياد من مقالته، حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدى، وكان من شيعة على كرم الله وجهه، وكانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع على، فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة وأخرى على حاجبه فذهبت عينه الأخرى، فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم، يصلى فيه إلى الليل ثم ينصرف. فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا بن مرجانة، إن الكذاب أنت وأبوك والذى ولاك وأبوه. يا بن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟. فقال ابن زياد: علىَّ به. قال: فوثبت عليه الجلاوزة فأخذوه فقتل وأمر بصلبه فى السبخة فصلب هنالك.

وينقل ابن كثير[1]:

وأرسل عمر بن سعد بحرمه وعياله إلى ابن زياد، ولم يكن بقى من آل الحسين إلا غلام (على بن الحسين) وكان مريضًا مع النساء، فأمر به ابن زياد ليقتل، فطرحت زينب نفسها عليه وقالت: والله لا يقتل حتى تقتلونى، فرق لها وكف عنه.

فأرسلهم إلى يزيد، فجمع يزيد من كان بحضرته من أهل الشام، ثم دخلوا عليه فهنؤوه بالفتح، فقام رجل منهم أحمر أزرق - ونظر إلى وصيفة من بناته - فقال: يا أمير المؤمنين، هب لى هذه. فقالت زينب: لا ولا كرامة لك ولا له، إلا أن تخرجا من دين الله. قال: فأعادها الأزرق، فقال له يزيد: كف عن هذا.

فلما رجع الحريم إلى المدينة، خرجت امرأة من بنى عبد المطلب ناشرة شعرها واضعة كمها على رأسها تتلقاهم وهى تبكى وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبى لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتى وبأهلى بعد مفتقدى ... منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائى إذ نصحت لكم ... أن تخلفونى بسوء فى ذوى رحم

ولك أن تلاحظ أنه لم يجرؤ أحد من الشعراء على الجهر علنًا برثائه للإمام الحسين عليه السلام، حتى أن المؤرخين كانوا يلقون بمسئولية المراثى التى سمعوها على الجن، فيقولون سمعنا صائحًا أو سمعنا الجن يقول، ويا للعجب حيث يقول أبو الفرج: وقد رثى الحسين بن على - صلوات الله عليه - جماعة من متأخرى الشعراء استغنى عن ذكرهم فى هذا الموضع كراهية الإطالة، وأما من تقدم فما وقع إلينا شىء رثى به وكان الشعراء لا يقدمون على ذلك مخافة من بنى أمية وخشية منهم !!!.

ثم ذكر شاعراً واحداً قام برثائه من المتقدمين هو سليمان بن قتة حيث قال:

مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرها أمثالها يوم حلت
ألم تر أن الشمس أضحت مريضة ... لفقد حسين والبلاد اقشعرت
وكانوا رجاء ثم صاروا رزية ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

(١) البداية والنهاية.

أتسألنا قيس فنعطى فقيرها وتقتلنا قيس إذا النعل زلت
وعند غنى قطرة من دمائنا سنطلبها يومًا بها حيث حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم برغمى تخلت
فإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاب المسلمين فذلت

وقبل أن ننتقل إلى الإمام الرابع، على بن الحسين السجاد، زين العابدين، نقتبس من اليعقوبى[1] ما جاء تحت عنوان:

أيام معاوية بن يزيد بن معاوية

ثم ملك معاوية بن يزيد بن معاوية، وأمه أم هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة، أربعين يومًا، وقيل: بل أربعة أشهر، وكان له مذهب جميل، فخطب الناس، فقال: أما بعد حمد الله والثناء عليه، أيها الناس فإنا بلينا بكم وبليتم بنا، فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وإن جدى معاوية بن أبى سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه فى القرابة برسول الله، وأحق فى الإسلام، سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وأبا بقية خاتم المرسلين، فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيته وصار رهنًا بعمله، ثم قلد أبى وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلّت منعته، وانقطعت مدته، وصار فى حفرته رهنًا بذنبه، وأسيرًا بجرمه، ثم بكى، وقال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمة، وحرق الكعبة، وما أنا المتقلد أموركم، ولا المتحمل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنمًا لقد نلنا منها حظًا، وإن تكن شرًا فحسب آل أبى سفيان ما أصابوا منها.

فقال له مروان بن الحكم: سنها فينا عمرية! قال: ما كنت أتقلدكم حيًا وميتًا، ومتى صار معاوية بن يزيد بن معاوية مثل عمر، ومن لى برجل مثل رجال عمر. وتوفى وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وصلى عليه خالد بن يزيد بن معاوية، وقيل بل عثمان بن محمد بن أبى سفيان، ودفن بدمشق، وكان بها ينزل.

---

(١) تاريخ اليعقوبى جـ٢ ص ٢٥٤.

٤ ـ على بن الحسين السجاد
(زين العابدين)
(٣٨ ـ ٩٥هـ)

وكان الإمام بعد الحسين بن علىٍّ ابنه أبو محمّد علىّ بن الحسين زين العابدين، وكان مولده بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، أى أنه بقى مع جدّه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام سنتين ومع عمّه الحسن عشر سنين ومع أبيه الحسين عليه السلام إحدى عشرة سنةً وكانت إمامته أربعًا وثلاثين سنةً، وتوفّى بالمدينة سنة خمس وتسعين للهجرة وله يومئذ سبعٌ وخمسون سنةً. ودفن بالبقيع مع عمّه الحسن بن على عليهما السّلام.

كان يكنى بأبى محمد، وسيد العابدين، وزين العابدين، والسجاد.

روى أبو القاسم الزمخشرى[(١)]:

أنه لما جىء إلى المدينة بسبى فارس فى خلافة عمر بن الخطاب (١٣ـ ٢٣هـ / ٦٣٤ ـ ٦٤٤م) كان فى هذا السبى ثلاث بنات ليزدجر، فأمر عمر ـ رضي الله عنه ـ ببيع البنات الثلاث، فقال الإمام على، كرم الله وجهه فى الجنة: إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من السوقة، فسأله أمير المؤمنين عمر: كيف الطريق إلى العمل معهن يا أبا الحسن؟ فقال، كرم الله وجهه: يقوّمن يا أمير المؤمنين، ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن.

وقد أخذ عمر برأى الإمام، فأخذهن على، رضي الله عنه، ثم دفع بواحدة لعبد الله ابن عمر، ودفع بالثانية إلى محمد بن أبى بكر، ودفع بالثالثة إلى الحسين، على أن تكون البنات الثلاث زوجات لأكفائهن من العرب. وقد ولدت زوجة الحسين عليّا زين العابدين الذى ينتسب إليه كل شريف حسينى على وجه الأرض، فيكون له بذلك من العرب أشرف الأصلاب، إلى جانب أن له فى الفرس أكرم الأرحام[(٢)].

(١) ربيع الأبرار.

(٢) ابن كثير البداية والنهاية ٩/ ١١٦، ابن خلكان وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٧ (بيروت ١٩٦٥م)، أحمد حسن الباقورى: على إمام الأئمة ـ القاهرة ١٩٨٥م ص ١٨٠، عبد الرازق الموسوى، المرجع السابق ص١٢، باقر القرشى المرجع السابق ص٢٢، الشبلنجى المرجع السابق ص١٣٩، الصدوق: عيون أخبار الرضا ص٢٧، البحار ١١/ ٤، العماد الحنبلى شذرات الذهب ١/ ١٠٤، نزهة المجالس ٢/ ١٩٢، زهرة المنقول ص٦.

وروى الصبان القصة على الوجه التالى :

جاء فى السيرة الحلبية، لما جيء ببنات كسرى، وكن ثلاثًا، مع أمواله وذخائره إلى عمر، وقفن بين يديه، وأمر المنادى أن ينادى عليهن، وأن يزيل نقابهن عن وجوههن، فامتنعن عن كشف نقابهن ووكزن المنادى فى صدره، فغضب عمر، رضي الله عنه، وأراد أن يعلوهن بالدرة، وهن يبكين، فقال له على، كرم الله وجهه: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ارحموا عزيز قوم ذل، وغنى قوم افتقر» فسكن غضبه، فقال له على : إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن، فقال له عمر : كيف الطريق إلى العمل معهن؟ فقال: يقوّمن، ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن، فقوّمن وأخذهن على، رضى الله تعالى عنه، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر، فجاء منها بولده سالم، وأخرى لمحمد بن أبى بكر، فجاء منها بولده القاسم، والثالثة لولده الحسين، فجاء منها بولده على زين العابدين، وهؤلاء الثلاثة فاقوا أهل المدينة علمًا[1] .

وقال الراغب الأصفهانى: إن أمير المؤمنين قال لولده الحسين : خذها فستلد لك سيداً فى العرب، سيداً فى العجم، سيداً فى الدنيا والآخرة[2] .

***

على بن الحسين فى أسر يزيد

ذكرنا من قبل أن علىّ بن الحسين عليه السلام كان الوحيد الذى أفلت من الذبح يوم عاشوراء من رجالات أهل البيت، وكان أن أسر وسيق إلى طغاة بنى أمية؛ حيث يروى أبو مخنف[3] عن حميد بن مسلم قال:

إنى لقائم عند ابن زياد حين عرض عليه على بن الحسين، فقال له ما اسمك؟ قال: أنا على بن الحسين، قال أو لم يقتل الله على بن الحسين؟ فسكت. فقال له ابن زياد: مالك لا تتكلم؟ قال قد كان لى أخ يقال له أيضًا على فقتله الناس. قال إن الله قد قتله. قال: فسكت على، فقال له مالك لا تتكلم؟

(١) محمد الصبان إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين ص ٢١٧ .
(٢) الراغب الأصفهانى محاضرات الأدباء ١/ ٣٤٧، محمد جواد مغنية فضائل الإمام علىّ ص٢١٨ .
(٣) مقتل الحسين.

قال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]. ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]. فقال [زياد لحارسه] اقتله. فقال على بن الحسين من توكل بهؤلاء النسوة؟ وتعلقت به زينب عمته، فقالت يا ابن زياد حسبك منا، أما رويت من دمائنا؟ وهل أبقيت منا أحدا؟ قال فاعتنقته فقالت أسألك بالله إن كنت مؤمنًا إن قتلته لما قتلتني معه. قال وناداه على فقال: يا بن زياد إن كانت بينك وبينهم قرابة فابعث معهن رجلاً تقيًا يصحبهن بصحبة الإسلام. قال: فنظر إليها ساعة ثم نظر إلى القوم فقال: عجبًا للرحم! والله إني لأظنها ودت لو أني قتلته أني قتلتها معه. دعوا الغلام. . . . انطلق مع نسائك.

وفى تلك الفترة التى أمضاها على بن الحسين فى الأسر الأموى، خرج يومًا يمشى فى أسواق دمشق، فلقيه المنهال بن عمرو، فقال كيف أمسيت يا بن رسول الله؟ قال أمسينا كمثل بنى إسرائيل فى آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم. يا منهال أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها، وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمدًا منها، وأمسينا معشر أهل بيته ونحن مقتولون مشردون، فإنا لله وإنا إليه راجعون مما أمسينا فيه يا منهال.

وروى ابن سعد فى طبقاته قريبًا من هذا.

أهل البيت
الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس

حدّثني محمّد بن جعفر وغيره قالوا: وقف على عليّ بن الحسين عليهما السّلام رجلٌ فشتمه فلم يكلّمْه الإمام، فلمّا انصرف قال لجلسائه قد سمعتم ما قال هذا الرّجل وأنا أحب أن تأتوا معى إليه حتى تسمعوا ردّى عليه، قالوا له نفعل ولقد كنّا نحب أن تقول له ونقول، فأخذ نعليه ومشى وهو يقول ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. فعلمْنا أنّه لا يقول له شيئًا، فخرج حتى أتى منزل الرجل قائلاً قولوا له هذا على بن الحسين، فخرج إلينا متوثبًا للشر وهو لا يشك أنه إنّما جاءه مكافئًا له على بعض ما كان منه، فقال له على بن الحسين عليهما

السّلام : يا أخي إنّك كنت قد وقفت عليّ آنفًا فقلت وقلت، فإن كنت قلت ما فيّ فأستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك، فقبّل الرّجل ما بين عينيه وقال بل قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحق به.

السجاد نهر العطاء

وروى المفيد عن ابن إسحاق قال: كان بالمدينة العديد من الأسر التي يأتيهم رزقهم وما يحتاجون إليه لا يدرون من أين يأتيهم، فلمّا مات عليّ بن الحسين عليهما السّلام فقدوا ذلك.

السجاد عليه السلام بين الناس

حج هشام بن عبد الملك في خلافة أبيه، فطاف بالبيت فلما أراد أن يستلم الحجر لم يتمكن حتى نصب له منبر فاستلم وجلس عليه، وقام أهل الشام حوله، فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين، فلما دنا من الحجر ليستلمه تنحى عنه الناس إجلالاً له وهيبة واحترامًا، وهو في بزة حسنة، وشكل مليح، فقال أهل الشام لهشام من هذا؟ فقال: لا أعرفه ـ استنقاصًا له واحتقارًا لئلا يرغب فيه أهل الشام ـ فقال: الفرزدق: ـ وكان حاضرًا ـ أنا أعرفه، فقالوا: ومن هو؟ فأشار الفرزدق يقول:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته — والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم — هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها — إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت — عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته — ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضى حياءً ويغضى من مهابته — فما يكلم إلا حين يبتسم
بكفه خيزران ريحها عبق — من كف أروع في عرنينه شمم
مشتقة من رسول الله نبعته — طابت عناصرها والخيم الشيم
ينجاب نور الهدى من نور غرته — كالشمس ينجاب عن إشراقها الغيم

حمال أثقال أقوام إذا فدحوا حلو الشمائل تحلو عنده نعم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجده أنبياء الله قد ختموا
من جده دان فضل الأنبياء له وفضل أمته دانت لها الأمم
عم البرية بالإحسان فانقشعت عنها الغواية والإملاق والظلم
كلتا يديه غياث عم نفعهما يستوكفان ولا يعروهما العدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه اثنتان الحلم والكرم
لا يخلف الوعد ميمون بغيبته رحب الفناء أريب حين يعتزم
من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع السوء والبلوى بحبهم ويستزاد به الإحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل حكم ومختوم به الكلم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم خيم كرام وأيد بالندى هضم
لا ينقص العدم بسطًا من أكفهم سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
أى الخلائق ليست فى رقابهم لأولية هذا أوله نعم
فليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
من يعرف الله يعرف أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأمم

فغضب هشام منه لما عرف بذلك، وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة، فلما بلغ ذلك على بن الحسين، بعث إلى الفرزدق باثنى عشر ألف درهم، فلم يقبلها، وقال إنما قلت ما قلت لله عز وجل ونصرة للحق، وقيامًا بحق رسول الله ﷺ فى ذريته، ولست أعتاض عن ذلك بشىء. فأرسل إليه على بن الحسين يقول: قد علم الله صدق نيتك فى ذلك، وأقسمت عليك بالله لتقبلنها، فتقبلها منه.

الصحيفة السجادية

ترك لنا الإمام على بن الحسين الملقب بـ(زين العابدين) و(السجاد) كنزًا هو مجموع أدعيته المسمى بالصحيفة السجادية، ونقتبس من هذا الكنز دعاء (مكارم الأخلاق).

اللهم صلّ على محمّد وآله، وبلّغْ بإيْماني أكْمل الإيْمان، واجْعلْ يقيني أفْضل اليقين، وانْته بنيّتي إلى أحْسن النيات، وبعملي إلى أحْسن الأعْمال.

اللهم وفّرْ بلطْفك نيّتي، وصحّحْ بما عنْدك يقيني، واسْتصْلحْ بقدْرتك ما فسد منّي.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، واكْفني ما يشْغلني الإهْتمام به، واسْتعْملْني بما تسْألني غدًا عنْه واسْتفْرغْ أيّامي فيما خلقْتني له، وأغْنني وأوْسعْ عليّ في رزْقك، ولا تفْتنّي بالنّظر، وأعزّني، ولا تبْتليني بالْكبْر، وعبّدْني لك ولا تفْسدْ عبادتي بالْعجْب، وأجْر للنّاس على يديّ الخيْر، ولا تمْحقْه بالمنّ، وهبْ لي معالي الأخْلاق، واعْصمْني من الْفخْر.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، ولا ترْفعْني فيْ النّاس درجةً إلاّ حططْتني عنْد نفْسي مثْلها، ولا تحْدثْ لي عزّاً ظاهرًا إلاّ أحْدثْت لي ذلّةً باطنةً عنْد نفْسي بقدرها.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، ومتّعْني بهدى صالح لا أسْتبْدل به، وطريقة حقّ لا أزيْغ عنْها، ونيّة رشْد لا أشكّ فيها، وعمّرْني ما كان عمْري بذْلة في طاعتك، فإذا كان عمْري مرْتعًا للشّيْطان فاقْبضْني إليْك قبْل أنْ يسْبق مقْتك إليّ، أوْ يسْتحْكم غضبك عليّ.

اللهمّ لا تدعْ خصْلةً تعاب منّي إلاّ أصْلحْتها، ولا عائبةً أؤنّب بها إلاّ حسّنْتها، ولا أكْرومةً فيّ ناقصة إلاّ أتْممْتها.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وأبْدلْني منْ بغْضة أهْل الشّنآن المحبّة ومنْ حسد أهْل الْبغْي المودّة، ومنْ ظنّة أهْل الصّلاح الثّقة، ومنْ عداوة الأدْنيْن الْولاية، ومنْ عقوق ذوي الأرْحام المبرّة، ومنْ خذْلان الأقْربين النّصْرة، ومنْ حبّ المْداربن تصْحيح المْقة، ومنْ ردّ الملابسين كرم الْعشْرة، ومنْ مرارة خوْف الظّالمين حلاوة الأمنة.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، واجْعلْ لي يدًا على منْ ظلمني ولسانًا على منْ خاصمني وظفرًا بمنْ عاندني، وهبْ لي مكْرًا على منْ كايدني وقدْرةً على من اضْطهدني وتكْذيبًا لمنْ قصبني وسلامةً ممّنْ توعّدني، ووفّقْني لطاعة منْ سدّدني ومتابعة منْ أرْشدني.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وسدّدْنى لأنْ أعارض منْ غشّنى بالنّصْح وأجْزى منْ هجرنى بالْبرّ وأثيب منْ حَرمنى بالْبذْل وأكافى منْ قطعنى بالصّلة وأخالف من اغْتابنى إلى حسْن الذّكْر، وأنْ أشْكر الحْسنة وأغْضى عن السيئة.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وحلّنى بحلْية الصّالحين، وألْبسْنى زينة المتّقين فىْ بسْط الْعدْل وكظْم الْغيْظ وإطْفاء النّائرة وضمّ أهْل الْفرْقة وإصْلاح ذات الْبيْن وإفْشاء الْعارفة، وستْر الْعائبة، ولين الْعريكة، وخفْض الجْناح، وحسْن السّيرة، وسكون الرّيح، وطيْب المخالقة، والسّبْق إلى الْفضيلة، وإيْثار التّفضّل، وترْك التّعْبير والإفْضال على غيْر المسْتحقّ، والقوْل بالحْقّ وإنْ عزّ واسْتقْلال الخيْر وإنْ كثر منْ قوْلى وفعْلى، واسْتكْثار الشّر وإنْ قلّ منْ قوْلى وفعْلى، وأكْملْ ذلك لى بدوام الطّاعة ولزوم الجْماعة ورفْض أهْل الْبدع ومسْتعْمل الرّأى المخْترع.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، واجْعلْ أوْسع رزْقك علىّ إذا كبرت، وأقْوى قوّتك فىّ إذا نصبْت، ولا تبْتلينّى بالكسل عنْ عبادتك ولا الْعمى عنْ سبيلك ولا بالتّعرّض لخلاف محبّتك، ولا مجامعة منْ تفرّق عنْك، ولا مفارقة من اجْتمع إليْك.

اللهمّ اجْعلْنى أصوْل بك عنْد الضّرورة وأسْألك عنْد الحْاجة، وأتضرّع إليْك عنْد المسْكنة، ولا تفْتنّى بالاسْتعانة بغيْرك إذا اضْطررْت، ولا بالخْضوع لسؤال غيْرك إذا افْتقرْت، ولا بالتّضرّع إلى منْ دونك إذا رهبْت فأسْتحقّ بذلك خذْلانك ومنْعك وإعْراضك يا أرْحم الرّاحمين.

اللهمّ اجْعلْ ما يلْقى الشّيْطان فى روْعى من التّمنّى والتّظنّى والحْسد ذكْرا لعظمتك، وتفكّرا فى قدْرتك، وتدْبيرا على عدوّك، وما أجْرى على لسانى منْ لفْظة فحْش أوْ هجْر أوْ شتْم عرْض أوْ شهادة باطل أو اغْتياب مؤْمن غائب أوْ سبّ حاضر، وما أشْبه ذلك نطْقًا بالحمد لك وإغْراقًا فى الثّناء عليْك، وذهابًا فى تمْجيدك وشكْرًا لنعْمتك واعْترافًا بإحْسانك وإحْصاء لمننك.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، ولا أظْلمنّ وأنْت مطيقٌ للدّفْع عنّى، ولا أظْلمنّ وأنْت القادر على الْقبْض منّى، ولا أضلّنّ وقدْ أمْكنتْك هدايتى، ولا أفْتقرنّ ومنْ عنْدك وسْعى، ولا أطْغينّ ومنْ عنْدك وجْدى.

اللهمّ إلى مغفرتك وفدْت، وإلى عفوك قصدْت، وإلى تجاوزك اشْتقْت، وبفضْلك وثقْت، وليس عندى ما يوجب لى مغفرتك، ولا فى عملى ما أسْتحقّ به عفوك، وما لى بعد أنْ حكمْت على نفْسى إلاّ فضْلك، فصلّ على محمد وآله وتفضّلْ علىّ اللهمّ وأنطقْنى بالهدى، وألهمْنى التّقوى ووفّقْنى للّتى هى أزْكى واسْتعْملْنى بما هو أرْضى.

اللهمّ اسلكْ بى الطّريقة المثلى، واجعلْنى على ملّتك أموت وأحْيا.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، ومتّعْنى بالاقتصاد، واجعلْنى من أهْل السّداد ومن أدلة الرّشاد، ومن صالحى الْعباد، وارْزقْنى فوْز الْمعاد وسلامة المرصاد.

اللهمّ خذْ لنفْسك من نفْسى ما يخلّصها، وأبق لنفْسى من نفْسى ما يصْلحها، فإنّ نفْسى هالكةٌ أو تعْصمها.

اللهمّ أنْت عدّتى إنْ حزنْت، وأنْت منْتجعى إنْ حرمْت، وبك استغاثتى إنْ كربْت، وعنْدك ممّا فات خلفٌ، ولما فسد صلاحٌ، وفيما أنْكرْت تغييرٌ. فامننْ علىّ قبْل البلاء بالعافية، وقبْل الطّلب بالجْدة، وقبْل الضّلال بالرّشاد، واكْفنى مؤونة معرّة العباد، وهبْ لى أمْن يوم الْمعاد، وامْنحنى حسْن الإرشاد.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وادرأ عنّى بلطْفك، واغْذنى بنعْمتك، وأصْلحْنى بكرمك، وداونى بصنْعك، وأظلّنى فى ذراك، وجلّلْنى رضاك، ووفّقنى إذا اشتكلتْ علىّ الأمور لأهْداها، وإذا تشابهت الأعْمال لأزْكاها، وإذا تناقضت الْملل لأرْضاها.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وتوّجْنى بالْكفاية، وسمْنى حسْن الْولاية، وهبْ لى صدْق الْهداية، ولا تفْتنّى بالسّعة، وامْنحْنى حسْن الدّعة، ولا تجْعلْ عيْشى كدّا كدّا، ولا تردّ دعائى علىّ ردّا فإنّى لا أجعل لك ضدّا ولا أدْعو معك ندّا.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وامنعْنى من السّرف وحصّنْ رزْقى من التّلف، ووفّرْ ملكتى بالبركة فيه، وأصبْ بى سبيل الهداية للبرّ فيما أنْفق منه.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله واكْفنى مؤونة الاكتساب، وارزقْنى من غير احتسابٍ، فلا أشْتغل عن عبادتك بالطّلب ولا أحْتمل إصْر تبعات المكسب.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وصنْ وجْهى باليسار، ولا تبتذلْ جاهى بالإقتار فأسترْزق أهْل رزْقك، وأستعْطى شرار خلْقك، فأفْتتن بحمْد من أعْطانى، وأبْتلى بذمّ من منعنى وأنت من دونهم ولىّ الإعطاء والمنع.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله وارزقْنى صحّةً فى عبادةٍ، وفراغًا فى زهادةٍ، وعلْمًا فى استعمال، وورعًا فى إجمال.

اللهم اختمْ بعفْوك أجلى، وحقّقْ فى رجاء رحمتك أملى، وسهّلْ إلى بلوغ رضاك سبلى، وحسّن فى جميع أحوالى عملى.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، ونبّهْنى لذكْرك فى أوقات الغفلة، واستعملْنى بطاعتك فى أيّام المهلة، وانهجْ لى إلى محبّتك سبلاً سهْلةً أكملْ لى بها خير الدنيا والآخرة.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله كأفْضل ما صلّيْت على أحد من خلْقك قبْله، وأنت مصلٍّ على أحد بعْده، وآتنا فى الدنيا حسنةً وفى الآخرة حسنةً، وقنى برحمتك عذاب النّار.

الإمام السجاد ورسالة الحقوق

قال زين العابدين السجاد:

اعلم أن الله عز وجل أوجب عليك حقوقًا محيطة بك فى كل حركة تحركتها أو سكنة سكنتها، أو حال حلتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها أو آلة تصرفت فيها. فأكبر حقوق الله تعالى عليك ما أوجب عليك لنفسه من حقه الذى هو أصل الحقوق، ثم ما أوجب الله عز وجل عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك، على اختلاف جوارحك، فجعل عز وجل للسانك عليك حقّا، ولسمعك عليك حقّا، ولبصرك عليك حقّا، وليدك عليك حقا، ولرجلك عليك حقّا، ولبطنك عليك حقّا، ولفرجك عليك حقّا، فهذه الجوارح السبع التى بها تكون الأفعال. ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقًا: فجعل لصلاتك عليك حقّا، ولصومك عليك حقّا، ولصدقتك عليك حقّا، ولهديك

عليك حقّا، ولأفعالك عليك حقوقًا. ثم يخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذوى الحقوق عليك، فأوجبها عليك حقوق أئمتك، ثم حقوق رعيتك، ثم حقوق رحمك. فهذه حقوق يتشعب منها حقوق[1].

* * *

(١) وقد قامت دار الأضواء للنشر بيروت - لبنان - بطباعة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين كاملة فى جزأين.

(٥) محمد بن على بن الحسين
(محمد الباقر)
(٥٧ ـ ١١٤هـ)

وكان الإمام بعد على بن الحسين هو محمد بن على، ولقبه الباقر، أى الذى خاض غمار بحار العلم وسبر أغواره وبقر أعماقه.

ولد عليه السلام بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة، وقبض فيها سنة أربع عشرة ومائة وسنه يومئذ سبعٌ وخمسون سنة، وقبره بالبقيع من مدينة الرّسول عليه وآله السّلام.

يصفه ابن كثير[١] فيقول: وسمى الباقر لبقره العلوم واستنباطه الحكم، كان ذاكراً خاشعًا صابراً وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب عالى الحسب، وكان عارفًا بالخطرات، كثير البكاء والعبرات معرضًا عن الجدال والخصومات.

وقال أبو زهرة[٢]:

لقب بالباقر لأنه بقر العلم بقرًا، أى أظهر مخبآته وأسراره، وورث علم النبوة عن آبائه وأجداده، وكان مقصد العلماء من كل البلاد الإسلامية، سواء منهم الشيعة والسنة، وكان ممن يقصده سفيان الثورى، وسفيان بن عيينة، محدث مكة، وأبو حنيفة.

وعن جابر الجعفى: قال لى محمد بن على: يا جابر إنى لمحزون، وإنى لمشتغل القلب. قلت: وما حزنك وشغل قلبك؟ قال: يا جابر، إنه من دخل قلبه صافى دين الله عز وجل شغله عما سواه، يا جابر ما الدنيا؟ ما عسى أن تكون؟ هل هى إلا مركبًا ركبته؟ أو ثوبًا لبسته؟ أو امرأة أصبتها؟ يا جابر، إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لبقاء فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصمهم عن ذكر الله ما سمعوا بآذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار، إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة، وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكروك وإن ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله، قوامين بأمر الله، قطعوا المحبة ربهم عز وجل، ونظروا إلى الله وإلى محبته بقلوبهم، وتوحشوا من الدنيا لطاعة محبوبهم، وعلموا أن ذلك من أمر

(١) البداية والنهاية.
(٢) الإمام الصادق.

خالقهم، فأنزلوا الدنيا حيث أنزلها مليكهم، كمنزل نزلوه ثم ارتحلوا عنه وتركوه، وكماء أصبته فى منامك فلما استيقظت إذا ليس فى يدك منه شىء، فاحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته.

وعن خلف بن حوشب: قال أبو جعفر (الإمام الباقر): الإيمان ثابت فى القلب، واليقين خطرات، فيمر اليقين بالقلب فيصير كأنه زبر الحديد ويخرج منه فيصير كأنه خرقة بالية، وما دخل قلب عبد شىء من الكبر إلا نقص من عقله بقدره أو أكثر منه.

وقال بشر بن الحارث الحافى[1] سمعت سفيان الثورى يقول: سمعت منصوراً يقول: سمعت محمد بن على يقول: الغنى والعز يجولان فى قلب المؤمن، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل استوطناه.

وقال الباقر: إياكم والخصومة، فإنها تفسد القلب، وتورث النفاق.

ويروى الشيخ المفيد[2] عن ميمون القداح عن جعفر (الصادق) بن محمد عن أبيه (الباقر) قال دخلت على جابر بن عبد الله رحمة الله عليه بعد أن كف بصره فسلمت عليه فرد السلام ثم قال لى من أنت؟ فقلت: محمد بن على بن الحسين؛ فقال: إن رسول الله ﷺ وآله يقرئك السلام، فقلت: وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، وكيف ذلك يا جابر؟ فقال: كنت معه ذات يوم فقال لى «**يا جابر لعلك أن تبقى حتى تلقى رجلاً من ولدى يقال له محمد بن على بن الحسين يهب الله له النور والحكمة، فأقرئه منى السلام**».

وقد روى أبو جعفر عليه السلام أخبار الأنبياء وكتب عنه الناس المغازى والسنن، واعتمدوا عليه فى مناسك الحج التى رواها عن رسول الله ﷺ وآله وكتبوا عنه تفسير القرآن، وروت عنه الخاصة والعامة الأخبار، وناظر من كان يرد عليه من أهل الآراء وحفظ عنه الناس كثيراً من علم الكلام.

بين الخوارج التكفيريين والإمام الباقر

جاء نافع بن الأزرق إلى محمّد بن علىّ فجلس بين يديه فسأله عن مسائل فى الحلال والحرام، فقال له أبو جعفر عليه السلام فى عرْض كلامه: «قلْ لهذه المارقة بم استحللتم فراق

(١) من أعلام الصوفية.
(٢) الإرشاد.

أمير المؤمنين عليه السلام وقد سفكتم دماءكم بين يديه فى طاعته والقربة إلى الله بنصرته؟! فسيقولون لك إنه حكّم فى دين الله، فقلْ لهم قد حكّم الله تعالى فى شريعة نبيّه عليه السلام رجلين من خلقه فقال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]. وحكّم رسول الله صلّى الله عليه وآله سعد بن معاذ فى بنى قريْظة، فحكم فيهم بما أمضاه الله، أوما علمتم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام إنما أمر الحكمين أن يحْكما بالقرآن ولا يتعدّياه؟ واشترط ردّ ما خالف القرآن من أحكام الرّجال، وقال حين قالوا له: حكّمت على نفسك من حكم عليك، فقال: ما حكّمت مخلوقًا وإنّما حكّمت كتاب الله، فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن واشترط ردّ ما خالفه؟!». فقال نافع بن الأزرق: هذا كلامٌ ما مرّ بسمعى قطّ ولا خطر منّى ببالٍ، وهو الحقّ إن شاء الله.

جوده وكرمه عليه السلام

وكان عليه السلام ظاهر الجود فى الخاصّة والعامّة، معروفًا بالفضل والإحسان مع كثرة عياله وتوسّط حاله.

روى الشيخ المفيد عن الحسن بن كثير قال شكوت إلى أبى جعفر محمّد بن علىٍّ عليه السلام الحاجة وجفاء الإخوان، فقال: بئسَ الأخ أخٌ يرعاك غنيًا ويقطعك فقيرًا. ثمّ أمر غلامه فأخرج كيسًا فيه سبعمائة درهمٍ وقال: أنفقْ هذه، فإذا نفدتْ فأعلمْنى.

وروى سليمان بن قرْم قال: كان أبو جعفر محمّد بن علىٍّ عليه السلام يجيْزنا بالخمسمائة درهم إلى الستّمائة إلى الألف درهم، وكان لا يملّ من صلة إخوانه وقاصديه ومؤمّليه وراجيه.

وروى عنه عن آبائه عليهم السّلام: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يقول **«أشدّ الأعمال ثلاثةٌ: مواساة الإخوان فى المال، وإنصاف النّاس من نفسك، وذكر الله على كلّ حالٍ»**.

حديثى حديث أبى!!

وسئل عليه السلام عن الحديث يرسله ولا يسنده، فقال إذا حدثت الحديث فلم أسندْه،

فسندى فيه أبى عن جدّى عن أبيه عن جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله عن جبرائيل عليه السلام عن الله عزّ وجلّ.

وكان يقول: ما ينْقم النّاس منّا؟! نحن أهل بيت الرّحمة وشجرة النّبوة، ومعدن الحكمة، وموضع الملائكة ومهبط الوحى.

وكانت مدّة إمامته وقيامه مقام أبيه قبل وفاته تسع عشرة سنةً.

* * *

الإمام الباقر والأوضاع السياسية

يحلو أحيانًا لبعض المؤرخين أن يقدموا للناس صورة مغايرة للواقع عن حياة أئمة أهل البيت، ومن بينهم الإمامان الجليلان السجاد والباقر عليهما السلام، ثم جاء من بعدهما الإمام الصادق جعفر بن محمد الذى عاصر نهاية الحقبة الأموية وبداية الحقبة العباسية.

مدرسة المؤرخين (الحربيين) لا ترى من حركة التاريخ إلا الحروب والمعارك وإحصاء عدد الجماجم التى حملت على الرماح من بلد إلى بلد، ويتجاهلون الأهمية البالغة للعلماء والمفكرين، ومن باب أولى لأئمة أهل البيت عليهم السلام، فى إرشاد الأمة وتوجيهها نحو جادة الطريق وفى صناعة حاضرها ومستقبلها.

ولو تأملنا فى رسالة الحقوق التى كتبها الإمام السجاد وأرسلها إلى شيعته وأنصاره نرى أنها تجمع علوم السياسة والأخلاق والاجتماع فى مكان واحد، إذ لا فارق بين هذه المجالات، وهذا هو الشمول الحقيقى للإسلام.

كما أن نمو الكيان الشيعى وتطوره ورسوخ أقدامه داخل المجتمع المسلم، سمح له أن يؤدى دوره فى مقارعة الظلم الأموى ممثلاً فى تلك الثورات المناهضة للحكم الأموى، التى عجلت بسقوط هذا النظام، مثل ثورة التوابين، وثورة المختار، وثورة الشهيد العظيم زيد بن على بن الحسين رضوان الله عليه.

وإذا كانت السياسة عند البعض لا تعدو كونها حمل السيف والمطالبة بالسلطة فهى فى مدرسة أهل البيت مفهوم شامل تبدأ من العبادة وتمر بالأخلاق والاجتماع والعلم

والثقافة، وفى النهاية تأتى السلطة لتتوج التطور الاجتماعى نحو الأفضل، لا لتصادر عليه، كما أن السلطة لا يمكنها أن تصنع مجتمعًا صالحًا من العدم.

* * *

أهل البيت فى العصر العباسى

تجاوز العباسيون فى عدائهم لأهل البيت عليهم السلام كل ما فعله الأمويون، بل زادوا عليهم، وسننقل هنا بعض النماذج ليطلع القارئ الكريم على حجم المظالم التى تعرض لها أهل البيت وشيعتهم على مر العصور.

يحكى المؤرخون أن العباسيين تحالفوا فى مبدأ أمرهم مع الجناح الحسنى لأهل البيت الذى كان يرغب فى الثورة على بنى أمية والإطاحة بهم، وعقدت عدة اجتماعات من بينها اجتماع الأبواء الذى بايع فيه أبو جعفر المنصور ـ الذى صار ثانى الخلفاء العباسيين ـ محمد بن عبد الله بن الحسن الذى كان يظن أنه مهدى أهل البيت، وقد بايع أبو جعفر لمحمد بن عبد الله مرتين، والعهدة على ابن جرير الطبرى[1] وأبو الفرج الأصفهانى[2]، والذى روى عن عبد الله بن سعد الجهنى، قال: بايع أبو جعفر محمدا مرتين، أنا حاضر أحدهما بمكة فى المسجد الحرام، فلما خرج أمسك له بالركاب ثم قال أما إنه لو أفضى إليكم الأمر نسيت لى هذا الموقف؟.

ثم قال ابن جرير الطبرى[3]:

لما استخلف أبو جعفر [المنصور، الخليفة العباسى الثانى]، لم يكن له همة إلا طلب محمد والمسألة عنه وما يريد، فدعا بنى هاشم رجلاً رجلاً كلهم يخليه فيسأله عنه، فيقولون يا أمير المؤمنين قد علم أنك عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم، فهو يخافك على نفسه وهو لا يريد لك خلافًا ولا يحب لك معصية.

ثم أرسل أبو جعفر المخبرين للتفتيش عنه (اشترى أبو جعفر رقيقًا من رقيق الأعراب ثم أعطى الرجل منهم البعير والبعيرين وفرقهم فى طلب محمد فى ظهر المدينة فكان الرجل منهم يرد الماء كالمار وكالضال فيفرون عنه).

---

(١) تاريخ الرسل والملوك «تاريخ الطبرى» جـ٧ ص ٥١٧.
(٢) مقاتل الطالبيين ص ٢٠٩.
(٣) تاريخ االرسل والملوك «تاريخ الطبرى» جـ٧ ص ٥١٩.

وبعد أن أعيته الحيل والوسائل فى الإمساك بهم، أمر بالقبض على بقية أبناء الحسن ابن على عليه السلام، وهم الحسن وإبراهيم ابنا الحسن بن الحسن، والحسن بن جعفر بن الحسن ابن الحسن، وسليمان وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن، ومحمد وإسماعيل وإسحاق أبناء إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وعباس بن الحسن بن على بن أبى طالب، وعلى بن الحسن بن الحسن العابد، وأمر الحدادين بوضعهم فى الأغلال، فهؤلاء أحد عشر من أبناء الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليهم جميعًا سلام الله ورحمته ورضوانه. وتوفى على بن الحسن وهو ساجد فى حبس أبى جعفر، فقال عبد الله: أيقظوا ابن أخى فإنى أراه قد نام فى سجوده، قال فحركوه فإذا هو قد فارق الدنيا.

حبسهم أبو جعفر ستين ليلة ما يدرون ليلاً ولا نهارًا، ولا يعرفون وقت الصلاة إلا بتسبيح على بن الحسن الذى قال، إن لنا فى الجنة درجة لم نكن لنبلغها إلا بهذه البلية أو بما هو أعظم منها، وإن لأبى جعفر فى النار موضعًا لم يكن ليبلغه حتى يبلغ منا مثل هذه البلية أو أعظم منها.

وأتى بهم أبو جعفر فنظر إلى محمد بن إبراهيم بن الحسن فقال أنت ديباج الأصفر[1]؟ قال نعم، قال: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحدًا من أهل بيتك، ثم أمر بأسطوانة مبنية ففرقت ثم أدخل فيها فبنيت عليه وهو حى.

وكان محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أخاهم لأمهم، وكان به هوى لهم وكان عبد الله بن الحسن يحبه محبة شديدة وأمه فاطمة بنت الحسين؛ حيث روى أبو الفرج وابن جرير الطبرى نقلاً عن محمد بن هاشم بن البريد مولى معاوية، قال: كنت بالربذة فأتى ببنى الحسن مغلولين معهم العثمانى كأنه خلق من فضة، فأقعدوا فلم يلبثوا أن خرج رجل من عند أبى جعفر المنصور فقال أين محمد بن عبد الله العثمانى؟ فقام فدخل، فلم نلبث أن سمعنا وقع السياط، قال فأخرج كأنه زنجى قد غيرت السياط لونه وأسالت دمه وأصاب سوط منها إحدى عينيه فسالت، وأقعد إلى جنب أخيه عبد الله بن الحسن فعطش فاستسقى، فقال عبد الله بن الحسن من يسقى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماء؟ فتحاماه الناس وجاءه خراسانى بماء فسلمه إليه فشرب.

قال ابن جرير[2]: فضربه أبو جعفر مائة وخمسين سوطًا، فبلغت منه كل مبلغ وأبو جعفر يقذف عرضه وعرض ابنته الطاهرة سليلة بيت العصمة والنبوة، فأصاب سوط

(١) من شدة حسنه.
(٢) تاريخ الرسل والملوك «تاريخ الطبرى» جـ ٧ ص ٥٤٢.

منها وجهه، فقال له ويحك اكفف عن وجهي فإن له حرمة من رسول الله ﷺ، قال فأغرى أبو جعفر، فقال للجلاد الرأس الرأس، فضربه على رأسه نحواً من ثلاثين سوطًا، ثم دعا بساجور من خشب شبيه به في طوله - وكان طويلاً - فشد في عنقه وشدت به يده ثم أخرج به مقيدًا، فلما طلع به من حجرة أبي جعفر وثب إليه مولى له فقال: بأبي أنت وأمي ألا ألوثك بردائي؟ قال بلى جزيت خيّرا فوالله لشفوف إزاري أشد علي من الضرب الذي نالني، ألقى عليه المولي الثوب ومضى به إلى أصحابه المحبوسين.

كنز المنصور العباسي

هلك المنصور الدوانيقي[1] الذي تحكي الحكايات شحه وحبه لجمع المال عام مائة وثمان وخمسين وعمره خمس وستون سنة، أي بعد الإمام الصادق عليه السلام بعشرة أعوام، وقال لابنه المهدي قبل موته (يا بني إني قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلي، وجمعت لك من الموالي ما لم يجمعه خليفة قبلي)، وترك له إلى جانب هذه الأموال كنزًا من نوع أغرب من الخيال، كنزًا من الأجساد الطاهرة لشهداء الطالبيين، وكما يروي ابن جرير الطبري[2] أيضًا:

(لما عزم المنصور على الحج، دعا ريطة بنت أبي العباس زوجة المهدي، وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر، فأوصاها بما أراد وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزائن وأحلفها وأكد الأيمان ألا تفتح بعض تلك الخزائن ولا تطلع عليها أحدًا إلا المهدي، ولا هي، إلا أن يصح عندها موته، فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث حتى يفتحا الخزانة، فلما قدم

(١) جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي: .. كان فحل بني العباس هيبة وشجاعة وحزمًا ورأيًا وجبروتًا، جماعًا للمال، تاركًا للهو واللعب، كامل العقل، جيد المشاركة في العلم والأدب، فقيه النفس، قتل خلقًا كثيرًا حتى استقام ملكه، وهو الذي ضرب أبا حنيفة على القضاء، ثم سجنه فمات بعد أيام، وقيل إنه قتله بالسم لكونه أفتى بالخروج عليه، وكان فصيحًا بليغًا مفوهًا، خليقًا للإمارة، وكان غاية في الحرص والبخل. فلقب «أبا الدوانيق» لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات - طبعة دار الجيل، ١٩٩٨ ص ٣١٥.

(٢) تاريخ الطبري جـ٨ ص ١٠٦.

المهدى من الرى إلى مدينة السلام، دفعت إليه المفاتيح وأخبرته بعهد المنصور، فلما مات وولى المهدى الخلافة، فتح الباب ومعه ريطة فإذا أزج[1] كبير فيه جماعة من قتلى الطالبيين، وفى آذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدى ارتاع لما رأى، وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها وعمل عليهم دكان)[2].

المتوكل العباسى: ٢٣٢-٢٤٧ هجرية
وتدميره لضريح الإمام الحسين عليه السلام

إنه جعفر بن هارون الرشيد، وكان كما يقول أبو الفرج الأصفهانى[3]:

«شديد الوطأة على آل أبى طالب، غليظًا على جماعتهم، مهتمًا بأمورهم، شديد الغيظ والحقد عليهم وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق له أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان[4] يسىء الرأى فيهم، فحسن له القبيح فى معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بنى العباس قبله، وكان من ذلك أن كرب[5] قبر الحسين، وعفى آثاره ووضع على سائر الطرق مسالح[6] له لا يجدون أحدًا زاره إلا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة.

***

(١) ضرب من الأبنية.
(٢) تاريخ الطبرى جـ ٨ ص ١٠٤.
(٣) مقاتل الطالبيين، وانظر أيضا: تاريخ الطبرى جـ ٩ ص ١٨٥.
(٤) وزيره.
(٥) قام بهدمه وحرثه.
(٦) نقاط حراسة مسلحة.

(٦) جعفر بن محمد (الصادق)

(٨٣ـ١٤٨هـ)

وكان مولده عليه السلام بالمدينة سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، وتوفي في شوّال من سنة ثمان وأربعين ومائة وله خمسٌ وستّون سنةً، ودفن بالبقيع مع أبيه وجدّه وعمّه الحسن عليهم السّلام، وأمه أمّ فرْوة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر وجد أمه عبد الرحمن ابن أبي بكر، فعلى هذا ولده أبو بكر رضي الله عنه مرتين، وكانت إمامته عليه السلام أربعًا وثلاثين سنةً، ووصّى إليه أبوه أبو جعفر عليه السلام وصيّة ظاهرةً، ونصّ عليه بالإمامة نصًّا جليًّا.

روى محمّد بن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: «لمّا حضرَتْ أبي الوفاة قال: يا جعفر، أوصيك بأصحابي خيرًا؛ قلت: جعلْت فداك، والله لأدعنهم والرّجل منهم يكون في المصر فلا يسأل أحدًا».

الشيخ أبو زهرة والإمام الصادق عليه السلام

يقول الشيخ أبو زهرة[1]:

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد عام ٨٠ هـ ومات سنة ١٤٨ هـ وكان مولده ووفاته بالمدينة المنورة، حيث تلقى علوم الحديث والقرآن والناسخ والمنسوخ، ولم تقف علومه عند دراسة الفقه والحديث والقرآن، فقد شغل عقله أيضًا بعلم الكون وما اشتمل عليه إجابة لقوله تعالى ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١]. وكان تلميذه جابر بن حيان الطرطوسي قد ألف كتابًا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق، وهي خمسمائة رسالة، ومهما كان الخلاف حول صحة نسبتها، فإننا نستطيع أن نقرر مطمئنين أن الإمام جعفر كان له علم بالكونيات وعُنِيَ بدراستها.

(١) الإمام الصادق.

ثم يقول الشيخ أبو زهرة[1]:

ما أجمع علماء الإسلام على اختلاف طوائفهم كما أجمعوا على فضل الإمام الصادق وعلمه، فأئمة السنة الذين عاصروه تلقوا عنه وأخذوا، وأخذ عنه مالك وبقية طبقته كسفيان بن عيينة وسفيان الثورى وغيرهم كثير، كما أخذ عنه أبو حنيفة واعتبره أعلم الناس وأعلمهم باختلاف الناس، وقد تلقى عنه الحديث رواية طائفة كبيرة من التابعين منهم يحيى بن سعيد الأنصارى وأيوب السختيانى وغيرهما، ولم يكن علمه مقصوراً على الحديث وفقهه، بل كان يدرس علم الكلام والأخلاق. والمعتزلة ـ ومن نهج منهاجهم ـ يعتبرونه من أئمتهم فى فهم العقائد على ضوء العقل. كما أشرنا إلى دراسته لعلم الكون.

ويتحدث الشيخ أبو زهرة عن الإلهام والكسب فى علم الإمام الصادق، فيقرر أن الإشراق النفسى هو سبيل للحكمة وطريق للمعرفة الصادقة، وأن الإلهام المجرد من غير دراسة وتعمق هو من قبيل الخوارق وليس من قبيل السنن الكونية الدارجة، ثم ينقل آراء الفرقاء حول علم الإمام الصادق الذى يرى الإمامية أنه علم إلهامى وليس بكسبى بينما يرى أبو زهرة أنه علم كسبى فيه إشراق.

الإمام الصادق وتلاميذه الأئمة

يقول المستشار عبد الحليم الجندى[2]، بعد أن عدد أسماء تلاميذ الإمام من العلماء: سفيان الثورى وعمرو بن عبيد مؤسس مدرسة الاعتزال وأبو حنيفة وابن أبى ليلى ومالك بن أنس إمام المدينة ويحيى بن سعيد وابن عيينة، ولندع لهؤلاء الأئمة وصف مكانهم من الإمام:

* يقول مالك بن أنس: «كنت أرى جعفر بن محمد، وكان كثير الدعابة والتبسم، إذا ذكر عنده النبى اخضر واصفر، ولقد اختلفت إليه زمانًا فما كنت أراه إلا على طهارة ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد والزهاد الذين يخشون الله . . . ولقد حججت معه سنة، فكلما استوت به راحلته عند الإحرام وهم بالتلبية، انقطع صوته وكاد أن يخر عن راحلته،

(١) الإمام الصادق.
(٢) الإمام الصادق.

فقلت يا بن رسول الله أولا بد أن تقول؟! قال كيف أجرؤ أن أقول لبيك وأخشى أن يقول الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك . . .

* ويدخل الإمام المسجد فيأتي إليه تلميذ من تلاميذه، ابن أبى ليلى قاضى الكوفة فيقول له الإمام: أنت ابن أبى ليلى القاضى؟ ويجيب نعم، فينبهه الإمام إلى جلال خطر القضاء بقوله لا تأخذ مال هذا وتعطيه هذا، وتفرق بين المرء وزوجه، لا تخاف فى ذلك أحدًا . . فما تقول إذا جيء بأرض من فضة وسماء من فضة ثم أخذ رسول الله بيدك فأوقفك بين يدى ربك فقال يا ربى هذا قضى بغير ما قضيت!!.

* لما سئل ابن أبى ليلى أكنت تاركًا قولاً أو قضاء لرأى أحد؟ أجاب: لا إلا لرجل واحد هو جعفر بن محمد الصادق . . وابن أبى ليلى قاضى بنى أمية وبنى العباس وهم أعداء الإمام.

* ولما استفتى أبو حنيفة فى رجل أوصى «للإمام» بإطلاق الوصف، وقال هى لجعفر بن محمد، فهذا إعلان لتفرده بالإمامة فى عصره.

* ولئن كان مجدًا لمالك أن يكون أكبر أشياخ الشافعى أو مجدًا للشافعى أن يكون أكبر أساتذة ابن حنبل، فإن التلمذة للإمام الصادق قد سربلت بالمجد فقه المذاهب الأربعة لأهل السنة، أما الإمام الصادق فمجده لا يقبل الزيادة ولا النقصان، والإمام مبلغ للناس كافة علم جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإمامة مرتبة، وتلمذة أئمة السنة له تشوف منهم لمقاربة صاحب المرتبة.

* انقطع أبو حنيفة إلى مجالس الإمام طوال عامين قضاهما بالمدينة، وفيهما يقول «لولا العامان لهلك النعمان» وكان لا يخاطب صاحب المجلس إلا بقوله «جعلت فداك يا بن رسول الله».

ويقول المستشار الجندى[1] أيضًا:

ومناظرات الإمام ليست قاصرة على الفقهاء والمحدثين، بل هى أيضًا مع الزنادقة والملحدين، مثل الديصانى وابن أبى العوجاء الذى رآه الإمام بالحرم

(١) الإمام الصادق.

فقال له : ما جاء بك؟؟ فقال عادة الجسد وسنة البلد ولنبصر ما فيه الناس من الجنون والحمق ورمى الحجارة، فقال له الإمام : أنت بعد على عتوك وضلالك يا عبد الكريم؟؟ فذهب يتكلم، فقال الإمام لا جدال فى الحج ونفض رداءه من يده وقال : «إن يكن الأمر كما تقول وليس كما نقول، نجونا ونجوت، وإن يكن الأمر كما نقول وليس كما تقول نجونا وهلكت»[1] . وأى صبر فى حرية الفكر كمثل هذا الصبر من الإمام الصادق وحيث تؤدى المناسك.

كما يقول المستشار الجندى[2] :

ولم يصطدم مذهبه الفقهى بمذهب فقهى للسلطان، فبنو أمية وبنو العباس حتى عهده لم يكن لهم مذهب فقهى، فلم تظهر المذاهب رسميًا إلا فى أخريات القرن الثانى للهجرة، عندما صير أبو يوسف مذهب أبى حنيفة مذهب السلطان، واستعصمت المدينة بفقهها، ثم ظهر الشافعى فى أواخر القرن الثانى، كما أن الاعتزال لم يظهر إلا فى عصر المأمون فى فاتحة القرن الثالث، وبهذا أتيح للإمام فى مجلسه العلمى واقتداره الذى يسلم به الجميع أن يرسى فى أمنة واطمئنان قواعد منهج علمى ما يزال يعبر القرون باعتباره فتحًا من الفتوح التى فتحها الله على البشر، وفحوى المنهج أن العلم مشاهدة ونزاهة فكرية فى استخلاص النتائج، لا يقبل الله سواها من عالم أو متعلم.

ثم يورد المستشار الجندى بعض خصائص المنهج العلمى للإمام الصادق[3] :

ومن أدواته التعمق والتخصص، فالعلم لا يعطيك بعضه إلا أن تعطيه كلك، فأبان بن تغلب وزرارة بن أعين متخصصان فى الفقه، يفتيان الناس فى مسجد الرسول، وحمران بن أعين حجة فى علوم القرآن، ومؤمن الطاق للكلام، أى علم التوحيد، وهشام بن الحكم للكلام فى العقائد، والإمامة وأبان بن عثمان للكلام فى الاستطاعة وما إليها.

---

(١) وهذا هو المنطق نفسه الذى اتبعه ديكارت فى جدله حول الإيمان بالله فى بداية عصر التنوير.
(٢) الإمام الصادق ص ٢٥٦.
(٣) المرجع نفسه ص ٢٤٧.

لم يكن منهج الإمام الصادق عليه السلام قاصراً بحال على علوم الفقه والشريعة، بل كان منهجًا علميًا جامعًا، قدم للأمة الإسلامية وللعالم أجمع عدداً لا يستهان به من النوابغ، ومن بينهم جابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء، حيث يقول المستشار الجندى[1]:

وربما كان الكلام المنقول عن جابر بن حيان أوضح كلام فى الدلالة على المنهج التجريبى الذى تعلمه فى مجلس الإمام أو من كتب الإمام .. يخاطب جابر الإمام فى مقدمة كتابه الأحجار بقوله «وحق سيدى لولا أن هذه الكتب باسم سيدى صلوات الله عليه لما وصلت إلى حرف من ذلك إلى الأبد . . » ويقول جابر فى كتابه الخواص «اتعب أولاً تعبًا واحداً، واعلم ثم اعمل، فإنك لا تصل أولاً ثم تصل إلى ما تريد»، ويقول فى كتابه السبعين «من كان دربًا مجربًا كان عالمًا حقًا، ومن لم يكن دربًا لم يكن عالمًا، وحسبك بالدربة فى جميع الصنائع أن الصانع الدرب يحذق وغير الدرب يعطل . . . » ويحصل جابر طريقته فى عبارته المأثورة «عملته بيدى وبعقلى وبحثته حتى صح وامتحنته فما كذب»، وفى هذا المقام يقول أستاذ الفلسفة الإسلامية المعاصر الدكتور زكى نجيب محمود «فلو شئت تلخيصًا للمنهج الديكارتى كله، لم تجد خيراً من هذا النص الذى أسلفناه عن جابر».

* وعندما توضع أقوال جابر فى القرن الثانى من الهجرة، إلى جوار أقوال الحسن بن الهيثم (٣٥٤-٤٣٠ هـ) بعد أكثر من قرنين - وقد عمل فى خدمة الدولة الفاطمية، وهى من دول الشيعة - تتأكد لنا طريقة التجربة والاستخلاص التى سلكها الإمام الصادق وأتقن العمل بها ووصفها جابر والحسن بن الهيثم، ويشهد بها من أهل أوروبا درابير[2] فيقول:

«كان الأسلوب الذى توخاه المسلمون سبب تفوقهم فى العلم، فإنهم تحققوا أن الأسلوب النظرى لا يؤدى إلى التقدم، وأن الأمل فى معرفة الحقيقة معقود بمشاهدة الحوادث ذاتها، ومن هنا كان شعارهم فى أبحاثهم هو

(١) الإمام الصادق ص ٢٧٠.
(٢) النزاع بين العلم والدين.

(الأسلوب التجريبي)، وهذا الأسلوب هو الذى أرشدهم إلى اكتشاف علم الجبر وغيره من علوم الرياضة والحياة، وإننا نندهش حينما نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من ثمرات العلم فى هذا العصر».

ثم يذكر المستشار الجندى[1]:

أن جابرًا يقرر إذ يقسم بحق الإمام، أنه استرشد فى طريقته هذه به، وأن علمه هو سبب توفيقه، وأن ممارسة جابر لطريقته مع إقرار الإمام له قد ضبطتها مدارسة أبى حنيفة للإمام، إذ نبهت القياسيين على وجوب ضبط القياس بوضع حدود له واستبعاد ما ليس منه.

قبض أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام وهو ابن خمس وستين سنة فى عام ثمان وأربعين ومائة ١٤٨هـ، وعاش بعد أبى جعفر (محمد بن على الباقر) عليه السلام أربعًا وثلاثين سنة.

* * *

(١) الإمام الصادق ص ٢٧٣.

(٧) موسى بن جعفر (الكاظم)
(١٢٨ ـ ١٨٣هـ)

سابع أئمة أهل البيت، ذلك الإمام الممتحن المضطهد، المقتول شهيدًا غريبًا على يد طغاة بني العباس.

وكان مولده ﷺ بالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة، وقبض ﷺ ببغداد في حبْس السّنْديّ بن شاهك لستٍّ خلوْن من رجَب سنة ثلاث وثمانين ومائة وله يومئذ خمسٌ وخمسون سنةً. وكانت مدة إمامته بعد أبيه خمسًا وثلاثين سنةً.

وكان يكنى أبا إبراهيم وأبا الحسن وأبا عليٍّ، ويعرف بالعبد الصّالح وينْعت أيضًا بالكاظم.

مات أبو جعفر المنصور عام مائة وثمان وخمسين، أي بعد وفاة الإمام الصادق ﷺ بعشرة أعوام، أي أن الإمام الكاظم أمضى عشرة أعوام من إمامته في ذلك العهد حيث كان المنصور يرسل الجواسيس لتأتيه بأخبار الإمام الكاظم ﷺ عله يتمكن من قتله.

ثم جاء من بعد المنصور ابنه المهدي الذي مكث في الخلافة عشر سنين، قام باعتقال الإمام الكاظم أثناءها ثم أطلقه، ثم خلفه ابنه الهادي الذي مكث سنة وشهرين قبل أن يموت مسمومًا على يد أمه ـ وفقًا للروايات التاريخية ـ وجاء من بعده أخوه هارون الملقب بالرشيد عام ١٧٠هـ فأعاد اعتقال الإمام الكاظم سلام الله عليه، وكان ينقله من سجن إلى سجن، فسجنه أولاً في البصرة عند عيسى بن جعفر، ثم سجنه عند الفضل ابن الربيع، ثم عند الفضل بن يحيى، وأرسل الإمام إلى الرشيد من سجنه برسالة فيها: يا هارون، ما من يوم ضراء انقضى عني، إلا انقضى عنك من السراء مثله، حتى نجتمع أنا وأنت في دار يخسر فيها المبطلون.

وكان الذي تولى قتله ﷺ في سجون العباسيين السندي بن شاهك الذي وضع له سمًا في طعام قدمه إليه، ويقال إنه جعله في رطب أكل منه فمات في اليوم الثالث.

وللإمام الكاظم مع هارون الرشيد أخبار كثيرة، ذكرها الشيخ الصدوق[1]، منها أن الرشيد قال له: كيف جوزتم للناس أن ينسبوكم إلى رسول الله ﷺ ويقولوا لكم يا أبناء رسول الله وأنتم أبناء علي؟ فالمرء ينسب لأبيه وليس لأمه!

فأجابه الإمام: لو أن النبي نشر، وخطب إليك كريمتك، هل كنت تجيبه؟

قال الرشيد: سبحان الله، وكيف لا أجيبه؟

قال الإمام: ولكنه لا يخطب إليَّ ولا أجيبه، لأنه ولدني ولم يلدك.

ولما مات موسى عليه السلام أدخل السندي بن شاهك عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عدي وغيره، فنظروا إليه لا أثر به من جراح ولا خنق، وأشهدهم على أنه مات حتف أنفه، فشهدوا على ذلك، ثم أخرج ووُضع على الجسر ببغداد ونُودي هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا إليه، فجعل الناس يتفرسون في وجهه وهو ميت، ثم حمل فدفن في مقابر قريش في باب التبن، وكانت هذه المقبرة لبني هاشم والأشراف من الناس قديمًا.

* * *

(١) عيون أخبار الرضا.

(٨) الإمام على بن موسى (الرضا)
(١٤٨ ـ ٢٠٣هـ)

وكان الإمام بعْد أبى الحسن موسى بن جعفر ابنه أبا الحسن علىّ بن موسى الرضا عليهما السلام، وكان موْلده بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة، وقبض بطوس من أرْض خراسان [مشهد، إيران الآن] فى صفر من سنة ثلاث ومائتين وله يومئذ خمسٌ وخمسون سنة وكانتْ مدّة إمامته وقيامه بعْد أبيه فى خلافته عشرين سنةً.

كان أعلم أهل زمانه، ما سئل عن شيء إلا أجاب عنه.

قالوا له: يا بن رسول الله، الناس يروون عن جدك أنه قال: خلق الله آدم على صورته، فما رأيك؟

قال الإمام: مر رسول الله ﷺ برجلين يتسابان، يقول أحدهما للآخر قبح الله وجهك ووجهًا يشبهك، فقال النبى ﷺ للسابّ: **«لا تقل هذا، فإن الله خلق آدم على صورته»**.

وسأله سائل عن قول جعفر الصادق: لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين. فقال الإمام: من يزعم أن الله يخلق أفعالنا لم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر. ومن زعم أن الله فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه، فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك، أما الأمر بين الأمرين فهو وجود السبيل إلى إتيان ما أمره الله به، وترك ما نهى عنه، أى أن الله أقدره على فعل الشر وتركه، وفعل الخير وتركه، وأمر بهذا ونهاه عن ذاك.

الرضا عليه السلام وولاية عهد المأمون

قال ابن جرير الطبرى[1]:

وفى هذه السنة «٢٠١» للهجرة، جعل المأمون على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب ولى عهد المسلمين والخليفة

(١) تاريخ الرسل والملوك «تاريخ الطبرى» جـ ٨ ص ٥٦٨.

من بعده، وسماه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر جنده بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق.

ثم ذكر:

أن عيسى بن محمد بن أبى خالد بعد انصرافه من عسكره إلى بغداد، إذ ورد عليه كتاب من الحسن بن سهل «وزير المأمون» يعلمه أن أمير المؤمنين قد جعل على بن موسى بن جعفر بن محمد ولى عهده من بعده، وذلك أنه نظر فى بنى العباس وبنى على فلم يجد أحدًا هو أفضل ولا أورع ولا أعلم منه، وأنه سماها الرضا من آل محمد، وأمره بطرح لبس السود ولبس ثياب الخضرة وذلك يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، ويأمره أن يأمر من قبله من أصحابه والجند والقواد بالبيعة له، وأن يأخذهم بلبس الخضرة فى أقبيتهم وقلانسهم وأعلامهم، ويأخذ أهل بغداد جميعًا بذلك، فلما أتى عيسى الخبر، دعا أهل بغداد إلى ذلك على أن يعجل لهم رزق شهر والباقى إذا أدركت الغلة، فقال بعضهم نبايع ونلبس الخضرة، وقال بعضهم لا نبايع ولا نلبس الخضرة ولا نخرج هذا الأمر من ولد العباس وإنما هذا دسيس من الفضل بن سهل، فمكثوا بذلك أيامًا، وغضب ولد العباس من ذلك واجتمع بعضهم إلى بعض وتكلموا فيه وقالوا نولى بعضنا ونخلع المأمون، وكان المتكلم فى هذا والمختلف والمتقلد له إبراهيم ومنصور ابنا المهدى، فأظهر العباسيون ببغداد أنهم بايعوا إبراهيم بن المهدى بالخلافة ومن بعده ابن أخيه إسحاق بن موسى المهدى، ثم اختلفوا وتضاربوا حتى إنهم لم يصلوا الجمعة يومًا.

ثم ذكر الطبرى[1] فى أحداث عام ٢٠٣هـ خبر موت على بنى موسى الرضا:

وكان ذلك فى آخر صفر، فأمر به المأمون فدفن عند قبر الرشيد، وكتب المأمون فى شهر ربيع الأول بموت (الإمام) الرضا بما دخل عليه من الغم بمصيبته، وكتب إلى بنى العباس والموالى وأهل بغداد يعلمهم موت على بن موسى، وأنهم إنما نقموا بيعته له من بعده ويسألهم الدخول فى الطاعة، فكتبوا إليه بأغلظ ما يكتب به إلى أحد.

(١) تاريخ الرسل والملوك «تاريخ الطبرى» جـ٨ ص ٥٦٨.

المتابع للأحداث يرى أن ولادة خلافة المأمون كانت ولادة عسرة، جاءت عن طريق حرب ضروس دارت رحاها بينه وبين أخيه محمد الملقب بالأمين، تلك الحرب التى استمرت من عام ١٩٣ حتى عام ١٩٨ للهجرة، وما إن استلم المأمون الخلافة حتى التهبت ثورة محمد بن إبراهيم بن طباطبا بقيادة أبى السرايا، وهى ثورة موالية لأهل البيت، تلك الثورة التى طال أمدها على غير المعهود واتسع مداها وهددت الدولة العباسية بالانهيار(١).

وهكذا وجد المأمون العباسى نفسه أمام حالة انشقاق وتفسخ للدولة العباسية، وكان الصراع يشتعل بين الإخوة فى كل مرحلة من مراحل انتقال السلطة، سواء بين الرشيد وأخيه الهادى، أو بين الأمين والمأمون، بينما يعيش المسلمون البسطاء أتعس أيامهم. فهل كانت استعانة المأمون بالإمام الرضا مناورة سياسية أم بسبب تشيعه؟

مشهد

الآن تعد مدينة مشهد من أهم مدن إيران، والسبب فى ذلك احتضانها للجثمان الطاهر للإمام الرضا عليه السلام، بينما اندثر موضع قبر هارون الرشيد ولا أحد يكترث بإحياء ذكراه أو زيارته، وهذا هو حال ملوك الدنيا من أصحاب البطش والقوة والجبروت، الذين تذل لهم أعناق الرجال ما بقيت لهم السلطة والجاه والمال، ثم يذهب ذكرهم أدراج الريح يوم أن تذهب عنهم تلك السلطة، وصدق الله العلى العظيم ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾

[الأنعام: ٩٤].

* * *

(١) انظر: كتابنا: الشيعة والثورة جـ ٢.

(٩) محمد بن على بن موسى (الجواد)
(١٩٥ - ٢٢٠هـ)

وكان الإمام بعد الرضا على بن موسى عليهما السلام، ابنه محمّد بن علىّ المرتضى بالنصّ عليه والإشارة من أبيه إليه وتكامل الفضْل فيه، وكان مولده عليه السلام في شهر رمضان سنة خمس وتسعين ومائة، وقبض ببغداد في ذى القعدة سنة عشرين ومائتين وله يومئذ خمس وعشرون سنة، وكانت مدة خلافته لأبيه وإمامته من بعده سبع عشرة سنة.

وكان المأمون قد شغف بأبى جعفر (محمد بن على المرتضى) عليه السلام لمّا رأى من فضله مع صغر سنّه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحدٌ من مشايخ أهل الزمان، فزوجه ابْنته أمّ الفضل وحملها معه إلى المدينة وكان متوفّرًا على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدْره.

ولمّا أراد المأمون أن يزوّج ابْنته أمّ الفضْل أبا جعفر محمد بن علىّ عليهما السلام، بلغ ذلك العباسيّين فغلظ عليهم واسْتكْبروه وخافوا أنْ ينْتهى الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام، فخاضوا في ذلك واجْتمع منهم أهل بيته فقالوا له ننشدك الله يا أمير المؤمنين أنْ تقيم على هذا الأمر الذى قد عزمْت عليه من تزويج ابن الرضا، فإنّا نخاف أن يخْرج به عنّا أمرٌ قد ملّكناه الله وينْزع منّا عزٌّ قد ألبسناه الله، وقد عرفْت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديمًا وحديثًا، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبْلك من تبعيدهم والتصغير بهم وقد كنّا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملْت، حتى كفانا الله المهمّ من ذلك، فالله الله أنْ تردّنا إلى غمٍّ قد انْحسر عنّا، واصْرفْ رأيك عن ابن الرضا واعْدلْ إلى منْ تراه من أهل بيتك يصْلح لذلك دون غيره. فقال لهم المأمون: أمّا ما بينكم وبين آل أبى طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنْصفْتم القوْم لكان أولى بكم، وأمّا ما كان يفْعله منْ كان قبلى بهم، فقد كان قاطعًا للرحم أعوذ باللهّ من ذلك، ووالله ما ندمْت على ما كان منّى من استخلاف الرضا، ولقد سألته أنْ يقوم بالأمْر وأنزعه عن نفسى

فأبى، وكان أمْر الله قدراً مقْدوراً ، وأمّا أبو جعفر محمّد بن عليّ فقد اختَرْته لتبريزه على كافة أهْل الْفضْل فى العلم والْفضْل مع صغر سنّه والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرْجو أنْ يظْهر للناس ما قد عرفْته منه فيعْلموا أنّ الرأى ما رأيْت فيه .

ثم أقْبل على أبى جعفر عليه السلام فقال له : أتخْطب يا أبا جعفر؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين .

فقال له المأمون : اخْطبْ جعلْت فداك لنفْسك ، فقد رضيتك لنفْسى وأنا مزوّجك أمّ الفضْل ابنتى وإن رغم قومٌ لذلك .

فقال أبو جعفر عليه السلام : الحمد للّه إقراراً بنعمته ولا إله إلا الله إخْلاصًا لوحْدانيته، وصلىّ الله على محمّد سيّد بريّته والأصْفياء من عترته . أمّا بعْد : فقد كان من فضْل الله على الأنام أنْ أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال سبْحانه : ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)﴾ [النور : ٣٢]. ثمّ إنّ محمّد بن عليّ بن موسى يخْطب أمّ الفضْل بنْت عبد اللّه المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهْر جدّته فاطمة بنت محمّد عليهما السلام، وهو خمسمائة درهم جيادًا، فهلْ زوّجْته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟

قال المأمون : نعم قد زوجْتك أبا جعفر أم الفضل ابْنتى على هذا الصداق المذكور، فهل قبلْت النكاح ؟ قال أبو جعفر عليه السلام قد قبلْت ذلك ورضيت به .

فأمر المأمون أنْ يقْعد الناس على مراتبهم فى الخاصّة والعامة .

قال الريان : ولم نلْبثْ أنْ سمعْنا أصْواتًا تشْبه أصْوات الملاحين فى محاوراتهم فإذا الخدم يجرّون سفينةً مصْنوعةً من فضة مشْدودة بالحبال من الإبريسم على عجل مملوءةً من الغالية، فأمر المأمون أنْ تخْضب لحىّ الخاصّة من تلك الغالية[1] ثمّ مدّت إلىّ دار العامّة فطيّبوا منها ووضعت الموائد فأكل الناس وخرجت الجوائز إلى كلّ قوم على قدرهم .

ثمّ نهض القوْم وودعوه ومضى عليه السلام من وقْته إلى المدينة، فلم يزلْ بها إلى أنْ أشْخصه المعتصم ـ الخليفة العباسى بعد المأمون ـ فى أوّل سنة عشرين ومائتين إلى بغداد، فأقام بها حتى توفى فى آخر ذى القعدة من هذه السنة، فدفن فى ظهْر جدّه أبى

(١) نوع من العطر الثمين.

الحسن موسى عليه السلام في مقابر قريش (الكاظمية الآن في بغداد)، وكان له يوم قبض خمسٌ وعشرون سنة وأشْهر. وكان منعوتًا بالمنتجب والمرتضى، وخلّف بعده من الولد عليًا ابْنه الإمام من بعده وموسى وفاطمة وأمامة ابنتيْه، ولم يخلّفْ ذكرًا غير منْ سمّيناه.

وقال محمد جواد مغنية[1]:

قد تجتمع النبوة مع صغر السن بدليل قوله تعالى ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]. وقوله تعالى ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)﴾ [مريم: ٢٩ ـ ٣٠].

* * *

(١) الشيعة في الميزان.

(١٠) على بن محمد بن على الرضا (الإمام الهادى)

(٢١٢ ـ ٢٥٤هـ)

وكان الإمام بعد أبى جعفر عليه السلام ابنه أبا الحسن علىّ بن محمّد لثبوت النصّ عليه بالإمامة والإشارة إليه من أبيه بالخلافة.

وكان مولده بصريّا بالقرب من المدينة للنصف من ذى الحجة سنة اثْنتى عشرة ومائتين وتوفّى بسر من رأى ـ سامراء ـ فى رجب سنة أربع وخمسين ومائتين وله يومئذ إحدى وأربعون سنة وأشهر.

وكان المتوكّل قد أشْخصه مع يحيى بن هرْثمة بن أعْين من المدينة إلى سرّ منْ رأى فأقام بها حتى مضى لسبيله وكانتْ مدّة إمامته ثلاثًا وثلاثين سنة.

* * *

(١١) الحسن العسكرى
(٢٣٢ - ٢٦٠هـ)

وكان الإمام بعد أبى الحسن بن محمد عليهما السلام ابنه أبا محمد الحسن بن على وقد اجتمعت صفات الفضل والعلم فيه من العلم والزهد وكمال العقل والعصمة والشجاعة والكرم وكثرة الأعمال المقربة إلى الله، وقد نص عليه أبوه الإمام الهدى وأشار بالإمامة له.

وكان مولده بالمدينة في شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.

كنيته أبو محمد ولقبه العسكرى لأنه كان يسكن فى سامراء بمحلة تعرف بمحلة العسكر. وقبض يوم الجمعة لثمان ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وله يومئذ ثمان وعشرون سنة، ودفن فى داره بسر من رأى فى البيت الذى دفن فيه أبوه عليه السلام.

وكانت مدة إمامته ست سنين.

يروى الشيخ المفيد[1]: كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضياع والخراج - (قم)، فجرى فى مجلسه يومًا ذكر العلوية ومذاهبهم، وكان شديد الكره لهم والانحراف عنهم فقال: ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى من العلوية مثل الحسن بن على بن محمد بن الرضا فى هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبرته عند أهل بيته وبنى هاشم كافة، وتقديمهم إياه على ذوى السن منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القواد والوزراء وعامة الناس، فأذكر أننى كنت يومًا على رأس أبى (عبيد الله بن خاقان) وهو يوم مجلسه للناس، إذ دخل حجابه فقالوا: أبو محمد ابن الرضا بالباب، فقال بصوت عال: ائذنوا له، فتعجبت مما سمعت منهم ومن جسارتهم أن يكنوا رجلاً بحضرة أبى، ولم يكن يكنى عنده إلا خليفة أو ولى عهد أو من أمر السلطان أن يكنى فدخل رجل أسمر حسن القامة جميل الوجه جيد البدن حديث السن له جلالة وهيئة حسنة، فلما نظر إليه أبى قام فمشى إليه خطى، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بنى هاشم والقواد، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذى

(١) الإرشاد.

كان عليه، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلمه ويفديه بنفسه وأنا متعجب مما أرى منه، إذ دخل حجابه وخاصة قواده، فقاموا بين مجلس أبى وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج. فلم يزل أبى مقبلاً على أبى محمد يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة فقال حينئذ له: إذا شئت جعلنى الله فداك، ثم قال لحجابه: خذوا به خلف السماطين لا يراه، هذا يعنى الموفق، فقام وقام أبى فعانقه ومضى، فقلت لحجاب أبى وغلمانه: ويلكم من هذا الذى كنيتموه بحضرة أبى وفعل به أبى هذا الفعل؟ فقالوا: هذا علوى يقال له: الحسن بن على يعرف بـ «ابن الرضا»، فازددت تعجبًا، ولم أزل يومى ذلك قلقًا مفكرًا فى أمره وأمر أبى وما رأيته منه، حتى كان الليل وكانت عادته أن يصلى العتمة ثم يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه إلى السلطان. فلما صلى وجلس جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد فقال لى: يا أحمد، ألك حاجة؟ فقلت: نعم يا أبتى فإن أذنت سألتك عنها؟ فقال: قد أذنت، قلت: يا أبتى من الرجل الذى رأيتك بالغداة به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتبجيل، وفديته بنفسك وأبويك؟؟

فقال: يا بنى ذاك إمام الرافضة الحسن بن على المعروف بـ «ابن الرضا»، ثم سكت ساعة وأنا ساكت، ثم قال: يا بنى لو زالت الإمامة عن خلفائنا بنى العباس ما استحقها أحد من بنى هاشم غيره لفضله وعفافه وهديه وصيانته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً. فازددت قلقًا وتفكرًا وغيظًا على أبى وما سمعت منه فيه ورأيت من فعله به، فلم يكن لى هم بعد ذلك إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره. فما سألت أحدًا من بنى هاشم والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس، إلا وجدته عنده فى غاية الإجلال والإعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه، فعظم قدره عندى إذ لم أر له وليًا ولا عدوًا إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه.

ولما اعتل بُعث إلى أبى أن ابن الرضا قد اعتل، فركب من ساعته إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته فيهم نحرير، وأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطببين فأمرهم بالاختلاف إليه وتفقده صباح مساء، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر

أنه قد ضعف، فأمر المتطببين بلزوم داره، وبعث إلى قاضي القضاة والقضاة فأحضرهم مجلسه وأمره [قاضي القضاة] أن يختار عشرة ممن يوثق به في دينه وورعه وأمانته فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هناك حتى توفي عليه السلام فلما ذاع خبر وفاته صارت سر من رأى ضجة واحدة وعطلت الأسواق وركب بنو هاشم والقواد وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سر من رأى يومئذ شبيهًا بيوم القيامة، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل يأمره بالصلاة عليه، فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه، دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، مات حتف أنفه على فراشه، وحضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان، ومن المتطببين فلان وفلان، ثم غطى وجهه وصلى عليه، وأمر بحمله، وخرجنا وهو على تلك الحال والسلطان يطلب أثراً لولد الحسن بن علي إلى اليوم وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً، وشيعته مقيمون على أنه مات وخلف ولدًا يقوم مقامه في الإمامة.

ومرض أبو محمد عليه السلام في أول شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين، ومات في يوم الجمعة لثمان ليال خلون من هذا الشهر في السنة المذكورة، وله يوم وفاته ثمان وعشرون سنة، ودفن حيث دفن أبوه من دارهما بسر من رأى[1].

والآن يوجد ضريح الإمامين الهادي والعسكري في مدينة سامراء بالعراق، والتي كانت تعرف بمحلة العسكر.

***

(١) سامراء.

(١٢) محمد بن الحسن العسكرى (المهدى المنتظر)

(٢٥٥ ـ ٣٢٨هـ)

وخلف الإمام الحسن العسكرى ابنه الإمام المهدى المنتظر، وكان أبوه قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وشدة طلب سلطان الزمان له واجتهاده فى البحث عن أمره، ولما شاع من مذهب الشيعة الإمامية فيه، وعرف من انتظارهم له، فلم يظهر ولده عليه السلام فى حياته ولا عرفه الجمهور بعد وفاته. وجرى على أهل الإمام الحسن العسكرى أبى محمد عليه السلام بسبب ذلك كل عظيمة من اعتقال وحبس وتهديد وتصغير واستخفاف وذل، ولم يظفر السلطان منهم بطائل.

يعتقد الإمامية أن الإمام الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى، هو المهدى المنتظر الذى اختفى عن الأنظار بعد مولده سلام الله عليه، ولا يعرف أحد مكانه على وجه التحديد، أما ما يقوله البعض من أنه دخل فى كهف أو فى سرداب فكلام لا أصل له ولا سند، وللمهدى سلام الله عليه غيبتان، غيبة صغرى وغيبة كبرى.

ابتدأت الغيبة الصغرى فى السنة التى توفّى فيها والده الإمام العسكرى عليه السلام عام ٢٦٠ هـ، وانتهت عام ٣٢٩ هـ، وكان له فيها سفراء أربعة هم:

عثمان بن سعيد العمرى الأسدى، وقد كان وكيلاً للإمام الهادى، ثم للإمام العسكرى، ثم للإمام محمد المهدى عليهم السلام.

ثم محمد بن عثمان بن سعيد العمرى الأسدى، حيث قام بأمر السفارة بعد وفاة أبيه مدّة تقارب الأربعين عامًا حتى وفاته عام ٣٠٥ هـ.

ثم الحسين بن روح، الذى قام بأمر السفارة منذ وفاة محمد بن عثمان العمرى حتى وفاته عام ٣٢٦ هـ.

وأخيرًا على بن محمد السمرى وقد قام بسفارته لمدّة ثلاث سنوات انتهت بوفاته فى ١٥ شعبان ٣٢٩ هـ.

والمعروف أنّ هؤلاء السفراء الأربعة دفنوا بعد وفاتهم فى مدينة بغداد، ومشاهدهم معلومة مشهورة إلى يومنا الحاضر.

ثم ابتدأت الغيبة الكبرى بتاريخ ١٥ شعبان ٣٢٩ هـ بعد وفاة السفير الرابع، الذى قال عندما سئل عمن يخلفه بهذا الأمر: (لله أمر هو بالغه) وفيه بيان لما أعلمه به الإمام المنتظر - عجل الله تعالى فرجه - ببداية الغيبة الكبرى المستمرة إلى يومنا هذا.

الغيبة والعقل

من الناحية العقلية لا نرى ثمة دليلاً على استحالة أن يمتد عمر إنسان خلقه الله تبارك وتعالى طوال هذه الفترة الزمنية، وقد لبث نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا قبل أن يأخذهم الطوفان وهم ظالمون.

أما ما يدعيه البعض من أن انتظار الغائب حتى يرجع يعوقنا عن العمل والإصلاح فهو أيضًا كلام لا ينهض على ساقين؛ إذ إن العائق عن العمل من أجل الإصلاح يتمثل فى انحراف المسلمين عن جوهر دينهم، وعدم استخدام المسلمين لعقولهم، وانشغالهم بحروبهم ومؤامراتهم الداخلية التى تنفق فيها المليارات من أموال المسلمين بينما يتضور الملايين من المسلمين جوعًا وجهلاً ومرضًا.

المسلمون أنفقوا المليارات فى حرب العرب ضد إيران، ثم غزو العراق للكويت، وبخلوا بها على إصلاح التعليم فى بلدانهم، بينما ينتظر اليهود مسيحهم، وينتظر النصارى عودة المسيح إلى الأرض، ولم يكن هذا حائلاً بينهم وبين السيطرة على العالم.

الاعتقاد بغيبة المهدى وبالسعى لتمهيد الأرض من أجل ظهوره **«ليملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلمًا وجورًا»** هى عقيدة إيجابية تحفز النفس على العمل وتملؤها بالأمل وتقول للمؤمنين الصابرين **﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾** [الضحى: ٣] وهو سبحانه قادر على نصرهم **﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾** [الروم: ٤ - ٥].

* * *

الفصل الخامس

نشأة المذاهب الإسلامية
والاجتهاد عند الشيعة

وقبل أن ننتقل إلى الجدل الدائر حول بعض التفاصيل الفقهية، نود أن نلفت انتباه القارئ الكريم إلى الطريقة التى نشأت بها المذاهب الفقهية والتى أفضت بنا الآن إلى وجود أربعة مذاهب، يعتقد البعض أنها قديمة قدم التاريخ الإسلامى، بينما تقودنا قراءة التاريخ إلى نتيجة مختلفة عن تلك الصورة السائدة فى الوجدان الإسلامى العام.

لقد شكل العصر العباسى، وتحديداً فترة خلافة أبى جعفر المنصور، نقطة التحول التى أدت إلى إبراز هذه المذاهب عن طريق دفعها إلى الواجهة - طوعًا أو كرهًا - وتنحية غيرها من خلال الوسائل نفسها والأساليب التقليدية التى اعتاد عليها النظام السياسى آنذاك.

لقد شكلت ثورة النفس الزكية محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على، والالتفاف الواسع حول هذه الثورة، والدور الذى لعبه الفقهاء فى دعمها، نقطة تحول، دفعت أبا جعفر المنصور إلى اتباع سياسة وضع اليد على المؤسسة الفقهية وإدماجها فى النظام السياسى عن طريق وسائل الترغيب والترهيب.

فقد وقف الكثير من فقهاء ذلك العصر موقف التأييد، بل والمشاركة الفعلية فى هذه الثورة وقد ذكرهم صاحب *مقاتل الطالبيين*:

الفقيه ابن هرمز الذى خرج محمولاً فى محفة وقال ما فى قتال [لا أستطيع القتال]، ولكن أحب أن يتأسى بى الناس.

وقال مالك بن أنس كنت آتى ابن هرمز فيأمر الجارية فتغلق الباب وترخى الستر ثم يذكر أول هذه الأمة ويذكر العدل، ثم يبكى حتى تخضل لحيته. قال ثم خرج مع محمد بن عبد الله ليقتدى به الناس.

كما خرج **ابن عجلان** مع محمد بن عبد الله بن الحسن، فلما ولى جعفر بن سليمان المدينة [من قبل أبى جعفر المنصور] قيده، فدخلت عليه فقلت له: كيف ترى رأى أهل

البصرة فى رجل قيد الحسن البصرى؟ قال : شر والله . قال فقلت إن ابن عجلان بهذه ـ يعنى المدينة ـ كالحسن بتلك ، فتركه .

أما **مالك بن أنس** فقد أفتى بالخروج مع محمد بن عبد الله ، فلما قيل له إن فى أعناقنا بيعة لأبى جعفر ، قال إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين .

وخرج معه **مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير** وابنه **عبد الله بن مصعب** وكان شاعراً وكان يقول الشعر فى محمد ويحرض الناس بذلك .

وخرج **أبو بكر بن أبى سبرة الفقيه** الذى يروى عنه الواقدى مع محمد بن عبد الله ومعه راية له .

وكان ممن خرج مع محمد بن عبد الله **يزيد بن هرمز وعبد الواحد بن أبى عون مولى الأزد وعبد الله بن عامر الأسلمى** ، وذكر أن محمداً خطب الناس فذكر شيئًا فقال وهذا قارئكم عبد الله بن عامر الأسلمى يشهد على ذلك ، فقام فشهد على ما قال .

ولما قتل محمد ، تغيب عبد الله بن عطاء فمات متواريًا ، فلما خرج نعشه ، بلغ خبره جعفر بن سليمان ، فأنزله من نعشه فصلبه ثم كلم فيه فأنزله بعد ثلاثة أيام وأذن فى دفنه .

وخرج معه **عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير** الذى يروى عنه عبد الله بن مصعب والضحاك بن عثمان وكان امرأ صدق ، فأتى به أبو جعفر فقال له أين المال الذى كان عندك؟ قال دفعته إلى أمير المؤمنين . قال ومن أمير المؤمنين؟ قال محمد بن عبد الله بن الحسن رحمة الله وصلواته عليه . قال أوَ بايعته؟ قال إى والله كما بايعته أنت وأخوك وأهلك هؤلاء الغدرة . قال يا بن اللخناء ، قال ابن اللخناء من قامت عنه مثل أمك سلامة . قال اضربوا عنقه ، فضربت عنقه .

كما خرج **عبد الله بن عمر بن العمرى** مع محمد بن عبد الله هو **وأخوه أبو بكر بن عمر** فلم يزل معه حتى انقضى أمره وقتل ، فاستخفى عبد الله بن عمر ، ثم طلب فوجد فأتى به أبو جعفر فأمر بحبسه فحبس فى المطبق سنين .

أما **سفيان الثورى** الفقيه الشهير فقال : إن يرد الله بهذه الأمة خيراً يجمع أمرها على هذا الرجل . قال قلت : ما علمتك إلا قد سررتنى قال سبحان الله! وهل أدركت خيار

الناس إلا الشيعة، ثم ذكر زبيداً وسلمة بن كهيل وحبيب بن أبي ثابت وأبا إسحاق السبيعي ومنصور بن المعتمر والأعمش.

مثلت المجموعة التي ذكرنا أسماءها والتي اصطفت خلف النفس الزكية محمد بن عبد الله نخبة الأمة، التي جمعت أحفاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سواء من أبناء الحسن أو من أبناء الحسين عليهم السلام، وأحفاد عمر بن الخطاب وأحفاد الزبير ابن العوام، وبقية فقهاء المدينة المنورة، كما أنها جمعت كل الاتجاهات الفكرية والفقهية الفاعلة على الساحة يومها، سواء كان فقه أهل البيت ممثلاً في أبناء الإمام الصادق وتحديداً في شخص الإمام الكاظم موسى بن جعفر سلام الله عليه وعلى آبائه الذي شارك في التحرك، ومالك بن أنس وابن عجلان ويزيد بن هرمز وغيرهم من فقهاء أهل المدينة، ومتكلمي المعتزلة مثل واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والزيدية.

موقف أبي حنيفة

يقول أسد حيدر في كتابه[1]: إن أبا حنيفة قتل بسم أبي جعفر المنصور، واختلفت آراء المؤرخين في سبب ذلك، وهل كان هذا القتل بسبب عدم قبوله القضاء فحبسه أبو جعفر فمات في سجنه؟ وهناك من يقول إن المنصور هدده بالضرب فقبل القضاء على كره ثم مات بعد أيام، وهناك من يقول، إن أبا جعفر استقدمه من الكوفة لأنه اتهم بالتشيع لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن؛ حيث أعلن انضمامه له وأفتى بوجوب الخروج مع إبراهيم، حيث روى أبو الفرج الأصفهاني[2] عن عبد الله بن إدريس قال سمعت أبا حنيفة وهو قائم على درجته ورجلان يستفتيانه في الخروج مع إبراهيم، فقال لهما: اخرجا.

كما يذكر أسد حيدر: قال الحسن بن زياد اللؤلئي: سمعت أبا حنيفة وقد سئل من أفقه من رأيت؟ قال ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد الصادق.

موقف مالك بن أنس

ذكر ابن قتيبة[3]:

أن أبا جعفر لما استقامت له الأمور، واستولى على السلطان خرج حاجّاً إلى

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة جـ١ ص ٣١٩.
(٢) مقاتل الطالبيين.
(٣) الإمامة والسياسة جـ٢ ص ١٧٠، ١٧١.

مكة، وذلك فى سنة ١٤٨هـ. فلما كان بمنى، أتاه الناس يسلمون عليه، ويهنئونه بما أنعم الله عليه، وجاءه رجال الحجاز من قريش وغيرهم، وفقهاؤهم وعلماؤهم ممن صاحبه وجامعه على طلب العلم ومذاكرة الفقه ورواية الحديث، فكان فيمن دخل عليه منهم مالك بن أنس، فقال له أبو جعفر: يا أبا عبد الله إنى رأيت رؤيا، فقال مالك: يوفق الله أمير المؤمنين إلى الصواب من الرأى ويلهمه الرشاد من القول ويعينه على خير الفعل، فقال أبو جعفر: رأيت أنى أجلسك فى هذا البيت فتكون من عمّار بيت الله الحرام، وأحمل الناس على علمك وأعهد إلى أهل الأمصار يوفدون إليك وافدهم ويرسلون إليك رسلهم فى أيام حجهم، لتحملهم من أمر دينهم على الصواب والحق إن شاء الله، وإنما العلم علم أهل المدينة وأنت أعلمهم، فقال مالك: أمير المؤمنين أعلى عينًا وأرشد رأيًا وأعلم بما يأتى وما يذر، وإن أذن لى أن أقول قلت، فقال أبو جعفر: نعم، فحقيق أنت أن يسمع منك ويصدر عن رأيك، فقال مالك: يا أمير المؤمنين إن أهل العراق (أى الشيعة) قالوا قولاً تعدوا فيه طورهم، ورأيت أنى خاطرت بقولى لأنهم أهل ناحية، وأما أهل مكة فليس بها أحد وإنما العلم علم أهل المدينة كما قال الأمير، وإن لكل قوم سلفًا وأئمة، فإن رأى أمير المؤمنين ـ أعز الله نصره ـ إقرارهم على حالهم فليفعل، فقال أبو جعفر: أما أهل العراق فلا يقبل أمير المؤمنين منهم صرفًا ولا عدلاً، وإنما العلم علم أهل المدينة، وقد علمنا أنك إنما أردت خلاص نفسك ونجاتها، فقال مالك: فأعفنى يعف الله عنك، فقال أبو جعفر: قد أعفاك أمير المؤمنين، وايم الله ما أجد بعد أمير المؤمنين أعلم منك ولا أفقه.

ثم قال ابن قتيبة(١):

وذكروا أنه هاج بالمدينة هيج فى ابتداء أيام أبى جعفر، فبعث إليها ابن عمه جعفر بن سليمان بن العباس ليسكن هيجها ويجدد بيعة أهلها، فقدمها وهو يتوقد نارًا على أهل الخلاف لهم، فأظهر الغلظة والشدة، وسطا بكل من ألحد فى سلطانهم وأشار إلى المنازعة لهم وأخذ الناس بالبيعة. . . وكان

---

(١) الإمامة والسياسة جـ٢ ص ١٧٧، ١٧٩.

مالك لفيض علمه وورعه محسوداً من قبل الحاقدين والحاسدين، فدسوا إلى جعفر بن سليمان من قال له إن مالكًا يفتى الناس أن البيعة لا تحل ولا تلزمهم لأنهم مكرهون عليها، وزعموا أنه يفتى بذلك أهل المدينة أجمعين لحديث رواه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»، فعظم ذلك على جعفر بن سليمان واشتد الأمر عليه، فدس لمالك من يتحقق من صحة الخبر، فأفتاه بالفتوى نفسها، فقبض عليه جعفر بن سليمان وضربه سبعين سوطًا، وبلغ الخبر إلى أبى جعفر المنصور فعظم عليه الأمر وأرسل إلى مالك من يستدعيه إلى بغداد للقائه، فاعتذر إليه مالك، فكتب إليه أبو جعفر ليلتقى به فى موسم الحج المقبل، فلما وصل أبو جعفر إلى الحج - وكان هذا عام ١٦٣هـ - والتقى مالكًا ورحب به وقربه إليه، قال له: والله الذى لا إله إلا هو يا أبا عبد الله ما أمرت بالذى كان ولا علمته قبل أن يكون ولا رضيته إذ بلغنى، قال مالك: حمدت الله على كل حال، ثم قال يا أبا عبد الله ما زال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم، وإنى أخالك أمانًا لهم من عذاب الله وسطوته، ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة، فإنهم ما علمت أسرع الناس إلى الفتن وأضعفهم عنها، قاتلهم الله أنى يؤفكون. قال مالك: ثم فاتحنى فيمن مضى من السلف والعلماء، فوجدته أعلم الناس بالناس، ثم فاتحنى فى العلم والفقه فوجدته أعلم الناس بما اجتمع عليه وأعرفهم بما اختلفوا فيه، حافظًا لما روى واعيًا لما سمع، ثم قال لى: يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودونه ودون منه كتبًا وتجنب شدائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواذ ابن مسعود. واقصد إلى أواسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضى الله عنهم، لنحمل الناس إن شاء الله على علمك وكتبك ونبثها فى الأمصار ونعهد إليهم ألا يخالفوها ولا يقضوا بسواها، فقلت له: أصلح الله الأمير، إن أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون فى علمهم رأينا، فقال أبو جعفر: يحملون عليه ونضرب على هاماتهم بالسيف ونقطع طى ظهورهم بالسياط، فتعجل بذلك وضعها، فسيأتيك ابنى محمد المهدى العام المقبل ليسمعها منك فيجدك وقد فرغت من ذلك إن شاء الله، قال مالك ثم أمر لى بألف دينار عينًا ذهبًا وكسوة عظيمة وأمر لابنى بألف دينار.

يظهر لنا بوضوح هذا المشهد الذى عرضناه أن المسلمين لم يعرفوا فى تلك الأيام الانقسام المذهبى، سواء كان هذا الانقسام على أربعة مذاهب أو أكثر أو أقل، وأن وجود هؤلاء الفقهاء وتعددهم لم يكن يعنى وجود مثل هذا الانقسام قدر ما يعنى وجود تعددية الآراء والأفهام والتفافها كلها حول قيادة أهل البيت، وهو الخطر الذى أحس به الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور، فأراد أن يجعل من مالك وأبى حنيفة فقهاء الدولة وقضاتها، وأن يحمل الناس على مذهبيهما كما ذكرت الرواية المنقولة عن ابن قتيبة[1]، فاستعصى عليه أبو حنيفة نظرًا لتشيعه وولائه لأهل البيت، فقتله سمًا أو سجنًا لا أحد يعرف على وجه الدقة، ثم استعمل تلميذه أبا يوسف قاضيًا ليصبح مفتيًا للدولة العباسية، ومن ثم قام بنشر المذهب الحنفى عن طريق قضاته الذين قام هو بتعيينهم فى مناصبهم.

ثم تطور الوضع نحو الأسوأ فى العصور التالية، وصولاً إلى الدولة المملوكية الأيوبية التى قامت بقصر الإفتاء على قضاة المذاهب الأربعة لا غير، حتى نشأت أجيال وأجيال لا ترى من الفقه إلا تلك المذاهب الأربعة، واندثر كل ما عداها من المذاهب والمدارس الفقهية التى كان من الممكن أن تكون مصدرًا ثريًا للفقه والاجتهاد.

الأسوأ الذى نعنيه أن الفقهاء أو القضاة، وهم الماسكون بزمام الدين وخطبة الجمعة والقضاء والمواريث، لم يكن أمامهم إلا قراءة المتون الفقهية لهذه المذاهب والإفتاء من خلالها.

مصر واختفاء المذهب الشيعى منها

يروى لنا المقريزى[2] السبب فى اختفاء المذهب الشيعى السائد فى مصر على عهد الدولة الفاطمية فيقول:

> وأوقع صلاح الدين بأمراء الدولة وعساكرها، وأنشأ بمدينة مصر مدرسة للفقه الشافعى ومدرسة للفقهاء المالكية، وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس المازنى الشافعى، فلم يستتنب عنه فى مصر إلا من كان شافعى المذهب، فتظاهر الناس من حينئذ بمذهب مالك والشافعى، واختفى مذهب الشيعة الإسماعيلية والإمامية،

(١) الإمامة والسياسة.
(٢) السلوك فى معرفة آداب الملوك جـ ٤ ص ١٦١.

حتى فقد من أرض مصر كلها، وأما العقائد فإن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حمل الكافة على عقيدة أبى الحسن الأشعرى، وشرط ذلك فى أوقافه التى بديار مصر، فلما كانت سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقدارى، ولى بمصر والقاهرة أربعة قضاة وهم شافعى ومالكى وحنفى وحنبلى، فاستمر ذلك من سنة ٦٦٥ هـ حتى لم يبق بأقطار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة وعقيدة الأشعرى، وعودى من تمذهب بغيرها وأنكر عليه ولم يول القضاء ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم للخطابة والإمامة والتدريس ما لم يكن مقلداً لأحد هذه المذاهب، وأفتى فقهاء هذه الأمصار فى طول المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها والعمل على هذا إلى اليوم.

الكثير من المصريين على عهد الدولة الفاطمية كانوا من الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، بل إن وجودهم فى مصر كان أسبق من وجود المذهب الإسماعيلى، وهو ما ذكره المقريزى[1] عندما تحدث عن:

استيلاء أبى على أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش على الوزارة؛ حيث أعلن بمذهب الإمامية والدعوة للإمام المنتظر وضرب دراهم نقشها: الله الصمد الإمام محمد، ورتب فى سنة ٥٢٥ هـ أربعة قضاة: اثنان إمامى وإسماعيلى، واثنان أحدهما مالكى والآخر شافعى، فحكم كل منهم بمذهبه وورث بمقتضاه.

الاجتهاد عند الشيعة

تبين مما سبق أن الحالة المذهبية بصورتها الراهنة، أى انحصار المذاهب الفقهية فى أربعة مذاهب هى من نتاج العصر المملوكى، ومع ذلك فقد تغير الوضع بصورة جذرية عندما لجأت الدول إلى سن قانون الأحوال الشخصية الموحد الذى لا يفرق بين أبناء المذاهب، وتضاءلت سلطة الفقهاء والقضاة المذهبيين، أو انحصرت فى المجال الأكاديمى لا غير، بينما بقيت المؤسسة الدينية الشيعية تواصل الاجتهاد منذ عصر النشأة إلى يومنا هذا.

(١) السلوك فى معرفة آداب الملوك جـ ٤ ص ١٦٠.

حافظت المؤسسة الدينية الشيعية، أو المرجعية، على استقلالها المالى عن الحكام الذين ناصبوها العداء منذ البدء بفضل الخمس، وهو فريضة مالية تؤدى للإمام (المشار إليه فى الآية بذوى القربى) أو نائبه، أى المرجع المجتهد فى قوله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ [الأنفال: ٤١] وهو أيضًا ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المصادر الشيعية والسنية؛ حيث روى البخارى فى باب الإيمان:

حدثنا على بن الجعد قال أخبرنا شعبة عن أبى جمرة قال:

كنت أقعد مع ابن عباس يجلسنى على سريره، فقال: أقم عندى حتى أجعل لك سهمًا من مالى، فأقمت معه شهرين، ثم قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبى ﷺ قال: «**من القوم أو من الوفد**»؟ قالوا: ربيعة، قال: «**مرحبًا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى**». فقالوا يا رسول الله: إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا فى الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل، نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة. وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده قال «**أتدرون ما الإيمان بالله وحده**»؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**»، ونهاهم عن أربع عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت، وربما قال المقير وقال «**احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم**».

المرجع الدينى هو الفقيه المجتهد المسئول عن بيان الحكم الشرعى، الذى يحتاج المؤمنون معرفته فى عباداتهم ومعاملاتهم، وقد أكد الفقه الإمامى على هذه الحقيقة حيث يبدأ أى كتاب فقهى بتلك العبارات: (يجب على كل مكلف غير بالغ مرتبة الاجتهاد فى غير الضروريات من عباداته ومعاملاته، ولو فى المستحبات والمباحات، أن يكون مقلدًا أو محتاطًا.... والتقليد هو العمل مستندًا إلى فتوى فقيه معين... يجب أن يكون المرجع للتقليد عالمًا مجتهدًا عادلاً ورعًا فى دين الله، غير مكب على الدنيا ولا حريصًا عليها ولا على تحصيلها جاهًا ومالاً).

والشاهد أن مسألة الاجتهاد والتقليد هى من كبريات المسائل التى أثرت تأثيرًا كبيرًا فى مسار العالم الإسلامى، حيث نلاحظ أن المسلمين من غير شيعة أهل البيت لا

يهتمون بمثل هذه القواعد، مما أدى إلى أن تحتمل المسألة الواحدة قولين وثلاثة وربما أربعة على أسس وضعها أصحاب المدارس الأربعة منذ أكثر من ألف ومائتى عام، بل وهناك أقوال متعددة داخل المدرسة الواحدة، وهو ما أفلحت مدرسة أهل البيت فى اجتنابه عن طريق التزام تقليد الأعلم المجتهد فى غير أمور الاعتقاد؛ حيث يوجب المذهب على كل مسلم أن يكون مجتهداً فى أصل معتقده مثل إثبات الألوهية والنبوة والإمامة والمعاد.

وأذكر أن سائلاً سألنى عن السبب الذى يجعل من يقوم بعقد الزواج يقول (على كتاب الله وسنة رسوله ومذهب أبى حنيفة النعمان) فقلت له: السبب أن المذهب الحنفى هو المذهب الوحيد من بين المذاهب الأربعة الذى أجاز إمامة غير القرشى؛ ولذا فقد اعتمدته الدولة العثمانية التركية مذهبًا رسميًا لها، بالرغم من أن أغلب المصريين كانوا وقتها على المذهب الشافعى، ثم سألنى عن قيمة هذا من الناحية الشرعية، فقلت له: لو أنصفوا لقالوا (على كتاب الله وسنة رسوله وقانون الأحوال الشخصية الذى هو خليط من المذاهب الإسلامية ومن بينها مذهب أهل البيت عليهم السلام).

ولذا فإن من أتيح له الاحتكاك بالوسط الشيعى يسمع من يقول: (أنا أقلد السيد السيستانى) حيث لا يجيز المذهب تقليد الفقيه الميت ابتداء، بل يوجب تقليد الفقيه الأعلم الحى.

أسس الاجتهاد عند الشيعة

تختلف المدرسة الفقهية عند الشيعة عن غيرها من مدارس الفقه الإسلامى فى رؤيتها لأسس الاجتهاد؛ أى استخراج الأحكام من أدلتها، ومن ثم فإن (الفقيه المجتهد) لم يظهر إلى حيز الوجود إلا بعد غيبة الإمام الثانى عشر، أى فى منتصف القرن الثالث الهجرى. والشيعة كما هو معلوم يستدلون بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به بعدى لن تضلوا أبداً، كتاب الله وعترتى أهل بيتى**» وبالتالى ففى وجود إمام أهل البيت لم تكن هناك حاجة للاجتهاد، أى النظر فى كتب التفسير أو كتب الأحاديث لاستخراج الأحكام منها، بل كان التعرف على الحكم الشرعى يتم إما باللجوء إلى الإمام مباشرة أو لأى من تلاميذه، وعلى سبيل المثال فإن الإمام الصادق (جعفر بن محمد بن على بن الحسين) ولد فى ربيع الأول سنة

٨٣ هـ وتوفاه الله فى شوال سنة ١٤٨ هـ، وعاصر الأحداث الجسام التى مرت بها الأمة الإسلامية فى ذلك الوقت، من سقوط للأمويين وصعود للعباسيين وما نشب فى وجههم من ثورات تحت راية الولاء لأهل البيت، مثل ثورة زيد بن على، وثورة النفس الزكية، وكان له دور فاعل فى كل تلك الأحداث.

ونزيد الأمور إيضاحًا عن المرجعية ومؤسساتها.

يقول الشيخ محمد مهدى الآصفى:

> المرجعية الدينية عند الشيعة الإمامية كيان فقهى كبير يحتل من حياتنا السياسية والدينية مساحة واسعة جدًا، يرتبط بها الجمهور بأوثق العلاقات وأمتنها، وتكتسب تعليمات المرجعية بالنسبة للفرد الشيعى صفة الأمر والحكم الشرعى الملزم دينيًا، والذى لا يجوز التخلف عنه ومخالفته. وللشيعة طريقتهم الخاصة فى انتخاب المرجع الدينى الذى يتصدى لشئون التقليد، فلا يتم اختيار المرجع من قبل النظام الحاكم، وإنما يتم انتخاب المرجع بصورة تدريجية عبر الزمن، والسبب فى ذلك أن ارتباط (المقلّد) الفرد المسلم بالمرجع يتم بعد اكتمال الثقة الكافية فى الفرد نفسه تجاه المرجع فى كفاءته الدينية والعلمية والإدارية، وامتداد هذه الثقة فى مساحة واسعة من المجتمع يحتاج إلى زمن غير قليل.

إذًا فالمرجعية لا يجرى تعيينها بقرار رئاسى أو ملكى، بل يجرى طرحها من قبل علماء الدين الذين يزكون واحدًا من أبرز علماء الحوزة والذى تتوفر فيه الشروط التى ذكرناها سابقًا.

رأى الشيخ أبو زهرة رحمه الله

يقول الشيخ أبو زهرة [1] تحت عنوان الاجتهاد فى المذهب الجعفرى ونموه:

> كان لا بد أن يكون المذهب الجعفرى بمقتضى منطقه متسعًا مترامى النواحى والجوانب، ذلك أنه يعتبر ثمرات فكرية لاثنى عشر إمامًا عاشوا فى أكثر من قرنين وربع قرن، فإذا كانت أقوال كل هؤلاء دونت وجمعت جمعًا سليمًا، فإنه يكون ثروة فكرية واسعة لأنهم كانوا يبينون الأحكام فى هذه المدة المديدة الطويلة.

---

(١) الإمام الصادق.

الفصل السادس

أركان الشيعة

التوحيد

يقول الشيخ محمد رضا المظفر[1]:

تعتقد الشيعة الإمامية أنّ الله تعالى واحد أحد ليس كمثله شيء، قديم لم يزل ولا يزال هو الأوّل والآخر، عليم حكيم عادل حي قادر غني، سميع بصير ولا يوصف بما تُوصف به المخلوقات، فليس هو بجسم ولا صورة، وليس جوهراً ولا عرضًا، وليس له ثقل أو خفة ولا حركة أو سكون، ولا مكان ولا زمان، ولا يشار إليه. كما لا ندّ له ولا شبه، ولا ضدّ، ولا صاحبة له ولا ولد ولا شريك، ولم يكن له كفواً أحد، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. كل ما ميّزناه بأوهامنا في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلنا مردود إلينا ـ على حد تعبير الإمام الباقر عليه السلام ـ ومن أشرك في العبادة غيره فهو مشرك.

النبوة

يعتقد الشيعة أنّ النبوّة وظيفة إلهية، وسفارة ربّانية، يجعلها الله تعالى لمن يجتبيه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيّتهم، فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة، ولغرض تنزيههم وتزكيتهم من مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات، وتعليمهم الحكمة والمعرفة، وبيان طرق السعادة والخير لتبلغ الإنسانية كمالها اللائق بها، ولتبلغ درجاتها الرفيعة في الدارين: دار الدنيا ودار الآخرة. كما أنّ قاعدة اللطف توجب أن يبعث الخالق اللطيف بعباده رسله لهداية البشر وأداء الرسالة الإصلاحية، وليكونوا سفراء الله وخلفاءه. وأنّ الله تعالى لم يجعل للناس حق تعيين النبي أو ترشيحه أو انتخابه وليس لهم الخيرة في ذلك، بل أمر كلّ ذلك بيده تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وليس لهم أن يتحكّموا فيمن يرسله هاديًا ومبشّراً ونذيراً، ولا أن يتحكّموا فيما جاء به من أحكام وسنن وشريعة.

(١) عقائد الإمامية.

كما يعتقدون أنّه تعالى إذ ينصّب لخلقه هاديًا ورسولاً، لا بدّ أن يعرِّفهم بشخصه ويرشدهم إليه بالخصوص على وجه التعيين، وذلك منحصر بأن ينصب على رسالته دليلاً وحجّة يقيمها لهم إتمامًا للطف واستكمالاً للرحمة، وذلك الدليل لا بدّ أن يكون من نوع لا يصدر إلا من خالق الكائنات، ومدبر الموجودات - أي فوق مستوى مقدور البشر، فيجريه على يدى ذلك الرسول الهادى؛ ليكون معرِّفًا به، ومرشدًا إليه وذلك الدليل هو المسمى بالمعجزة؛ لأنّه يكون على وجه يعجز البشر عن مجاراته والإتيان بمثله. وكما أنّه لا بد للنبى من معجزة يظهر بها للناس لإقامة الحجة عليهم، فلا بد أن تكون تلك المعجزة ظاهرة الإعجاز بين الناس على وجه يعجز عنها العلماء وأهل الفن فى وقته، فضلاً عن غيرهم من سائر الناس، مع اقتران تلك المعجزة بدعوى النبوّة منه؛ لتكون دليلاً على مدّعاه، وحجة بين يديه، فإذا عجز عنها أمثال أولئك، عُلم أنّها فوق مقدور البشر، وخارقة للعادة، فيُعلم أنّ صاحبها فوق مستوى البشر، بما له من ذلك الاتصال الروحى بمدبِّر الكائنات. وإذا تمّ ذلك لشخص، من ظهور المعجز الخارق للعادة، وادّعى النبوة والرسالة، يكون حينئذ موضعًا لتصديق الناس بدعواه، والإيمان برسالته والخضوع لقوله وأمره، فيؤمن به من يؤمن، ويكفر به من يكفر.

ولأجل هذا وجدنا أنّ معجزة كل نبى تناسب عصره. ومعجزة نبينا الخالدة هى القرآن الكريم المعجز ببلاغته وفصاحته فى وقت كان فن البلاغة معروفًا وكان البلغاء هم المقدّمين عند الناس بحسن بيانهم وسموٍّ فصاحتهم، فجاء القرآن كالصاعقة، وأفهمهم أنّهم لا قِبل لهم به، وعجزوا عن مجاراته، وكذلك إخباره بالغيب.

ويعتقدون أنّ الأنبياء معصومون قاطبة، وكذلك الأئمة عليهم جميعًا التحيات الزكيات، وخالف فى ذلك بعض المسلمين، فلم يوجبوا العصمة فى الأنبياء، إلا فى تبليغ الوحى، فضلاً عن الأئمة.

والعصمة هى التنزُّه عن الذنوب والمعاصى صغيرها وكبيرها، وعن الخطأ والنسيان وإن لم يمتنع عقلاً على النبى أن يصدر منه ذلك، بل يجب أن يكون منزّهًا حتى عمّا ينافى المروءة، كالتبذل بين الناس من أكل فى الطريق أو ضحك عال، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام.

والدليل على وجوب العصمة أنّه لو جاز أن يقترف النبى المعصية، أو يخطئ، أو ينسى فيصدر منه شيء من هذا القبيل، فإمّا أن يجب اتّباعه فى فعله الصادر منه عصيانًا

أو خطأ أو لا يجب، فإن وجب اتّباعه فقد جوّزنا فعل المعاصى برخصة من الله تعالى، بل أوجبنا ذلك، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل.

وإن لم يجب اتّباعه فذلك ينافى النبوّة التى لا بدّ أن تقترن بوجوب الطاعة أبدًا.

وإن كان كل شيء يقع منه من فعل أو قول، نحتمل فيه المعصية أو الخطأ، فلا يجب اتّباعه فى شيء من الأشياء، فتذهب فائدة البعثة، بل يصبح النبى كسائر الناس، ليس لكلامهم ولا لعملهم تلك المرجعية العالية التى يعتمد عليها دائمًا، كما لا تبقى طاعة حتمية للأوامر ولا ثقة مطلقة بأقواله وأفعاله[١].

الإمامة فى الفكر والفقه الإسلامى

الإمامة تمثل ذلك الحاضر الغائب والقاسم المشترك بين المدارس الإسلامية.

الإمامة حاضرة فى الفكر الصوفى بعنوان الولى أو الإنسان الكامل، وترى وظائفها مقسمة فى الفكر السنى؛ حيث تنفصل إمامة السياسة عن إمامة الفقه، بل وعن إمامة العقيدة؛ حيث كان الشخص يوصف بأنه (شافعى المذهب أشعرى الاعتقاد)، فى حين أن الولاء السياسى هو للخليفة العباسى أو للسلطان المملوكى.

ورغم أهمية الإمامة من وجهة نظر الشيعة، فإنهم ينظرون إلى المخالف باعتباره مسلمًا، وهو النهج الذى أقره أئمة أهل البيت؛ حيث يروى عن الإمام الصادق عليه السلام (الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله، به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهدى وما يثبت فى القلب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به، والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة؛ حيث إن الإيمان يشارك الإسلام فى الظاهر والإسلام لا يشارك الإيمان فى الباطن، وإن اجتمعا فى القول والصفة)[٢].

وبالتالى فليس بين الشيعة وإخوانهم المسلمين مشكلة فى الواقع العملى ولا فى العلاقة الاجتماعية ولا فى قاعدة التواصل الإنسانى، فالتشيع لأهل البيت لم يكن يومًا ما حالة تكفيرية موجهة ضد أهل الإسلام، ولو سلمنا جدلاً أن من بين الشيعة من لا يحسن التصرف، فهو لا يمثل التيار الرئيسى بينهم، وقد يكون لهم العذر فى ذلك

(١) عقائد الإمامية للشيخ المظفر.
(٢) أبو جعفر الكلينى الكافى جـ٢ ص ٢٥.

التاريخ الذى تحدثنا عنه وفى تلك الابتلاءات التى تعرض لها الشيعة من قبل بعض الجهلة والمتعصبين، ونرى أن تلك الحال آخذة فى الزوال.

العدل

الأصل الرابع من أصول الاعتقاد عند الشيعة الإمامية، بعد التوحيد والنبوة والإمامة والإيمان بالبعث والحساب.

ويراد به: الاعتقاد بأن الله سبحانه لا يظلم أحدًا ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم، وليس هذا فى الحقيقة أصلاً مستقلاً بل هو مندرج فى نعوت الحق، ومن ثم فهو شأن من شئون التوحيد، ولكن الأشاعرة لما خالفوا العدلية - وهم المعتزلة - والإمامية، أنكروا الحسن والقبح العقليين وقالوا: ليس الحسن إلا ما حسنه الشرع وليس القبح إلا ما قبحه الشرع، وأنه تعالى لو خلد المطيع فى جهنم والعاصى فى الجنة لم يكن قبيحًا لأنه يتصرف فى ملكه ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)﴾ [الأنبياء: ٢٣]. حتى إنهم أثبتوا وجوب معرفة الصانع ووجوب النظر فى المعجزة لمعرفة النبى من طريق السمع والشرع، لا من طريق العقل لأنه ساقط عن منصة الحكم، فوقعوا فى الاستحالة والدور الواضح. أما العدلية فقالوا: إن الحاكم فى تلك النظريات هو العقل مستقلاً ولا سبيل لحكم الشرع فيها إلا تأكيدًا وإرشادًا، والعقل يستقل بحسن بعض الأفعال وقبح البعض الآخر، ويحكم بأن القبيح محال على الله تعالى؛ لأنه حكيم وفعل القبيح مناف للحكمة، وتعذيب المطيع ظلم والظلم قبيح وهو لا يقع منه تعالى. وبهذا أثبتوا لله صفة العدل وأفردوها بالذكر دون سائر الصفات، إشارة إلى خلاف الأشاعرة مع أن الأشاعرة فى الحقيقة لا ينكرون كونه تعالى عادلاً إلا أن العدل عندهم هو ما يفعله وكل ما يفعله فهو حسن. نعم أنكروا ما أثبته المعتزلة والإمامية من حكومة العقل وإدراكه للحسن والقبح على الحق جل شأنه، زاعمين أنه ليس للعقل وظيفة الحكم بأن هذا حسن من الله وهذا قبيح منه.

القول بالعدل لا يعنى إلغاء للرحمة أو إغلاق باب التوبة الذى لا يملك فتحه أو إغلاقه إلا الله، والشاهد أن تأكيد الإمامية على أهمية العدل واعتباره جزءًا من الاعتقاد جاء فى مواجهة نظرية الإرجاء، وهى النظرية التى اعتمدها وعاظ السلاطين لطمأنة

المجرمين الخائفين من القصاص الدنيوى فضلاً عن العقاب الأخروى، ولذا طرحت فكرة (أنه لا يضر مع الإيمان معصية) ومن هنا جاء رد معاوية علي من قال له: حاربت من تعلم وارتكبت ما تعلم، فقال: وثقت بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]. . وإلى هذا المعنى أشار عمرو بقوله لابنه: تركتُ أفضل من ذلك، شهادة أن لا إله إلا الله.

إنها ليست مجرد قضية أخروية بحتة كما قد يظن البعض للوهلة الأولى، إذ إن الطغاة والجبابرة هم دومًا فى حاجة إلى جلاوزة غلاظ شداد لا يعصون أوامر الحكام ويفعلون ما يؤمرون، ولذا تبدو أهمية أن يقوم وعاظ السلاطين بطمأنة هؤلاء السفاحين وتثبيت قلوبهم لتنفيذ كل ما يطلب منهم، إذ إن حفظ الأمن والنظام العام وتنفيذ ما يسند إليهم من مهام، ولو كان قصف الكعبة بالمنجنيق أو قتل الحسين، يصبح مجرد ذنب صغير ولا يتعاظم على الرب القدير أن يغفر كل ذنب كبير!!!.

نظرية الإرجاء السياسى أو نظرية الرحمة التى تعلو فوق العدالة هى نظرية (التعويض الإلهى للمتضررين) مقابل (العفو الإلهى عن المجرمين) والتعويض لن يكون من جيب الظالمين الذين سلبوا ونهبوا وقتلوا وعذبوا وزيفوا، ولكنه سيكون من ملك الله الذى لا يبلى؛ حيث ينعم المظلومون بالجنة الواسعة والنعيم المقيم، وينعم الظالمون المرحومون بجنة أقل شأنا ولكنها جنة على كل حال، وهى نظرية تقدم للبائسين حتى لا يفكروا فى الانتقام، فالأرض للظالمين والمتجبرين، أما فى الآخرة فرحمة الله واسعة.

القانون الإسلامى لا يقر بنظرية التعويضات هذه، وإنما يقرر قاعدة العقوبات المتكافئة فى كل الجرائم صغيرها وكبيرها حيث يقول سبحانه: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥) ﴾ [المائدة: ٤٥]. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]. وهو أيضًا ما يؤكد عليه الإمام على بن أبى طالب فى كلامه (وسينتقمُ اللهُ ممّن ظلم، مأكلاً بمأكل، ومشربًا بمشرب، من مطاعم العلقم، ومشارب الصَّبر والمَقر، ولباس شعار الخوف، ودثار السَّيف).

الاعتقاد بالعدل الإلهى فضلاً عن أنه يؤكد على تحمل كل إنسان لمسئوليته الكاملة أمام الله، سواء فى صورة فردية أو جماعية تضامنية، يطرح أيضًا أمام الفرد والمجتمع أهمية النظر فى العواقب الحتمية للأعمال الآتية يومًا ما، شاء الإنسان أم أبى، ومهما طال الزمان، لأنه سبحانه هو إله الأرض والمدبر لأمرها والحاكم بين أهلها فيما كانوا فيه يختلفون، فى إشارة واضحة لأولئك الفراعنة الصغار والكبار ممن أغرتهم القوة والجبروت بالقول علنًا أو سرًا ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤)﴾ [الزخرف: ٨٤] ومن هنا فالعدالة الإلهية توجب أن يكون الجزاء من جنس العمل.

الرؤية الشيعية للعدل الإلهى تلخصها كلمات أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام:

> ألا وإنّ الظُّلم ثلاثةٌ: فظُلمٌ لا يُغفرُ، وظُلمٌ لا يُترك، وظُلمٌ مغفورٌ لا يُطلبُ: فأمّا الظُّلمُ الّذى لا يُغفرُ فالشِّركُ بالله، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء: ١١٦]. وأمّا الظُّلمُ الّذى يُغفرُ فظُلمُ العبد نفسَهُ عند بعض الهنات. وأمّا الظُّلمُ الّذى لا يُتركُ فظُلمُ العباد بعضُهم بعضًا. القصاص هُناك شَديدٌ، ليس هُو جرحًا بالمُدى ولا ضربًا بالسِّيَاطِ ولكنّهُ ما يُستصغرُ ذلك معهُ.

الإيمان بالعدل الإلهى يمثل قناعة إيمانية سياسية أخلاقية راسخة، تتكامل مع ما قدمه أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم من تضحيات، وما تحملوه من أذى مادى ومعنوى وحروب للتشهير وحملات للسخرية، ومقابر جماعية لم تتوقف لحظة منذ فجر تاريخنا الإسلامى، ومن ثم فهم يوقنون بصدق الوعد الإلهى للمستضعفين المظلومين بالنصر والتمكين، وهو ما يبدو واضحًا فى أمرين:

الأول: هو عقيدتهم الراسخة فى انتظار المهدى المنتظر الذى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلمًا وجورًا؛ حيث يمثل ظهوره علامة فارقة فى مسار التاريخ والصراع الذى عاشوه وضحوا من أجله بالغالى والرخيص.

لن يكون ظهور المهدى حدثًا فجائيًا كمطر الصيف، بل هو تطور فى سياق يعرفه الذين يكابدون مشقة حمل الحق، وعبء تعريف الناس بهذا الحق الثقيل.

أما الحدث الثانى الذى يرتبط بإيمان الشيعة بالعدل الإلهى، فهو إيمانهم بالرجعة، وهو أنّ الله تعالى يُعيد قومًا من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة فى صورهم التى كانوا عليها، فيعزّ فريقًا ويذلُّ فريقًا آخر، ويديل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدى آل محمد (عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام) الذى يملأ الأرض قسطًا وعدلاً بعد أن مُلئت جوراً وظلمًا، ولذلك تعدُّ الرجعة مظهراً يتجلى فيه مقتضى العدل الإلهى بعقاب المجرمين على الأرض نفسها التى ملئوها ظلمًا وعدوانًا، ولا يرجع إلاّ من علت درجته فى الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب.

الرجعة حشر خاص مقابل الحشر العام الشامل الذى يكون يوم البعث والدليل عليه فى كتاب الله ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ (٨٥)﴾ [النمل: ٨٣ ـ ٨٥].

وهى أيضًا فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)﴾ [البقرة: ٢٤٣].

الرجعة والغلو

الرجعة هى من الأمور التى لا يمكن لعقل مسلم يؤمن بالثواب والعقاب والبعث والنشور أن ينكرها أو يحكم باستحالتها حتى ولو لم يؤمن الإنسان بها، كما أن هذا التصور الذى يتكامل مع الإيمان بالعدل الإلهى، هو مما يبعث الأمل فى نفوس المؤمنين ويحفزهم على الصبر والصمود، ويعينهم على تحمل الشدائد مهما بلغت الصعوبات.

الرجعة ليست ركنًا أساسيًا من أركان المعتقد الإمامى لئلا يقال إن الشيعة يرون فيمن لا يؤمن بالرجعة خارجًا عن المذهب، أو خارجًا عن الدين، فأركان التصور الإمامى خمسة هى (التوحيد والنبوة والإمامة والبعث والاعتقاد فى العدل الإلهى).

أصول الفقه عند الإمامية

يقول السيد أمير القزوينى[1] موضحًا قواعد الفقه عند الإمامية :

قواعد الأصول النظرية العملية أربعة، وهى : الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل.

فهم أولاً يأخذون بنصوص القرآن ومحكماته ويرجعون فى فهم ناسخه ومنسوخه وما تشابه منه إلى ما جاء عن أهل البيت النبوى ويحكمون بالتوقف [الرجوع] فيما لا نص فيه فى حكمه إلى العقل.

والسنة هى مجموع ما ورد عن أهل بيته والعدول الأمناء من أصحابه من الأحاديث والأخبار من قول أو فعل أو تقرير.

أما الإجماع فيعتبر فى حجيته عندهم ما كان كاشفًا عن قول المعصوم أو كان المعصوم داخلاً فى جملة المجمعين، بأن يكون دالاً عليه بالتضمين، سواء أكانوا كثيرين أم قليلين، فالعبرة به لا بكثرتهم، وما عدا ذلك من الإجماع فلا يعتد به مهما كان نوعه لجواز الخطأ على غير المعصوم، وإن كثروا فلا يصاب بهم الواقع كما مر.

أما دليل العقل، فهو كما يعرفه السيد القزوينى[2] بأنه :

القواعد الأصولية اللفظية، كالعام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمبين ونحوها، والقسم الثانى يبحث فى أدلة العقل المتبعة فى الاستنتاج والعمل، وهى أصول أربعة (البراءة، والاستصحاب، والاشتغال، و«التخيير والتعادل والترجيح») .

الشيخ أبو زهرة

أما الشيخ محمد أبو زهرة فيطرح أصول الفقه عند الإمامية قائلا[3] :

تعتمد أصول الفقه عند إخواننا الإمامية على الكتاب والسنة والعقل والإجماع؛ حيث ينقل عن الشيخ محمد آل كاشف الغطاء فى كتابه «*أصل الشيعة وأصولها*» ما نصه :

(١) الشيعة فى عقائدهم وأحكامهم ص ٨٦.
(٢) المرجع نفسه ص ٧٨.
(٣) الإمام الصادق ص ٢٢٥ ـ ٢٨٥.

المسلمون متفقون على أن أدلة الأحكام الشرعية منحصرة فى الكتاب والسنة، ثم العقل والإجماع، ولا فارق فى هذا بين الإمامية وغيرهم، نعم اختلف الإمامية عن غيرهم فى أمور منها أنهم لا يعملون بالقياس، وقد تواتر عن أئمتهم أن الشريعة إذا قيست محق الدين، والكشف عن فساد القياس لا يتسع له المقام، ومنها أنهم لا يعتبرون من الأحاديث النبوية إلا ما صح منها من طريق أهل البيت عن جدهم رسول الله، ومنها أن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحًا بخلاف جمهور المسلمين.

ويستفاد من هذا النص أمران، الأول اعتمادهم على العقل إذا لم يكن هناك نص، والثانى نفى القياس.

دليل القرآن

وما زال الكلام للشيخ أبو زهرة[1] . . .

القرآن بإجماع المسلمين هو حجة الإسلام الأولى، وهو مصدر المصادر له، وهو شريعته، وقد حفظه الله تعالى إلى يوم الدين كما قال سبحانه ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ⑨﴾ [الحجر: ٩] وإخواننا الإمامية على اختلاف منازعهم يرونه كما يراه كل مؤمن، ولقد جاء فى الأخبار عن الصادق أن القرآن فيه بيان كل شىء (عن المعلى بن خنيس قال أبو عبد الله: ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل فى كتاب الله ولكن لا تبلغه عقول الرجال) وهذا الكلام يشير إلى معنيين:

الأول أن يكون القرآن شاملاً لكل الأحكام الكلية، وأن السنة لا تأتى بجديد، وأنها لا تقبل إلا بعد أن تعرض على الكتاب، فما وجد له أصل فى كتاب الله قبل، وما لم يوجد له أصل لم يقبل. وقد روى فى الكافى عن أبى عبد الله قال: قال رسول الله «**إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورًا، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه**». وننتهى من كل هذا إلى أن القرآن أصل لكل شىء، والسنة مبينة له فى نظر الإمام الصادق ومن اتبعوه.

(١) الإمام الصادق.

والمعنى الثانى: أن القرآن كلىّ الشريعة، وأنه ما من أصل كلى إلا اشتمل عليه، وأن المرجع إليه أولاً وإلى السنة ثانيًا، وأن السنة حجة قائمة ولكن استمدت قوة الاحتجاج منه.

السنة

وما زال النقل عن الشيخ أبو زهرة...

يروى الأصوليون ضرورة الاجتهاد والبناء على ما أثر عن الأئمة، وقرروا أنه لا يقبل خبر قبولاً قاطعًا عن الله تعالى إلا إذا كان طريقه كتاب الله تعالى أو سنة متواترة عن رسوله محمد ﷺ، أو خبر عن الأئمة المعصومين، أو أمر يرجع إلى الضرورات التى لا تختلف فيها العقول. والتكذيب للرسول والقرآن كفر، والتكذيب لأخبار الأئمة المعصومين فسق يفقد به الشخص الإيمان ولا يفقد الإسلام.

والسنة المتواترة حجة عندهم بلا خلاف فى حجيتها، والتواتر عندهم يوجب العلم القطعى ولا يثبت الظن فقط، والتواتر عندهم قسمان: قسم عن النبى ﷺ وتواتر عن الإمام المعصوم، لأن الإمام كلامه حجة مثل كلام الرسول ﷺ تمامًا وأنه يتحدث عن النبى وعن الله كما يتحدث الرسول، بيد أن الوحى لا ينزل عليه وإن كان ملهمًا فى كل ما يقول ومعصومًا فى كل ما يفعل، وهم يقرون التواتر عن الرسول كونهم يعتمدون فى أفضلية على بن أبى طالب بما يعتقدون من أن حديث غدير خم قد ثبت بالتواتر، فيكون حجة على الجميع فى أفضلية الإمام علىّ على سائر الناس.

العقل

يقول الشيخ أبو زهرة[1]:

ولحكم العقل دليل عند إخواننا الإمامية، فالعقل دليل حيث لا دليل من الكتاب والسنة ولا إجماع يعتمد عليه ويقف المجتهد عنده؛ لأن الإجماع يكون كاشفًا عن رأى الإمام بمقتضى نظرهم ومنهاجهم.

---

(١) الإمام الصادق ص ٣٨١.

الفصل السابع

بعض الاختلافات الفقهية فى الفروع بين الشيعة والسنة

الزواج المؤقت أو زواج المتعة

من بين القضايا الخلافية التى يثور الجدل حولها بين الحين والآخر، قضية الزواج المؤقت أو زواج المتعة، الذى يرفضه البعض ويحرمه. وقبل أن نسرد الأدلة على صحة هذا النوع من الزواج، نورد الأحكام المتعلقة به من كتب فقه أهل البيت.

يقول الشيخ محمد جواد مغنية[1] : أجمع فقهاء المذهب الجعفرى على أن الزواج الدائم والمنقطع يشتركان فى الأمور التالية:

١- لا بد أن تكون المرأة عاقلة راشدة خالية من جميع الموانع، فلا يجوز التمتع بالمتزوجة ولا بالمعتدة ولا بالمحرمة نسبًا وصهراً أو رضاعًا ولا بالمشركة، ولا بد أن يكون المسلم أيضًا خاليًا من الموانع.

٢- لا بد فى عقد النكاح المنقطع من العقد اللفظى الدال صراحة على الزواج، تمامًا كالزواج الدائم.

٣- الزواج المؤقت ينشر الحرمة تمامًا كالدائم، فلا يجمع بين الأختين متعة كما لا يجمع بينهما دائمًا.

٤- الولد من الزواج المنقطع كالولد من الدائم فى وجوب التوارث والإنفاق وبقية الحقوق المادية والمعنوية.

٥- المتمتع بها (فراش شرعى) والولد للفراش إجماعًا ونصًا.

٦- المهر فى المنقطع كالمهر فى الدائم من حيث تقديره قلة أو كثرة.

الفارق بين الزواج الدائم والمنقطع

١- لا بد فى العقد المنقطع من ذكر المدة المحددة.

٢- المهر ركن من أركان العقد، فلو أخل بذكره بطل العقد.

---

(١) فقه الإمام الصادق.

٣- عدة الزواج المنقطع حيضتان أو ٤٥ يومًا إن لم يكن هناك حمل، وإن كانت حاملاً فعدتها وضع الحمل.

٤- أما عن التوارث فى الزواج المؤقت، فلا يحدث توارث إلا عند الشرط لقول الصادق عليه السلام (إن اشترطا الميراث فهما عند شروطهما).

٥- يكره التمتع بالأبكار.

٦- للزوجة الدائمة حق المبيت ليلة واحدة من كل أربع ليال، ولا يجب شىء من ذلك للمنقطعة.

٧- تبين المنقطعة من زوجها بمجرد انتهاء المدة أو هبتها، ويجوز له أن يجدد العقد عليها دوامًا أو انقطاعًا وهى فى العدة منه ولا يجوز ذلك لغيره.

ويقول فقهاء المذهب الإمامى (إن حكم المنقطع والدائم واحد فى جميع ما سلف من الأحكام إلا ما خرج بالدليل).

ويروى الشيخ مغنية عن *وسائل الشيعة*:

> أن على بن يقطين سأل الإمام الرضا عن المتعة، فقال له: ما أنت وذاك، فقد أغناك الله عنها. وسأله آخر فقال هى حلال مباح مطلق لمن لم يغنه الله بالتزويج فليستعفف بالمتعة، فإن استغنى عنها بالتزويج فهى مباح له إذا غاب عنها، أى الزوجة.

والشاهد أننا قد نقلنا عن ذلك الفقيه المجدد الشيخ محمد جواد مغنية الذى طرح الكثير من القضايا الفقهية بلغة تخاطب العقل وتبتعد عن لهجة المعاندة والمهاترات المذهبية التى ألفها البعض. الزواج المؤقت هو ارتباط شرعى بين الذكر والأنثى، ولكنه لم يشرع ليكون قاعدة للأسرة المسلمة والمجتمع، بل شرع لتلبية الرغبات المشروعة التى تخرج عن الأوضاع المستقرة للحياة الاجتماعية والتى لا يضمن أحد بقاءها أو استمرارها، إذ قد ينتهى الزواج الطبيعى لأسباب طارئة، مثل وفاة أحد الزوجين أو الطلاق أو السفر الطويل أو تأخر الزواج العادى عن وقته الطبيعى، ولذا فإن الشارع الحكيم أبقى أبواب الحلال مفتوحة مباحة من دون أن يحمل الطرفان الأعباء الكاملة لتأسيس أسرة دائمة قد يكون عبء تأسيسها مانعًا من إنشاء تلك العلاقة المشروعة، مثل السكن أو النفقة، أو التوارث عند موت أحد الزوجين، أو الإقامة المؤقتة فى أحد البلدان.

أما ما يدعيه البعض من أن الهدف الوحيد للزواج هو الإنجاب فهو مكابرة، وهو يغض الطرف عن وجود تلك الرغبة الطبيعية لدى الإنسان.

أما عن أدلة مشروعية هذا الزواج من الكتاب والسنة فكثيرة ومتنوعة، فالقرآن الكريم قد تحدث عن ثلاثة أنواع من الزيجات:

النوع الأول هو الزواج الدائم من المرأة الحرة حيث يقول ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣) وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا (٤)﴾ [النساء: ٣ ـ ٤] حيث لم يتحدث القرآن عن أي شروط إضافية.

النوع الثاني هو الزواج المؤقت أيضًا من المرأة الحرة: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)﴾ [النساء: ٢٤].

ولذا فقد تحدث القرآن عن الصداق بصورة الفريضة، والفريضة هي قدر معين من المال إلى أجل مسمى، ثم أباح التراضي على مد المدة (من بعد الفريضة) أو أن يهب الزوج إلى الزوجة المؤقتة ما تبقى من المدة. وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازي[(١)] عن عمران بن حصين قال: أنزل الله في المتعة آية وما نسخها بآية أخرى وأمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالمتعة وما نهانا عنها، ثم قال رجل برأيه ما شاء.

أما النوع الثالث فهو الزواج من الأمة: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥)﴾ [النساء: ٢٥].

---

(١) مفاتيح الغيب جـ٣.

أما الأدلة من السنة فكثيرة:

أخرج البخارى عن عمران بن حصين قال نزلت آية المتعة فى كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها ﷺ حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء. قال الرازى[1] يريد بقوله (قال رجل برأيه ما شاء) عمر بن الخطاب.

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده من طريق عمران القصير عن أبى رجاء عن عمران الحصين قال: نزلت آية المتعة فى كتاب الله تبارك وتعالى وعملنا بها مع رسول الله ﷺ، فلم تنزل آية تنسخها ولم ينه عنها النبى حتى مات صلى الله عليه وآله.

أخرج البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فقلنا ألا نستخصى؟ فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب ثم قرأ علينا ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**(٨٧)﴾ [المائدة: ٨٧].

جاء فى صحيح الترمذى أن رجلاً من أهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء فقال هى حلال، فقال إن أباك قد نهى عنها، فقال ابن عمر: أرأيت إن كان أبى نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ أنترك السنة ونتبع قول أبى؟

أخرج مسلم فى باب نكاح المتعة عن عطاء، قال قدم جابر بن عبد الله معتمراً فجئناه فى منزله، فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة، فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر... إلخ.

وأخرج مسلم أيضًا عن أبى نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا فى المتعتين، فقال جابر فعلناهما مع رسول الله ﷺ ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما.

نقل ابن رشد الأندلسى[2] ما يلى: روى عن ابن عباس أنه قال ما كانت المتعة إلا رحمة من الله رحم بها أمة محمد ﷺ، ولولا نهى عمر عنها ما اضطر إلى الزنا إلا شقى.

أما عن الروايات التى تفيد بالمنع من هذا النكاح فهى روايات متضاربة، فتارة يقولون نهى رسول الله عنها يوم خيبر، وتارة يوم أوطاس، وتارة يوم فتح مكة.

---

(١) مفاتيح الغيب.
(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد جـ ٢ ص ٤٧.

ولاية المرأة على نفسها

انفرد الإمامية والأحناف دون بقية أصحاب المذاهب بجواز ولاية المرأة البالغة الرشيدة على نفسها، بكرًا كانت أم ثيبًا، بينما تمسك الآخرون برواية ضعيفة هى «أيما امرأة أنكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل» وهم يمدون ولاية الأهل من الذكور على المرأة الثيب، ومن الغريب ألا تتمكن الأرملة التى تزوج أبناءها وبناتها من تزويج نفسها وأن تصادر حقها رواية ضعيفة مناقضة لقول الله تبارك وتعالى **﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)﴾** [البقرة: ٢٣٢].

ويقول الشيخ محمد جواد مغنية[1] (إن الولاية على خلاف الأصل، فإن لكل إنسان بالغ عاقل راشد أن يستقل فى التصرف بجميع شئونه ولا يحق لأحد أن يعارض حقًا خاصًا أو عامًا، والمفروض أن البنت تتصرف فى شأنها الخاص لا فى شأن غيرها، وأنها كاملة الأهلية من جميع الجهات).

الإمامية والإشهاد على الطلاق

هذه إحدى القضايا التى انفرد فيها الإمامية باتباعهم لظاهر النص القرآنى فى حين خالف الباقون من دون بينة ولا دليل؛ حيث ذكر الشيخ سيد سابق[2] رحمه الله ما يلى:

ذهب جمهور الفقهاء من السلف والخلف إلى أن الطلاق يقع بدون إشهاد؛ لأن الطلاق من حقوق الرجل ولا يحتاج إلى بينة كى يباشر حقه، ولم يرد عن النبى ولا عن الصحابة ما يدل على مشروعية الإشهاد، وخالف فى ذلك فقهاء الشيعة الإمامية فقالوا إن الإشهاد شرط فى صحة الطلاق، واستدلوا بقوله سبحانه فى سورة الطلاق **﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ**

(١) فقه الإمام الصادق جـ ٥ ص ٢٢٩.
(٢) فقه السنة جـ ٢ ص ٢٢٠.

مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾[الطلاق: ٢ - ٣]. ثم نقل عن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال لمن سأله عن طلاق (أشهدت رجلين عدلين كما أمر الله؟؟ قال لا، قال اذهب فليس طلاقك بطلاق). وعن الإمام أبى جعفر الباقر عليه رضوان الله قال: الطلاق الذى أمر الله عز وجل به فى كتابه والذى سن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخلى الرجل عن المرأة إذا حاضت وطهرت من محيضها، وأشهد رجلين عدلين على تطليقه وهى طاهر من غير جماع، وهو أحق برجعتها ما لم تنقض ثلاثة قروء، وكل طلاق ما خلا هذا فهو باطل ليس بطلاق. وقال جعفر الصادق رضى الله عنه «من طلق بغير شهود فليس بشىء». قال السيد المرتضى فى كتاب *«الانتصار»* حجة الإمامية فى القول بأن شهادة عدلين شرط فى وقوع الطلاق ومتى فقد لم يقع الطلاق لقوله تعالى ... وأشهدوا.. فأمر تعالى بالإشهاد وظاهر الأمر فى عرف الشرع يقتضى الوجوب[1].

والواقع أن هذه المسألة وغيرها من المسائل تثبت أن أهل البيت بحق هم عدل القرآن وأن التخلى عن فقههم يقود فى كثير من الأحيان إلى الوقوع فى المهالك، إذ يكفى أن نلاحظ أن الله تبارك وتعالى أنزل سورة تتلى أسماها بسورة الطلاق ولم ينزل سورة اسمها سورة الزواج، إذ إن عملية تفكيك الأسرة هى أخطر من عملية البناء لما فى ذلك من *فك لتشابك الخيوط والعلاقات وحفظ حقوق الزوجة والأبناء ومحاولة رأب* الصدع، ولا أدرى كيف استدل القوم على منح هذا الحق المطلق للرجل من دون مراجعة ولا إشراف من الضمير الاجتماعى الممثل بشاهدى عدل نص عليهما كتاب الله؟؟!!.

إرث البنات أو الإرث بالتعصيب

قبل فترة قريبة نشرت جريدة الحياة يوم الأحد ٣/ ٤/ ٢٠٠٥ خبراً عن السياسى العراقى السنى المخضرم عدنان الباجهجى كشف عن اعتناقه المذهب الجعفرى قبل سنتين «حفاظًا» على إرث بناته، مبرراً ذلك بالقول «هذا الموضوع لا يحرجنى وكثير من الشخصيات السنية يعتنق المذهب الجعفرى من أجل حل هذا الموضوع».

(١) الوسائل ص ٢٢٠، ٢٢١.

إذًا فالقناعة الضميرية السائدة لدى جمهور أهل السنة أن الإرث هو حق كامل للأبناء ذكوراً كانوا أم من الإناث، وهم يطبقون ما يعتقدون أنه الصواب.

الفقه الإمامى لا يقر بمبدأ التعصيب، والتعصيب هو إعطاء العصبات بعد أصحاب الفروض، سواء أكان الفرض بسبب الزوجية أو غيرها، والعصبات هم أقرب رجل ذكر لا يتوسط بينه وبين المتوفى أنثى، أى الأعمام وأبناء الأعمام، فلا يعد منهم الخال ولا ابن الأخ لأم استدلالاً بما رواه البخارى و مسلم «ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأقرب رجل ذكر» وبناء عليه يحدث ما هو مشهور من قصر إرث البنات مع عدم وجود أخ ذكر على الثلثين ودخول الأعمام وأبناء الأعمام فى الإرث.

استدل الإمامية على اعتبار قرابة الأنثى كقرابة الذكر بقول الله تعالى **﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾** [الأنفال: ٧٥]. كما أن الإمامية قد أنكروا نسبة رواية «**ألحقوا الفرائض**..» إلى رسول الله التى رواها طاووس عن ابن عباس وقد أنكرها ابن عباس كما روى عنه قاربة بن مضروب:

قال قلت: روى الناس عنك وعن طاووس أن ما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر، قال: من أهل العراق أنت؟ قلت نعم؟ قال أبلغ عنى أنى أقول قول الله عز وجل **﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾** [النساء: ١١]، وقوله تعالى **﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [الأنفال: ٧٥] هل أبقتا شيئًا؟ ما قلت هذا ولا طاووس قاله. فلقيت طاووسًا، فقال والله ما قلت هذا، والرواية لم ترد إلا عن طاووس[١].

كما أن الفقه الإمامى قد ساوى بين أبناء الظهور وأبناء البطون فى حق الإرث، أى بين بنات البنت وبنات الابن، بينما (لم يعتبر السنيون بنات البنت كبنات الابن ولا أبناء البنت كأبناء الابن، بل واعتبروا فروع الميت الذين تتوسط أنثى فى اتصال قرابتهم بالميت ليست فى مرتبة من لا تتوسط أنثى فى قرابتهم، وبعض الأئمة لم يعتبروها قرابة مورثة أصلاً، مثل مالك والشافعى، والبعض الآخر اعتبرها مورثة ولكن إذا لم يكن هناك أحد من قرابة الذكور كما هو عند الحنفية والحنابلة)[٢].

(١) الشيخ أبو زهرة الإمام الصادق ص ٩٥.
(٢) المرجع نفسه ص ٩٦.

ويقول الشيخ أبو زهرة[1] تحت عنوان (قرابة الأنثى كقرابة الرجل):

وقد تميز فقه الإمامية عن غيره أن البنت إذا انفردت تأخذ الميراث كله، كما أن الابن إذا انفرد يأخذ الميراث كله، بيد أن انفراد الابن جاء بسبب أنه يرث بمقتضى قرابته فقط والبنت ترث بمقتضى الفرض ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١] ثم ترث البنت أو البنات بمقتضى الرد بعد إعطاء أصحاب الفرائض من الطبقة الأولى مثل الزوجة والأب والأم عملاً بقوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٥].

كما أن الإرث لا ينتقل إلى الطبقة الثانية، أي الإخوة و الأخوات، أي عبر التعصيب أو ما يسميه القرآن بالكلالة مع وجود الأبناء سواء كانوا من الذكور أو من الإناث، والولد في سورة النساء هو الابن ذكراً كان أم أنثى لقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] بدليل قوله تعالى ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء: ١٢] والكلالة هي من لا ولد له ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾[النساء: ١٧٦] .

بعض أحكام الصوم فى مدرسة أهل البيت

يعتقد الإمامية بوجوب الفطر فى السفر عند استيفائه للشروط الشرعية، ومن ثم فهم يرون أن (الصوم فى السفر كالفطر فى الحضر).

الأدلة على ذلك:

ذكر الشيخ سيد سابق[2] عن أحمد وأبى داود والبيهقى بسند صحيح حديث معاذ، قال:

(١) الإمام الصادق.
(٢) فقه السنة جـ١.

إن الله فرض على النبى ﷺ الصيام فأنزل فى سورة البقرة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤] . . . فكان من شاء صام ومن شاء أطعم مسكينًا فأجزأ ذلك عنه، ثم إن الله تعالى أنزل الآية الأخرى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)﴾ [البقرة: ١٨٥]، فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ورخص فيه بالفطر للمريض والمسافر.

من هنا فالآيات الأول تتحدث عن مبدأ الصوم إجمالاً، سواء كان صوم رمضان أو غيره وأن الصيام خير للصائمين.

أما من أين جاء (فرض صيام رمضان على المقيم الصحيح)؟؟

إنه تفسير معاذ بن جبل للنص القرآنى لأن قوله تعالى ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، تعنى الحضور والاستقرار والإقامة.

كما روى الشيخ سيد سابق أيضًا عن رسول الله ﷺ «**إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحبلى والمرضع الصوم**» أى أن الحكم متعلق بمبدأ السفر ذاته لا بمبدأ المشقة الذى هو من توابع السفر، وإلا فما هى المشقة التى يتحملها المصلى فى سفره والتى تقتضى تخفيض الصلاة الرباعية لتصبح ثنائية؟؟.

كذلك هناك الرواية الأخرى التى أوردها مسلم والنسائى والترمذى عندما أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالفطر فى أحد أسفاره، فامتثل بعضهم للأمر بالإفطار وصام آخرون فقال أولئك العصاة.

ورواية نبوية أخرى جاء فيها «**ذهب المفطرون بالأجر**» أى أخذوا الأجر دونًا عن الصائمين.

وقد روى أيضًا أن رسول الله ﷺ قال **«ليس من البر الصيام فى السفر»** .

وقد أكد الإمام الصادق على هذا الحكم عندما سأله سائل عن الصيام فى السفر فقال : لا صيام فى السفر ، وقد صام أناس على عهد رسول الله فسماهم العصاة .

ثم تحدثت الآيات عن مبدأ التيسير كعلة لوضع الصوم عن المسافر **﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾** [البقرة : ١٨٥] ، فالتيسير هو جزء أصيل من أحكام الشريعة السمحة .

أما السفر الذى يوجب الفطر والقصر فى فقه أهل البيت ، فهو ما كانت مسافته ثمانية فراسخ امتدادية (٤٥ كيلومترًا) أو دائرية (ذهابًا وإيابًا) ، وألا يكون السفر لفعل المعاصى ، وأن لا يكون السفر مهنة المسافر ، ولا ينوى المسافر الإقامة عشرة أيام فما فوقها ، أى أن الفطر ليس قاصرًا على حال التلبس بالانتقال من بلد إلى بلد ، فقط بل يبقى وصف السفر ساريًا حتى يعود المسافر إلى بيته .

موعد الإفطار وصلاة المغرب عند الإمامية

يقول تبارك وتعالى **﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾**[البقرة : ١٨٧] .

ويروى مسلم بصيغ متعددة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **«إذا أقبل الليل من ههنا** ــ وأشار بيده نحو المشرق ــ **فقد أفطر الصائم»** ، وفى رواية **«إذا غابت الشمس من ههنا وجاء الليل من ههنا فقد أفطر الصائم»** .

يقول الشيخ محمد جواد مغنية عن وقت المغرب : قال الإمام الصادق عليه السلام : وقت المغرب إذا ذهبت الحمرة من المشرق ، وهى فترة تستغرق ١٢ دقيقة تقريبًا بعد غياب قرص الشمس عن النظر .

كما يقول أصحاب الفقه على المذاهب الأربعة والمذهب الإمامى (وعلى هذا تميز بين غروب الشمس ومغرب الشمس ، فمتى قلنا الكلمة الأولى قصدنا سقوط الشمس واستتارها ، ومتى قلنا الكلمة الثانية قصدنا ذهاب الحمرة المشرقية) .

الجمع بين الصلاتين

﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)﴾[الإسراء: ٧٨] .

يرى الإمامية جواز الجمع بين الصلاتين أى الظهر والعصر فى وقت الظهر والعصر، والمغرب والعشاء فى وقت المغرب والعشاء، ودليلهم على صحة هذا تلك الآثار المستفيضة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة أهل البيت عليهم السلام:

روى مسلم[1] بصيغ متعددة عن ابن عباس، صلى رسول الله الظهر والعصر، والمغرب والعشاء جميعًا فى غير خوف ولا سفر. قال فسألت ابن عباس عن ذلك قال: أراد رسول الله ألا يحرج أحدًا من أمته.

ولا شك أن المسلمين هم فى أمس الحاجة لأن يمارسوا العبادة بطريقة تحافظ على أوقاتهم بعيدًا عن سياسة تبديد الوقت من غير طائل، وليستفيدوا من نصيحة الإمام الصادق عليه السلام «ليتسع الوقت على أمته»!!.

السجود على التراب

من بين ما يؤخذ على الشيعة سجودهم على التربة الحسينية، ويمكننا تقسيم المسألة إلى قسمين:

القسم الأول: هو وجوب وضع الجبهة على التراب أو على الأرض حال السجود.

والقسم الثانى: هو استحباب أن يكون هذا التراب مأخوذًا من تربة كربلاء التى امتزجت بالدماء الطاهرة لسيد الشهداء أبى عبد الله الحسين.

فيما يتعلق بمطلق السجود على الأرض، فلم يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام بفرش مسجده بالسجاد أو بغيره مع قدرته على ذلك، حيث يروى لنا مسلم بسنده: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فى الرجل يسوى التراب حيث يسجد قال **«إن كنت فاعلاً فواحدة»**.

---

(١) صحيح مسلم باب الجمع بين الصلاتين فى الحضر.

لم يكن المسجد النبوى مفروشًا بالبسط، بل كان السجود على التراب مع القدرة المؤكدة على فرشه.

أما التربة الحسينية فهى آكد فى الطهارة والاحترام، وقد روى الحاكم النيسابورى عن أم سلمة رضى الله عنها أنّ رسول الله ﷺ اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر، ثم اضطجع فرقد ثم استيقظ وهو حائر دون ما رأيت به المرة الأولى، ثم اضطجع فاستيقظ وفى يده تربة حمراء يقبلها فقلت ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: **«أخبرنى جبريل عليه السلام أنّ هذا** [للحسين] **يقتل بأرض العراق، فقلت لجبريل أرنى تربة الأرض التى يقتل بها، فهذه تربتها. . .»**.

(ثم قال الحاكم): «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين (البخارى ومسلم) ولم يخرجاه»[1].

* * *

(١) المستدرك على الصحيحين جـ ٤ ص ٣٩٨.

الفصل الثامن

شبهات حول الشيعة

التقية

إنها إحدى التهم التى توجه إلى الشيعة باعتبارها خلقًا سيئًا ينبغى أن يتنزه المؤمن عنه.

التقية فى مذهب أهل البيت تعنى شيئًا واحدًا هو إخفاء الانتماء إلى المذهب ومداراة الناس، ولكنها لم تكن يومًا ما رخصة ممنوحة بالكذب أو ارتكاب المحارم.

التقية أن يدارى الشيعى مذهبه ويفعل كما يفعل الآخرون لئلا يتعرض للأذى، والتاريخ والواقع المعاصر يشهدان على كم الاضطهاد الذى تعرض له الشيعة بغير ذنب ارتكبوه سوى تشيعهم، وقد تحدثنا مطولاً عن هذه المحنة فيما سبق.

التقية هى سلوك اضطرارى استثنائى دفاعى مشروع، وقد أقر القرآن مبدأ الضرورات التى تبيح المحظورات حفظًا للنفس والمال والعرض، وتبقى أن الضرورات تقدر بقدرها وأن تلك الرخصة الممنوحة من عند الله لا يمكن لها أن تتسع لتشمل الغش والكذب والنفاق، كما أن هذه الرخصة تلغى بمجرد زوال الحال الموجبة لها، أى عندما ينتقل المسلمون انتقالاً حقيقيًا من عالم القمع والهمجية ومصادرة الفكر والمعتقد، إلى عالم التحضر والرقى واحترام حرية الإنسان فيما يعتقده، ولذا وبدلاً من أن يُعير الشيعة بسبب اضطرارهم للجوء للتقية، ينبغى أن يُعير من يحرم الإنسان من حقه فى اتباع مذهب أهل بيت النبوة، ومن لا يصدقنا فليقرأ تاريخنا فى هذا المجال.

الأدلة على جواز اللجوء إلى التقية

﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨) قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)﴾ [آل عمران: ٢٨ ـ ٢٩].

﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩)﴾ [الأنعام: ١١٩] .

﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥)﴾ [الأنعام: ١٤٥] .

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] .

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦)﴾ [النحل: ١٠٦] .

مصحف فاطمة

عن أبى عبيدة قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن مصحف فاطمة عليها السلام، قال فسكت طويلاً ثم قال: إنكم لتبحثون عما تريدون وعما لا تريدون. إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يومًا وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وأن جبرائيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها فى ذريتها وكان على عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام[1] .

المصحف اسم لكل ما أصحف، أى جمع فى صورة أوراق وصحف، وليس اسمًا للقرآن، فالقرآن هو كلام الله، وهو كتاب الله **﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾** [فصلت: ٤٢]. الذى كان موجودًا فى صدور الرجال قبل أن يجمع فى مصحف وفقًا للرواية الشهيرة عن جمع القرآن فى (مصحف عثمان).

والشىء الذى يوقن به كل إمامى يقينًا جازمًا ، أن ليس هناك قرآن غير كتاب الله عز وجل الموجود عند كل مسلم.

(١) أبو جعفر الكلينى الكافى جـ١ .

الاتهامات لا تقف عند حد، فتارة يقولون إن الشيعة لديهم قرآن آخر هو مصحف فاطمة، وتارة أخرى يقولون إن الشيعة يقولون إن القرآن الموجود بين أيدى الناس هو قرآن محرف، فأين الحقيقة من هذا؟؟.

نكتفى بأن ننقل للقارئ الكريم شهادة مجموعة من العلماء من الفريقين عن هذه المسألة:

١ ـ الشيخ محمد المدنى عميد كلية الشريعة فى جامعة الأزهر: أما أنّ الإمامية يعتقدون نقص القرآن فمعاذ الله، وإنّما هى روايات رويت فى كتبهم كما روى مثلها فى كتبنا، وأهل التحقيق من الفريقين، قد بينوا بطلانها، وليس فى الشيعة الإمامية أو الزيدية من يعتقد ذلك، كما أنّه ليس فى السنة من يعتقده، ويستطيع من شاء أن يرجع إلى أحد علماء السنة كالسيوطى[١] ليرى أمثال هذه الروايات التى نضرب عنها صفحًا، فكيف يقال إنّ أهل السنة ينكرون قداسة القرآن أو يعتقدون نقص القرآن لرواية رواها فلان أو لكتاب ألّفه فلان؟.

٢ ـ الشيخ محمد الغزالى[٢]: لا يعرف التاريخ إلا قرآنًا واحدًا منشور النسخ بين جماهير المسلمين من ليلة القدر الأولى إلى يوم الناس هذا، ولم يحدث خلاف على هذه الحقيقة خلال أربعة عشر قرنًا مضت، فكتاب المسلمين واحد، وقد حاول بعض المستشرقين الصغار أن يختلق ريبة حول ذلك فزعم أن عند الشيعة مصحفًا آخر، وهو زعم ساقط كان أقل من أن نبثه هنا، ولكنا ترخصنا فى ذكره ليعلم من يجهل أن القرآن الذى يحفظه جميع المسلمين ويحتفظون بنسخه فى بيوتهم واحد، ولم يؤثر عن شيعى أو سنى أو خارجى أو صوفى أن لديه قرآنًا آخر غير هذا الكتاب الفذ. . إن المصحف يطبع فى القاهرة فيقتنيه مسلمو الهند وإيران من دون تردد، عالمين بأن هذا هو الوحى الذى نزل على نبيهم.

***

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن.
(٢) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ٢١.

التهمة الجاهزة لتكفير الشيعة هى سب الصحابة وهى من وجهة نظر القوم جريمة مخرجة من الملة باعتبار أن الصحابة هم الإسلام والإسلام هو الصحابة ومن ثم فالشيعة هم من الزنادقة أعداء الدين وممن يحقدون حقداً حقيقيّا على الإسلام وأهله لأن الصحابة هم من نقل لنا أحاديث رسول الله!!

السؤال الأول: من هم الصحابة؟ هل هناك تعريف محدد لهذا المصطلح ومن ثم لهذا الجرم المنسوب لشيعة أهل البيت؟!

يقول ابن الأثير[1] تحت عنوان من يطلق عليه اسم الصحبة.

قال الإمام أبو بكر أحمد بن على الحافظ بإسناده عن سعيد بن المسيب أنه قال: الصحابة لا نعدهم إلا من أقام مع رسول الله ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين.

وقال الواقدى: ورأينا أهل العلم يقولون: كل من رأى رسول الله ﷺ وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه، فهو عندنا ممن صحب رسول الله - ﷺ - ولو ساعة من نهار، ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم فى الإسلام.

وقال أحمد بن حنبل: أصحاب رسول الله - ﷺ - كل من صحبه شهراً أو يومًا أو ساعة أو رآه. وقال محمد بن إسماعيل البخارى: من صحب رسول الله ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.

وقال القاضى أبو بكر محمد بن الطيب: لا خلاف بين أهل اللغة فى أن الصحابى مشتق من الصحبة وأنه ليس مشتقًا على قدر مخصوص منها؛ بل هو جار على كل من صحب قليلاً كان أو كثيراً، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال ولذلك يقال: صحبت فلانًا حولاً وشهراً ويومًا وساعة، فيوقع اسم الصحبة لقليل ما يقع عليه منها وكثيرة، قال: ومع هذا فقد تقرر للأمة عرف، أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت صحبته، ولا يجيزون ذلك إلا فيمن كثرت صحبته، لا على من لقيه ساعة أو مشى معه خطًا، أو سمع منه حديثًا؛ فوجب لذلك أن لا يجرى هذا الاسم إلا على من

---

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة.

هذه حاله، ومع هذا فإن خبر الثقة الأمين عنه مقبول ومعمول به، وإن لم تطل صحبته ولا سمع منه إلا حديثًا واحدًا، ولو رد قوله أنه صحابى لرد خبره عن الرسول.

وقال الإمام أبو حامد الغزالى: لا يطلق اسم الصحبة إلا على من صحبه، ثم يكفى فى الاسم من حيث الوضع الصحبة ولو ساعة، ولكن العرف يخصصه بمن كثرت صحبته.

قلت: وأصحاب رسول الله ﷺ ـ على ما شرطوه كثيرون، فإن رسول الله شهد حنينًا ومعه اثنا عشر ألفًا سوى الأتباع والنساء، وجاء إليه هوازن مسلمين فاستنفذوا حريمهم وأولادهم، وترك مكة مملوءة ناسًا، وكذلك المدينة أيضًا، وكل من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين؛ فهؤلاء كلهم له صحبة، وقد شهد معه تبوك من الخلق الكثير ما لا يحصيهم ديوان وكذلك حجة الوداع وكلهم له صحبة، ولم يذكروا إلا هذا القدر، مع أن كثيراً منهم ليست له صحبة، وقد ذكر الشخص الواحد فى عدة تراجم ولكنهم معذورون، فإن من لم يرو ولا يأتى ذكره فى رواية كيف السبيل إلى معرفته!.

أما ابن عبد البر الأندلسى(١) فيذكر ما نصه: ولم أقتصر فى هذا الكتاب على ذكر من صحت صحبته ومجالسته حتى ذكرنا من لقى النبى ﷺ ولو لقية واحدة مؤمنًا به أو رآه رؤية أو سمع منه لفظة فأداها عنه واتصل ذلك بنا على حسب روايتنا، وكذلك ذكرنا من ولد على عهده من أبوين مسلمين فدعا له أو نظر إليه وبارك عليه ونحو هذا، ومن كان مؤمنًا به وقد أدى الصدقة إليه ولم يرد عليه، وبهذا كله يستكمل القرن الذى أشار عليه رسول الله ﷺ على ما قاله عبد الله عن أبى أوفى صاحب رسول الله ﷺ، وقد ذكرنا أنساب القبائل من الرواة من قريش والأنصار وسائر العرب فى «كتاب الإنباه على قبائل الرواه» وجعلناه مدخل هذا الكتاب ليغنينا عن الرفع فى الأنساب ويعيننا على ما شرطناه من الاختصار والتقريب وبالله العون لا شريك له. انتهى. يكشف هذا النقل عن مشاعية كلمة الصحابة وأن هذه الكلمة تطلق على آلاف من البشر ممن عاشوا فى تلك الحقبة التاريخية من دون تحقيق ولا تمحيص لسيرتهم الذاتية أو الجهادية، ومن دون أن يكلف أحد ممن يقومون بتكفير الشيعة لأنهم (يسبون الصحابة) نفسه بتحقيق تهمة السب المشار إليها، ناهيك عن الخلط الشنيع بين رواية التاريخ، كما هو بغض

(١) الاستيعاب فى أسماء الأصحاب.

النظر عما إذا كانت الرواية ترضى مزاج السامعين أو لا يسرهم سماعها، وبين تهمة السب والقذف.

أى منطق يبيح توجيه تهمة السب للكاتب أو المؤرخ الذى يتناول حقائق التاريخ بالسرد أو التعليق ولا يقوم بتوجيه التهمة نفسها لمن رووا فى سيرهم وتواريخهم تلك الوقائع نفسها؟!.

من ناحية أخرى، فإن البعض يصر على المغالطة اللفظية عندما يستشهد بآيات القرآن الكريم على صحة منهجه القائل بعدالة الصحابة أجمعين، وأنهم خير القرون، إلى آخ ما هو معلوم.

خذ عندك آيات سورة الفتح التى يستدل بها القوم على عدالة الصحابة أجمعين، وما ترى فيها سوى مدحًا مشروطًا بالوفاء بالعهد الذى قطعه القوم على أنفسهم **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)﴾** [الفتح: ١٠]. وكقوله تعالى: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨)﴾** [الفتح: ١٨]. ولو قال سبحانه لقد رضى الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة لكان المدح عموميًا لكل من بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة رغم أنه لا يوجد إحصاء رسمى أو سجل حوى أسماء هؤلاء والمهم أن المدح كان مقصورًا على (المؤمنين) الذين بايعوا رسول الله فى هذا الموضع وعلى الذين صدقوا ما عاهدوا الله ورسوله عليه وعاشوا وماتوا وقد أوفوا بعهدهم ولم يغيروا ولم يبدلوا.

وهكذا فالذين وردت أسماؤهم فى كتب التاريخ أو كتب الحديث وشهد لهم القوم بالعدالة وهم (من لقى النبى ﷺ ولو مرة واحدة مؤمنًا به أو رآه رؤية أو سمع منه لفظة فأداها عنه واتصل ذلك بنا على حسب روايتنا وكذلك ذكرنا من ولد على عهده من أبوين مسلمين فدعا له أو نظر إليه وبارك عليه) أى أن هؤلاء المؤرخين والمحدثين قد اكتفوا بتدوين سيرة كل من أمكن تسجيل اسمه ممن انطبق عليه ذلك الشرط الفضفاض من دون أن يجرى التطرق إلى حالة من الإيمان أو الفسق أو الصدق، وبالتالى فلا

أدري كيف يحكم عقل أو يقبل عاقل باعتبار كل هؤلاء من العدول أو يرى في سرد تاريخهم بلسان الأمانة والصدق سبًا للصحابة يخرج صاحبه من الدين والملة؟؟!!.

السب المزعوم إما أن يكون سبًا لفظيًا، هكذا من دون منطق ولامبرر وكأن الأمر كله كان معركة شخصية بين الشيعة وهؤلاء الصحابة، وهو أمر حتى وإن ثبت فهو لا يخرج فاعله من الملة، فها هو ابن تيمية يقول في مجموع فتاواه:

> ففي حديث الإفك أن أسيد بن حضير قال لسعد بن عبادة: إنك منافق تجادل عن المنافقين، واختصم الفريقان فأصلح النبي ﷺ بينهم. فهؤلاء البدريون فيهم من قال للآخر: إنك منافق ولم يكفر النبي ﷺ لا هذا ولاهذا بل شهد للجميع بالجنة، كما أن طائفة أخرى زعموا أن من سب الصحابة لا يقبل الله توبته وإن تاب، ورووا عن النبي ﷺ أنه قال «**سب الأصحاب، ذنب لا يغفر**» وهذا الحديث كذب على رسول الله ﷺ لم يروه أحد من أهل العلم ولا هو في شيء من كتبهم المعتدة، وهو مخالف للقرآن لأن الله تعالى قال ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ**﴾ [النساء: ٤٨]. هذا في حق من لم يتب. فإذا كان الرجل قد سب الصحابة أو غير الصحابة وتاب فإنه يحسن إليهم بالدعاء لهم والثناء عليهم بقدر ما أساء إليهم والحسنات يذهبن السيئات.

انتهى النقل عن ابن تيمية(١).

الاحتمال الآخر أن الأمر ليس سبًا ولا شتمًا، بل هو سرد لوقائع تاريخية، وأنه يمثل ضرورة عقلية وشرعية اقتضتها معرفة الرواة والتمييز بين الصادق والكاذب والمؤمن الحقيقي والمنافق عملاً بقوله تعالى ﴿**إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ**﴾ [الحجرات: ٦]. وهذا الفاسق ممن رأى النبي ﷺ شهوراً وسنوات وليس ساعة أو أقل.

ولذا فنحن سنكتفي بعرض معلومات تهم القارئ العزيز عن بعض من روى لهم البخاري (أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل كما يقولون) وبإيراد لمحات من تاريخهم من كتب لا تدين بالولاء لأهل البيت ولا تلتزم بالمذهب الشيعي وبدون تعليق منا

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى.

اعتماداً على فهم القارئ فقط ودون الحاجة إلى ذكائه؛ لأن الأمر لا يحتاج إلى ذكاء فى الإطلاق.

المغيرة بن شعبة:

روى البخارى فى (صحيحه):

حدثنا عمرون بن على، قال حدثنا عبد الوهاب، قال سمعت يحيى بن سعيد، قال أخبرنى سعد بن إبراهيم، أن نافع بن جبير بن مطعم، أخبره أنه، سمع عروة بن المغيرة ابن شعبة، يحدث عن المغيرة بن شعبة، أنه كان مع رسول الله ﷺ فى سفر، وأنه ذهب لحاجة له، وأن مغيرة جعل يصب الماء عليه، وهو يتوضأ، فغسل وجهه ويديه ومسح برأسه ومسح على الخفين.

حدثنا عمرون بن خالد الحرانى، قال حدثنا الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعد ابن إبراهيم، عن نافع بن جبير، عن عروة بن المغيرة، عن أبيه المغيرة بن شعبة، عن رسول الله ﷺ أنه خرج لحاجته فاتبعه المغيرة بإداوة فيها ماء، فصب عليه حين فرغ من حاجته، فتوضأ ومسح على الخفين.

حدثنا أبو نعيم، قال حدثنا زكريا، عن عامر، عن عروة بن المغيرة، عن أبيه، قال كنت مع النبى ﷺ فى سفر فأهويت لأنزع خفيه فقال «**دعهما فإنى أدخلتهما طاهرتين**». فمسح عليهما.

حدثنا إسحاق بن نصر، قال حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن المغيرة بن شعبة، قال وضأت النبى ﷺ فمسح على خفيه وصلى.

حدثنا محمد بن يوسف، قال حدثنا سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن ورّاد، كاتب المغيرة بن شعبة قال أملى علىّ المغيرة بن شعبة فى كتاب إلى معاوية أن النبى ﷺ كان يقول فى دبر كل صلاة مكتوبة «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**». وقال شُعبة عن عبد الملك، بهذا، عن الحكم، عن القاسم بن مخيمرة عن ورّاد، بهذا. وقال الحسن: الجد غنى.

إذًا فالمغيرة بن شعبة هو من علمنا (الطهارة)، وهو من نقل تلك الرواية التى تجيز المسح على ما يسمى بالخفين بدلاً من المسح على القدمين الوارد فى القرآن الكريم فى سورة المائدة ﴿وَامْسَحُوا بِرءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]. وهو أيضًا من علمنا ذكر الله على كل حال.

ذكر ابن الأثير[1] فى أحداث سنة ١٧ هـ قال: فى هذه السنة عزل عمر المغيرة بن شعبة عن البصرة واستعمل عليها أبا موسى وأمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة فى ربيع الأول. قال الواقدى وكان سبب عزله أنه كان بين أبى بكرة والمغيرة بن شعبة منافرة وكانا متجاورين بينهما طرى وكانا فى مشربتين فى كل واحدة منهما كوة مقابلة الأخرى، فاجتمع إلى أبى بكرة نفر يتحدثون فى مشربته، فهبت الريح ففتحت باب الكوة فقام أبو بكرة ليسده فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب كوة مشربته وهو بين رجلى امرأة فقال للنفر قوموا فانظروا. فقاموا فنظروا وهم أبو بكرة ونافع بن كلدة وزياد بن أبيه، وهو أخو أبى بكرة لأمه، وشبل بن معبد البجلى، فقال لهم: اشهدوا، قالوا: ومن هذه؟ قال: أم جميل بن الأفقم وكانت من بنى عامر بن صعصعة وكانت تغشى المغيرة والأمراء والأشراف وكان بعض النساء يفعلن ذلك فى زمانها، فلما قامت عرفوها.

فلما خرج المغيرة ليؤم الناس فى الصلاة، منعه أبو بكرة وكتب إلى عمر بذلك، فبعث عمر أبا موسى أميرًا على البصرة ورحل المغيرة ومعه أبو بكرة والشهود فقدموا على عمر فقال له المغيرة: سل هؤلاء الأعبد كيف رأونى أمستقبلهم أم مستدبرهم وكيف رأوا المرأة أو عرفوها؟ فإن كانوا مستقبلى فكيف لم أستتر أو مستدبرى فبأى شيء استحلوا النظر إلىَّ فى منزلى على امرأتى؟ والله ما أتيت إلا امرأتى! وكانت تشبهها. فشهد أبو بكرة أنه رآه على أم جميل يدخله ويخرجه كالميل فى المكحلة، وأنه رآهما مستدبرين، وشهد شبل ونافع مثل ذلك، وأما زياد فإنه قال: رأيته جالسًا بين رجلى امرأة فرأيت قدمين مخضوبتين تخفقان واستين مكشوفتين وسمعت حفزًا شديدًا. قال: هل رأيت كالميل فى المكحلة قال: لا. قال: هل تعرف المرأة قال: لا ولكن أشبهها. قال فتنح، وأمر بالثلاثة فجلدوا الحد، فقال المغيرة: اشفنى من الأعبد قال: اسكت أسكت الله نأمتك والله لو تمت لرجمتك بأحجارك!.

---

(١) الكامل فى التاريخ.

والمهم أن الرجل أفلت من العقاب (بسبب عدم كفاية الأدلة وبطلان إجراءات الضبط) وكلها أشياء لا تطعن فى عدالته ولا تشير من قريب أو من بعيد إلى انعدام مصداقيته فالصحابة من وجهة نظر القوم كلهم عدول!!.

والرواية ذكرها بقية المؤرخين مثل ابن كثير فى *البداية والنهاية* وابن الجوزى فى *المنتظم*.

الحالة الثانية من أحوال المغيرة

والرواية لابن جرير الطبرى[1]:

(لما ولى معاوية بن أبى سفيان المغيرة بن شعبة الكوفة فى جمادى سنة ٤١هـ دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وقد قال المتلمس:

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضينى ويسعد سلطانى ويصلح به رعيتى، ولست تاركًا إيصاءك بخصلة: لا تتحم عن شتم على بن أبى طالب وذمه والعيب على أصحاب علىّ والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم وإطراء شيعة عثمان والإدناء لهم والاستماع منهم).

(وأقام المغيرة بن شعبة عاملاً على الكوفة سبع سنين وأشهر، إلا أنه لا يدع ذم على بن أبى طالب والوقوع فيه، فكان حجر بن عدى إذا سمع ذلك قال بل إياكم فذم الله ولعن، ثم قام فقال إن الله عز وجل يقول ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥]. وأنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لأحق بالفضل وأن من تزكون وتطرون هو أولى بالذم، فيقول المغيرة: يا حجر ويحك، اتق السلطان اتق غضبه وسطوته، فإن غضب السلطان أحيانًا مما يهلك أمثالك كثيراً. ثم يكف عنه ويصفح، حتى كان فى آخر إمارته قام المغيرة فقال: فى علىّ وعثمان كما كان يقول، فقام حجر بن عدى فنعر نعرة

(١) تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص ٢٥٤.

بالمغيرة سمعها كل من كان فى المسجد وخارجًا منه، وقال: إنك لا تدرى بمن تولع من هرمك أيها الإنسان، مر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا، فإنك قد حبستها عنا وليس ذلك لك ولم يكن يطمع فى ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت مولعًا بذم أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين. فقام معه أكثر من ثلثى الناس يقولون صدق والله حجر وبر، مر لنا بأعطياتنا فإننا لا ننتفع بقولك ذا ولا يجدى علينا شيئًا وأكثروا فى مثل هذا القول ونحوه).

وبقى هذا الحال حتى مات المغيرة سنة إحدى وخمسين ولا نملك إلا أن نقول رضي الله عنه وإلا جرى اتهامنا بسبب الصحابة.

النموذج الثانى:

• سمرة بن جندب

روى البخارى:

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جرير، حدثنا أبو رجاء، عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال قال النبى ﷺ **«رأيت رجلين آتيين قالا الذى رأيته يشق شدقه فكذاب يكذب بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة»**.

حدثنى عبد الله بن أبى الأسود، حدثنا قريش بن أنس، عن حبيب بن الشهيد، قال أمرنى ابن سيرين أن أسأل الحسن، ممن سمع حديث العقيقة، فسألته فقال: من سمرة ابن جندب.

حدثنا مؤمل ـ هو ابن هشام ـ حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، وحدثنا عوف، حدثنا أبو رجاء، حدثنا سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول ﷺ لنا **«أتانى الليلة آتيان فابتعثانى، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء قال لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر. فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا فى أحسن صورة قالا لى هذه جنة عدن، وهذا منزلك قالا: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا تجاوز الله عنهم»**.

روى ابن جرير الطبرى[1] قال:

وولى زياد حين شخص من البصرة إلى الكوفة سمرة بن جندب، فحدثنى عمر قال حدثنى إسحاق بن إدريس قال حدثنى محمد بن سليم، قال سألت أنس بن سيرين: هل كان سمرة قتل أحدًا؟ قال وهل يحصى من قتل سمرة ابن جندب؟ استخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس، فقال: له هل تخاف أن تكون قد قتلت أحدًا بريئًا؟ قال لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت!!.

وروى الطبرى أيضًا: عن أبى سوار العدوى قال قتل سمرة من قومى فى غداة سبعة وأربعين رجلاً كلهم قد جمع القرآن!!.

وأقبل سمرة من المدينة فلما كان عند دور بنى أسد خرج رجل من بعض أزقتهم، ففجأ أوائل الخيل فحمل عليه رجل من القوم فضربه بالحربة. قال ثم مضت الخيل فأتى عليه سمرة بن جندب وهو متشحط فى دمه قال. ما هذا؟ قيل أصابته أوائل خيل الأمير، قال إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا!!.

وفى سنة ٥٣هـ مات زياد بن سمية وعلى البصرة سمرة بن جندب خليفة له وعلى الكوفة عبد الله بن خالد بن أسيد، فأقر معاوية سمرة على البصرة ثمانية عشر شهرًا ثم عزله، فقال سمرة رضي الله عنه لعن الله معاوية والله لو أطعت الله كما أطعت معاوية ما عذبنى أبدًا!!.

ويروى الطبرى أيضًا قال: حدثنى عمر قال حدثنى موسى بن إسماعيل قال حدثنى سليمان بن مسلم العجلى قال سمعت أبى يقول مررت بالمسجد فجاء رجل إلى سمرة، فأدى زكاة ماله ثم دخل فجعل يصلى فى المسجد فجاء رجل فضرب عنقه، فإذا رأسه فى المسجد وبدنه ناحية، فمر أبو بكرة فقال يقول الله سبحانه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٥]. وذكر اسم ربه فصلى. قال أبى فشهدت ذاك. فما مات سمرة حتى أخذه الزمهرير فمات شر ميتة. قال وشهدته وأتى بناس كثير وأناس بين يديه فيقول للرجل ما دينك فيقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله وأنى بريء من الحرورية، فيقدم فيضرب عنقه حتى مر بضعة وعشرون.

---

(١) تاريخ الرسل والملوك «تاريخ الطبرى».

تهمة سب أم المؤمنين «عائشة»

للشيعة موقف من أم المؤمنين عائشة، فهى من قادت جيش الفتنة فى حرب الجمل فى مواجهة إمام الحق علىّ بن أبى طالب.

إنه موقف لا نتبرأ منه ولا نداريه ولسنا بحاجة للتنصل منه!!.

من ناحية أخرى، فالادعاء بأن الشيعة يقذفون أم المؤمنين عائشة بالفاحشة والعياذ بالله هواتهام فاسد وافتراء على الله ولا دليل عليه على الإطلاق.

الأمر لا يحتاج إلى جهد لإثبات الطرف المخطئ والطرف المصيب فى هذه الأحداث، ويكفى أم المؤمنين علمها بوصايا رسول الله المتواترة بحب على بن أبى طالب وموالاته («**إن الله مولاى وأنا ولى كل مؤمن**»، ثم أخذ بيد على عليه السلام فقال: «**من كنت وليه فهذا وليه، الله وال من والاه وعاد من عاداه**») و(**من كنت مولاه فعلىّ مولاه**) رواه النسائى[1].

إنه تهديد وإنذار واضح من معاداته ودعوة واضحة لموالاته.

الحديث عن معركة الجمل له موضعه وهو ليس فى هذا المكان[2].

فقط نريد أن ننقل للقارئ صورة من الخطاب القرآنى الموجه لأم المؤمنين عائشة، ليعلم القوم أن القداسات والمقامات لا تبنى على أدلة وهمية ولا يمكن منحها من بشر لبشر مثلهم من دون بينة ولا دليل ولا برهان.

نحيل قارئنا العزيز على سورة التحريم وما فيها من خطاب إلهى موجه إلى عائشة وحفصة ﴿**إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)**﴾ [التحريم: ٤ ـ ٥].

واقرأ معى ما قاله الطبرى فى تفسيره لهذه الآية[3].

(١) الخصائص.
(٢) انظر: كتابنا: الجمل وفقه الطابور الخامس (قيد الطبع).
(٣) جامع البيان فى تفسير القرآن «تاريخ الطبرى».

القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤].
يقول تعالى ذكره: إن تتوبا إلى الله أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله ﷺ من تحريم ما كان له حلالاً مما حرمه على نفسه بسبب حفصة. وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنى محمد بن سعد، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى عمى، قال: حدثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] يقول: زاغت قلوبكما، يقول: قد أثمت قلوبكما.

تأخذنا هذه الآيات وتفسيرها إلى حقيقة أخرى بالغة الأهمية وهى أن تهديد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لبعض أزواجه بتطليقهن لم يكن بناء على مشورة من على بن أبى طالب كما يحلو للبعض أن يحكوا ويحدثوا، بل هو تهديد إلهى كان وراءه أسباب استوجبت تدوينها وتوثيقها فى كتاب الله العزيز الوثيقة الأولى للمسلمين. ويبقى السؤال: كيف يمكن أن يكون تدوين التاريخ وسرد وقائعه كما هى سبّا للصحابة أو لأزواج النبى يخرج صاحبه من الدين والملة؟

قتال وقتل على، مولى المؤمنين
وقتل الحسن والحسين أبناء الرسول
وقتل ذرية الحسن والحسين

ونسأل القارئ سؤالاً نظريّا وفقهيّا وأخلاقيّا:

أيهما الأسوأ.. لعن من ظلم أهل البيت عامداً متعمداً، أم قتال وقتل علىّ وأبناء الرسول ﷺ وأحفاده؟

* * *

الفصل التاسع

فرق الشيعة

فرق الشيعة

يقول أهل المنطق: إن الحكم على شيء فرع عن تصوره.

لذا يبدو غريبًا للغاية أن تسمع من يتحدث عن فرق الشيعة من دون أن يعرف ما هو التشيع.

أحد السدود الذى يمنع التعرف على المذهب الشيعى، أن غالبية أصحاب الريادة فى التعليم والإعلام فى العالم الإسلامى اليوم، من مذاهب مغايرة لمذهب أهل البيت، والكثير منهم يرى فيه حالة من الانحراف، ثم غاب عن بعضهم الإنصاف، وهم لن يجدوا أفضل من كتاب الشهرستانى ـ الذى كتب قبل أكثر من ثمانمائة عام ـ ليأخذوا ما قاله من دون تحقيق ولا تدقيق.

الكلام عن (فرق الشيعة)، بل وعن صراع الفرق والأفكار عامة لا يستقيم من دون قراءة التاريخ فضلاً عن قراءة الواقع، وكلها دراسات نراها نحن قاصرة عن تحقيق المراد منها فى ظل غلبة المنطق الدعائى على المنطق العلمى والأخلاقى.

لذا نرى من الضرورى أن نؤكد على مجموعة من الضوابط العلمية والأخلاقية يتعين الالتزام بها فى أى دراسة لظاهرة الفرق الدينية.

١ - دراسة الأفكار المطروحة من خلال أدلتها الأصلية التى يؤمن بها المنتمون للفرقة أو المذهب، وليست تلك الأدلة التى يراد فرضها عليهم (ابن سبأ نموذجًا).

٢- التعرف على المسار التاريخى لحركة هذه الأفكار وتفاعلها مع البشر والسياسة والمصالح.

٣- التعرف على أوجه التداخل الفكرى والفقهى بين أبناء المذاهب المختلفة (الشيخ سيد سابق نموذجًا فى دفاعه عن مبدأ الإشهاد على الطلاق).

٤- وأخيرًا ضرورة الابتعاد من استخدام المصطلحات التكفيرية (فرقة وحيدة ناجية ومن عداها فى النار) سواء فى دراسة المذاهب، أو حتى فى العلاقة بين الأديان السماوية.

الخريطة المذهبية للشيعة

نعتقد أن كلمة شيعة الآن يمكن إطلاقها على ثلاث فرق، هم الشيعة الإمامية والشيعة الزيدية والشيعة الإسماعيلية.

الشيعة الإمامية

عرضنا فيما سبق بعضًا من أهم المعالم الاعتقادية والفقهية للشيعة الإمامية، وهم يشكلون الآن الغالبية العظمى ممن يمكن وصفهم بالتشيع فى العالم.

الشيعة الإمامية لم يرتبط وجودهم يومًا ما بوجود دولة أو بالقيام بثورة كما هو الحال مع الزيدية والإسماعيلية، فهم يشكلون حالة مستقلة بذاتها، خاصة وهم لا يستندون فى مرجعيتهم الفقهية إلى أى نظام سياسى حتى ولو كان هذا النظام فى إيران الإسلامية ذات الأغلبية الشيعية الكاسحة، وإنما يستندون إلى مرجعية الفقيه المجتهد الجامع للشرائط أيًا كان موقعه.

يصعب إعطاء تقدير لعدد الشيعة الإمامية، ولكن أغلب المؤشرات تتحدث عن رقم يتجاوز الثلاثمائة مليون، يعيشون فى إيران والهند وپاكستان وأفغانستان والخليج العربى وسوريا ولبنان وجمهوريات آسيا الوسطى، وهم الآن موجودون فى أنحاء من إفريقيا شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، ناهيك عن أووربا، وقليل فى إندونيسيا، وأقل فى ماليزيا.

الشيعة الزيدية

الزيديون هم العلويون من أبناء ومؤيدى زيد بن الإمام الحسن بن على بن أبى طالب عليهم السلام، أحد أبطال الحرية وشهدائها فى الإسلام، وأحد الذين

لم يصبروا على ظلم وجور الحاكمين المتسلطين على الأمة ومن سياساتهم المنحرفة واستبدادهم، لذلك عمد إلى الثورة المسلحة إيقاظًا للأحرار وإنذاراً للظالمين. وإلى جانب أبنائه من ذريته، كذلك له أتباعه ومريديه من شيعته وممن ناصروه وناصروا أبناءه من بعده.

قامت الدولة الزيدية فى اليمن على يد الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن القاسم الرسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن على بن أبى طالب... وهو الإمام الأول فى اليمن ومؤسس الإمامة وناشر المذهب الزيدى فيه، والذى بلغ عدد أئمته فى اليمن منذ الهادى حتى محمد البدر ستة وستين (٦٦) إمامًا، بدأ حكمهم من سنة ٢٨٤هـ.

كان الهادى يسكن المدينة فى الحجاز على قول، أو الرس بين الحجاز ونجد، وفى سنة ٢٨٠هـ قدم إليه وفد من أهالى اليمن، يطالبه بالقدوم إلى اليمن لمبايعته إمامًا كونه من آل بيت الرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ولتخليصهم من ظلم الحكام الظالمين.

الشيعة الإسماعيلية

الشيعة الإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهم الذين اعتقدوا بإمامة إسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق، رغم أنه مات فى حياة أبيه بعد زواجه وإنجابه، وأن الإمامة تنحدر من نسل إسماعيل الذى انحدر منه خلفاء الدولة الفاطمية التى حكمت مصر أكثر من قرنين من الزمان.

افترقت الشيعة الإسماعيلية بعد وفاة الخليفة الفاطمى المستنصر إلى فرقتين: الإسماعيلية المستعلية نسبة إلى الخليفة الفاطمى أبى قاسم أحمد الملقب بالمستعلى بالله والإسماعيلية النزارية الذين رفضوا الاعتراف بخلافة المستعلى وبايعوا لأخيه نزار الذى مضى إلى الإسكندرية ومنها إلى قلعة ألموت «وليس الموت» (الآن فى إيران شمال طهران) وكما يقول السيد حسن الأمين[1]: فقد انفرد النزاريون باسم الإسماعيلية وهم الأغاخانية، وتخلص بقايا الفاطميين من اسم الإسماعيلية لما ألحقه الأغاخانية من تحولات بالمذهب ورضوا باسم البهرة.

(١) حسن الأمين «فى خضم التاريخ».

يقول العلامة الشيخ جعفر السبحانى فى كتاب *الملل والنحل* : إن تأويل الظواهر وإرجاعها إلى خلاف ما يتبادر منها فى عرف المتشرعة هى السمة البارزة الثانية للدعوة الإسماعيلية ، وقد بنوا على هذه الدعامة مذهبهم فى مجالى العقيدة والشريعة .

كما تحتل الإمامة عند الإسماعيلية مركزًا مرموقًا فهم يعتقدون بالنطقاء الستة ، وأن كل ناطق رسول يتلوه أئمة سبعة :

١ ـ فآدم رسول ناطق تلته أئمة سبعة بعده .

٢ ـ فنوح رسول ناطق تلته أئمة سبعة .

٣ ـ فإبراهيم رسول ناطق جاءت بعده أئمة سبعة .

٤ ـ فموسى رسول ناطق تلته أئمة سبعة .

٥ ـ فعيسى رسول ناطق تلته أئمة سبعة .

٦ ـ فمحمد رسول ناطق تلته أئمة سبعة ، وهم :

على بن أبى طالب ، الحسن بن على ، الحسين بن على ، على بن الحسين ، محمد بن على الباقر ، جعفر بن محمد الصادق ، إسماعيل بن جعفر .

وبذلك يتم دور الأئمة السبعة ويكون التالى رسولاً ناطقًا سابعًا وناسخًا للشريعة السابقة وهو محمد بن إسماعيل ، وهذا مما يصادم عقائد جمهور المسلمين من أن نبى الإسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، وشريعته خاتمة الشرائع ، وكتابه خاتم الكتب .

العلويون

إنها رابع الفرق الشيعية المتواجدة الآن على الساحة ، وربما يرى البعض ألا داعى لإفرادها بالحديث لأنها تتداخل مع الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، إلا أننا نرى إفراد الحديث عنهم نظرًا لوجود بعض الغموض الذى يكتنف أوضاعهم ، والسبب يرجع فى الأساس إلى ما لحق بهم من قمع وما تعرضوا له من حصار أغلب فترات تاريخنا ولا بد أن يكون هناك فارق بين من أتيح لهم التواصل مع المراكز العلمية والدينية للشيعة

الإمامية فهم على بينة من أمرهم، وبين من عاشوا الحصار الخانق على يد الدولة العثمانية.

إنهم الآن فى سوريا يقدرون بالملايين كما يقدر عدد سكان الطائفة العلوية في تركيا بنسبة معتبرة من السكان البالغ عددهم قرابة ٦٥ مليون نسمة، يتوزعون على ثلاث قوميات أساسية فى البلاد: الأكراد، العرب والأتراك، ويطلق على العلويين العرب (النصيريين) ومعظمهم فى منطقتى أضنة وأنطاكيا ويناهز عددهم ربع مليون نسمة ومن أهم مدنهم لواء الإسكندرونة (هاتاى بالتركى)، أما العلويون الأكراد فيتراوح عددهم بين ٥ ـ ٧ ملايين نسمة وهؤلاء يتواجدون فى محافظات بينغول، تونجلي (ديرسيم)، سيواس، يوزغات، إيلازيغ، قهرمان، وغيرها من المناطق الكردية في جنوب شرق البلاد، أما العلويون الأتراك فيعرفون باسم (القزل باش ـ الرأس الأحمر) ويتواجدون بشكل أساسى فى منطقة الأناضول الداخلى وفى الغرب، مع تواجد قليل منهم على البحر الأسود، إضافة إلى وجود علويين تركمان في مناطق قارص، طوغيات، تشوروم، باليق أسير وأزمير.

فما هى عقيدة العلويين؟؟

يقول الباحث أبو زين العابدين: فى سنة ١٩٣٦م وفي أعقاب محاولة من المحتل الفرنسى لفصل العلويين عن بقية المسلمين نشر علماؤنا في كراس قراراً من بندين:

البند الأول: كل علوى هو مسلم يقول ويعتقد بالشهادتين ويقيم أركان الإسلام الخمسة.

البند الثانى: كل علوى لا يعترف بإسلامه أو ينكر أن القرآن كتابه وأن محمداً ﷺ نبيه لا يعد فى نظر الشرع علويًا ولا يصح انتسابه للمسلمين العلويين.

وقد أردفوا هذا بمذكرة إضافية عن عروبتهم ودينهم جاء فيها بالحرف: (إن العلويين شيعة مسلمون وقد برهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهم من قبول دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم)

وجاء فيها أيضًا: (إن العلويين ليسوا سوى أنصار الإمام علي، وما الإمام علي سوى ابن عم الرسول ﷺ وصهره ووصيه وأول من آمن بالإسلام ومن مكانه في

الجهاد والفقه والدين الإسلامى مكانه، وإن القرآن الكريم هو كتاب العلويين، وما العلويون سوى أحفاد القبائل العربية التى ناصرت الإمام على عليه السلام فوق صعيد الفرات).

وفى مناسبة أخرى أثارها المحتل الأجنبى أيضًا سنة ١٩٣٦م وقع علماؤنا جوابًا عن سؤال قدم إليهم، ونكتفى من الجواب بهذه العبارات ننقلها بالحرف: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[آل عمران: ٨٥] وإن مذهبنا فى الإسلام هو الإمام جعفر الصادق والأئمة الطاهرين عليهم السلام سالكين بذلك ما جاء به خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (**إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا من بعدى: الثقلين أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتى يردا على الحوض**).

هذه هى عقيدتنا نحن العلويين وفى هذا كفاية لقوم يعقلون.

ونحن اليوم حرصًا منا على تمتين الصلات بإخواننا فى الدين والوطن ووقاية لهم من الانخداع بما يدسه أعداء العروبة والإسلام، ويرجف به المفترون والحاقدون من شائعات تفرق وتهدم بما توقظ من فتن، وموقظ الفتن معروف نصيبه من الله ورسوله. وعملاً بما يمليه علينا روح الدين الإسلامى من واجب (البلاغ المبين) والتزامًا بما كان عليه أئمتنا الأطهار من غيرة على تبليغ رسالة النبى العربى محمد صلى الله عليه وسلم وبما عليه فقهاؤنا الذين يتبعون خطى الأئمة المعصومين فى الغيرة على دين الإسلام وتوحيد كلمة بنيه عملاً بهذه الأهداف الإنسانية الإلهية.

وانسجامًا مع ما سبق لسلفنا الصالح من مواقف هادفة لتوحيد الكلمة بإعلان الحقيقة وإزالة كل إبهام وإيهام، وإظهاراً للحق والحقيقة ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسنا وإعلاء لكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وقربة إليه تعالى ونفعًا للمؤمنين من خلقه، فقد عمدنا إلى اقتفاء سلفنا الصالح، وترجيع ما ارتفعت به أصواتهم وتجديد ما سجلته أقلامهم موجزاً مما ندين الله به سرنا وعلانيتنا، ونحن بعملنا هذا لا نضيف جديداً إلى ديننا وعقيدتنا، ولكنه تجديد لإقامة الحجة وإيضاح المحجة وتأكيد لما كنا ونكون عليه، كما نؤكد فى صلواتنا يوميًا تجديد العهد مع الله ورسوله فنشهد أن لا إله

إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ وحكمة الله بالغة فى إلزام المؤمنين بتجديد العهد مع الله كل يوم عددًا من المرات.

الله وحده نسأله أن يكون عملنا هذا قبسًا يفىء إلى نوره كل جاهل أو مشكك، وهديًا تطمئن إليه كل نفس.

عقيدة العلويين

الدين: نعتقد أن ما شرعه الله سبحانه لعباده على لسان رسله وآخر الأديان وأكملها هو الإسلام **﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾** [آل عمران: ١٩] **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾** [آل عمران: ٨٥].

الإسلام: هو الإقرار بالشهادتين: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله)، والالتزام بما جاء به النبى ﷺ من عند الله.

الإيمان: هو الاعتقاد الصادق بوجود الله وملائكته وكتبه ورسله مع الإقرار بالشهادتين.

أصول الدين: نعتقد أن أصول الدين خمسة: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد، وتجب معرفتها بالبرهان والدليل الموجب للعلم لا بالظن أو التقليد.

التوحيد: نعتقد بأن الله تعالى عدل منزه عن الظلم **﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾** [الكهف: ٤٩]. ولا يأمر الناس إلا بما فيه صلاحهم ولا ينهاهم إلا عما فيه فسادهم: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)﴾** [فصلت: ٤٦].

النبوة: نعتقد بأن الله تعالى سبحانه لطفًا منه بعباده اصطفى منهم رسلاً وأمدهم بالمعاجز الخارقة وميزهم بالأخلاق العالية وأرسلهم إلى الناس: **﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾** [النساء: ١٦٥]. لتبلغ رسالاته حتى يرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم ويحذروهم عما فيه فسادهم فى الدنيا والآخرة: **﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾** [الأنعام: ٤٨].

الإمامة: نعتقد أنها منصب إلهى اقتضته حكمة الله سبحانه لمصلحة الناس فى مؤازرة الأنبياء بنشر الدعوة والمحافظة بعدهم على تطبيق شرائعهم وصونها من التغيير

والتحريف والتفسيرات الخاطئة، ونعتقد أن اللطف الإلهي اقتضى أن يكون تعيين الإمام بالنص القاطع والصريح ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].
وأن يكون الإمام معصومًا مثل النبى عن السهو والذنب والخطأ، لكى يطمئن المؤمنون بالدين إلى الإقتداء به فى جميع أقواله وأفعاله، والأئمة عندنا اثنا عشر، نص عليهم النبى و أكد السابق منهم النص على إمامه اللاحق، ونعتقد أن الإمام الذى نص عليه الله تعالى و بلغ عنه رسوله الأمين فى أحاديث متواترة هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام عبد الله وأخو رسوله وسيد الخلق بعده، وجاء النص بعده لابنيه سيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام وبعدهما للتسعة من ولد الحسين: الإمام زين العابدين على بن الحسين، فابنه الإمام الباقر محمد بن على، فابنه الإمام الصادق جعفر بن محمد، فابنه الإمام الكاظم موسى بن جعفر، فابنه الإمام الرضا على بن موسى، فابنه الإمام الجواد محمد بن على، فابنه الإمام الهادى على بن محمد، فابنه الإمام الحسن بن على العسكرى، فابنه الإمام الثانى عشر صاحب الزمان الحجة المهدى عجل الله به فرج المؤمنين، وسيظهره الله فى آخر الزمان فيملأ الدنيا قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا.

المعاد: نعتقد أن الله سبحانه يبعث الناس أحياء بعد الموت للحساب ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ⑦﴾ [الحج: ٧]. فيجزى المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته:

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾

[النجم: ٣١].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧﴾ [الزلزلة: ٦ ـ ٨].

كما نؤمن بالمعاد فإننا نؤمن بجميع ما ورد بالقرآن الكريم والحديث الصحيح من أخبار البعث والنشور والحشر والجنة والنار، والعذاب والنعيم، والصراط والميزان، وما إلى ذلك: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ⑤③﴾

[آل عمران: ٥٣].

أدلة التشريع عندنا أربعة

القرآن الكريم

نعتقد أن المصحف الشريف المتداول بين أيدى المسلمين هو كلام الله تعالى لا تحريف فيه ولا تبديل فيه. ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢].

السنة النبوية

وهى عندنا ما ثبت عن النبى، من قول وفعل وتقرير، وهى المصدر الثانى للتشريع، ونعتقد أن من أنكر حكمًا من أحكامها الثابتة فهو كافر مثل من أنكر حكمًا من أحكام القرآن؛ لأن السنة النبوية لا تتعارض مع الكتاب الكريم، ويلحق بها ما ثبت عن الأئمة الطاهرين قولاً وفعلاً.

الإجماع

نعتقد أن ما أجمع عليه المسلمون من أحكام الدين وفيهم الإمام المعصوم، فهو دليل قطعى ولو خفى علينا مستنده من الكتاب والسنة، والإجماع بهذا التعريف لا يتعارض مع نصوصهما.

العقل

الدليل العقلى حجة إذا وقع فى سلسلة العلل، أو كان من المستقلات العقلية. ويقتصر استعمال الدليل العقلى فى الفقه عندنا على المجتهد وهو من حصلت عنده ملكة تساعده على استنباط الأحكام الفرعية من أدلتها التفصيلية.

والمرجع المقلد عندنا هو (من كان من الفقهاء صائنًا لنفسه حافظًا لدينه مخالفًا لهواه مطيعًا لأمر مولاه).

فروع الدين

نعتقد أنها كثيرة، وكنا نؤثر أن نكتفى بذكر بعضها، رغبة فى الإيجاز محيلين المتطلع إلى المعرفة والجاهل والمتعنت إلى كتب علمائنا المنشورة فى المكاتب فهى تفصل عقائدنا بوضوح.

ولكننا انسياقًا مع خطتنا التى رسمناها فى هذا البيان رأينا أن نذكر بعضها بكثير من الإيجاز وخصوصًا العبادات منها:

الصلاة

نعتقد أنها ﴿كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ [النساء: ١٠٣]. وأنها عمود الدين وأهم العبادات التى فرضها الله، وأحب الأعمال إليه. ونعتقد أن الصلوات المفروضة يوميًا خمس: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح.

الصوم

نعتقد أنه من أركان الدين الإسلامى ويجب على كل مكلف مستطيع امتثالاً لقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

الزكاة

نعتقد أنها من الأركان التى بنى عليها الإسلام، ولها شرائط عديدة مذكورة فى كتب الفقه.

الحج

نعتقد بأنه واجب لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧]. ويجب على كل مسلم بالغ عاقل بشرط الاستطاعة.

الجهاد

وهو من أركـان الدين ويجب من أجل الدعـوة إلى الإسـلام والدفـاع عن الإسـلام وبلاد المسلمين وعن النفس والعرض والمال .

هذه هي عـقـيـدتنا نحن المسلمـين (العلويين) ومذهبنا هو المذهب الجـعـفـري الاثنا عشري .

وإننا لنسأل الله أن يكون في بياننا هذا من الحقائق ما يكفي لإزاحة الضباب عن عيون الجاهلين والمغرضين وأن يجد فيه القريب والبعيد والمنصف والمتحامل منهـلاً عذبًا ومرجعًا مقنعًا .

وإننا نعتبر كل ما ينسب إلينا أو يتقول علينا بما يغاير ما ورد في هذا البيان مفتريًا أو مدفوعًا بقوى غير منظورة يهـمهـا أن تتفرق كلمة المسلمين فتضعف شوكتهم أو جاهلاً ظالمًا لنفسه وللحقيقة .

ومن الله وحده نستمد العون ونسـأله التوفيق إلى مـا فيه وحدة أمة مـحمد ﷺ وصلاحها في دينها ودنياها بتعارفها وتآلفها وتسامحها وتعاونها على البر والتقوى وعلى جهاد أعدائها المتربصين الشر بنا جميعًا دون استثناء .

والحمد لله أولاً و آخرًا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى .

***

مؤلفات الكاتب

١ ـ الطريق إلى مذهب أهل البيت .

٢ ـ رحلتي مع الشيعة والتشيع في مصر .

٣ ـ على خطى الحسين .

٤ ـ المهدى المنتظر ومعركة تحرير القدس .

٥ ـ الشيعة والثورة (ما بعد استشهاد الإمام الحسين) .

٦ ـ الجمل وفقه الطابور الخامس .

٧ ـ التحكيم ـ قراءة فى الفقه التاريخى للأمة الإسلامية .

٨ ـ الجماعات الإسلامية ـ محاولة استمساخ الأمة الإسلامية .

٩ ـ مَن أسس لثقافة العنف؟ .

١٠ ـ المصريون والتشيع الممنوع .

١١ ـ شرح دعاء السَحَر لأبى حمزة الثمالى .

١٢ ـ علىّ بن أبى طالب وأخلاقيات السياسة .

١٣ ـ المسلمون والآخر .

١٤ ـ رسالة من أب لابنه (رسالة تربوية) .

١٥ ـ علىّ بن أبى طالب والعدالة الاجتماعية .

١٦ ـ الزهراء سيدة نساء العالمين .

١٧ ـ الشيعة والثورة الجزء الثانى .

١٨ ـ الشيعة فى العراق .

١٩ ـ مقالات فى الفكر والدين والسياسة .

٢٠ ـ القرضاوى (وكيل الله أم وكيل بنى أمية؟؟!!) ردًا على كتابه تاريخنا المفترى عليه .

٢١ ـ الإرهاب لا يمكن أن يكون شيعيًا .

٢٢ ـ عندما يحكم العبيد .

٢٣ ـ نقض الوهابية .

٢٤ ـ النبوة فى نهج البلاغة .

٢٥ ـ الشيعة المفترى عليهم .

٢٦ ـ مأساة الحج والأماكن المقدسة .

٢٧ ـ أماكننا المقدسة . . المدنسة .

٢٨ ـ فقه التغيير ـ دراسة مقارنة بين السيد محمد باقر الحكيم وسيد قطب . مقال منشور فى مجلة المنهاج .

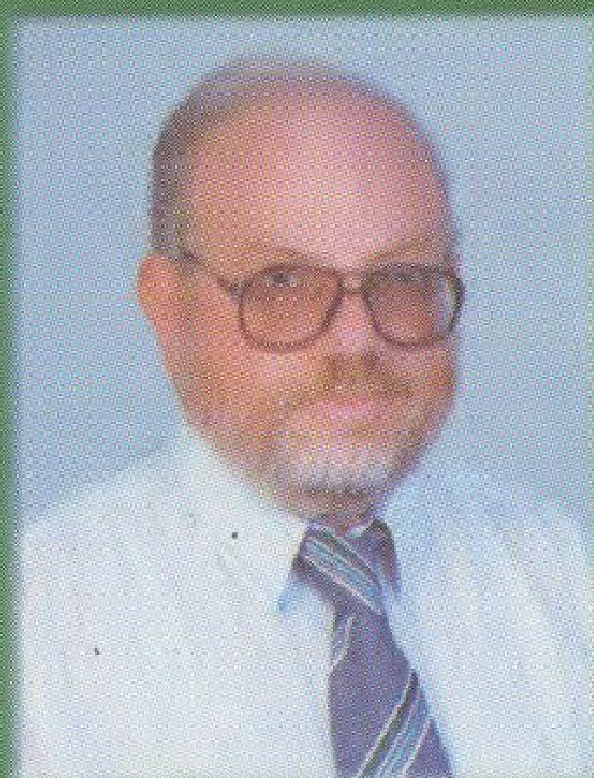
٢٩ ـ الشهيد الصدر ودينامية الصراع الاجتماعى (مؤتمر الذكرى العشرين لاستشهاد السيد محمد باقر الصدر طهران يناير ٢٠٠١م) .

٣٠ ـ هل حقًا أن ابن خلدون هو أول من أسس علم الاجتماع والعمران؟؟ .

بالإضافة إلى عشرات المقالات السياسية والفكرية .

Email: arasem99@yahoo. com

هذا الكتاب



جاء فى الحديث الصحيح « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى »، وفى رواية أخرى - وهى أصح وأكثر طرقًا لدى بعض علماء الحديث - « ... كتاب الله وعترتى » والمقصود بالعترة أهل البيت: فاطمة وعلى والحسن والحسين... ويمكن التوفيق بين الروايتين باعتبار أهل البيت أجدر بحفظ سنة النبى ﷺ.

كذلك جاء فى الحديث أن عليا سوف يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل النبى ﷺ على تنزيله.

وعلى هذا، فلقد لقى على بسبب فهمه ومنهجه القرآنى الصحيح أشد العداوة والقتال من معارضيه رغم قول النبى ﷺ له : « لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » وقول النبى ﷺ لعمار بن ياسر الذى قاتل مع على « تقتلك الفئة الباغية ».

كذلك لقى الحسن والحسين وأبناؤهما وشيعتهما ظلماً وقمعاً وسجناً وقتلاً - لم تلقه أية طائفة مسلمة، أوغير مسلمة، من أهل الكتاب أو من غيرهم - تحت الحكمين الأموى والعباسى، ولم يعان أى مذهب إسلامى ما عاناه المذهب الشيعى من ادعاءات زائفة ودعايات مضللة بين المسلمين؛ مما يمكن مقارنته بما يلقى الدين الإسلامى من تزييف وتضليل لدى العالم الغربى.

وفى هذا الكتاب، يحاول الدكتور أحمد راسم النفيس، وهو شيعى مصرى ينتمى لمذهب أهل البيت منذ عام ١٩٨٥م. إظهار حقائق مذهبه، وتذكير من نسى، وإعلام من لا يعرف، بأن شيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت أفتى بجواز التعبد على المذهب الشيعى.

وهذا الكاتب

د. أحمد راسم النفيس

- ولـد بمدينـة المنصـورة فى ١٩٥٢/٨/٢م.
- حصل على بكالوريوس الطب والجراحة العامة، والماجستير والدكتوراه فى الباطنة العامة (سكر
- يعمل حاليًا فى وظيفة أستاذ الباطنة العامة (سكر وغدد) كلية الطب - جامعة
- ناشط فى الحركة الطلابية المصرية الإسلامية منذ مرحلة السبعينيات.
- أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه فى مجال الطب، بالإضافة إلى إعداد الأبحاث فى المجال الطبى والمشاركة فى العديد من المؤتمرات فى هذا الحقل

